

امكتبة القبطية على الانترنت



حياة التواضع والوكالات





عملية مما كبر الفتن والغيظ
الابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطرس الرسول الكاردينال

قصة هذا الكتاب

فكرت في هذا الكتاب في أواخر الخمسينات ، منذ أكثر من أربعين عاماً، قبل أن أنزل إلى عمل الأسقفية . وقرأت له كل ما استطعت قراءته من كتب الآباء، وترجمت الكثير منها، وأعددت كارتات عديدة لكافة نقاط الموضوع. ثم أعلنت عنه في الستينات بعد أن صرت أسقفاً.

الفكرة بدأت في حياتي الرهبانية، والتفكير في النشر كان في حياتي الرعوية. وواجهت مشكلة أساسية، وهو أن التواضع والوداعة في المفهوم الرهباني أصعب من احتمال العلمانيين الذين سيُنشر الكتاب بينهم...

فكيف أوفق بين المثالية في عمقها، وبين الإمكانية العملية للناس في التنفيذ؟! ومع ذلك فحياة التواضع والوداعة مُطالب بها الكل. الراهب الذي مات عن العالم وعن كل ما فيه من كرامة، وكذلك الذي يعيش في العالم، ويجاهد أن يكون له مركز، وطموح، وتدرج في الترقى.. وفي نفس الوقت يود أن يمارس هذه الفضيلة التي اتصف بها السيد المسيح نفسه، وأوصانا أن نتعلمها منه (مت ١١ : ٢٩). ودعا إليها الجموع في أول عظته على الجبل (مت ٥ : ٣ ، ٥).

وظللت أتصفح أوراقى العديدة الخاصة بالموضوع، والتي ملأت حقيبة بأكملها. وأخذت أصوغ الفكر بحيث يكون مقبولاً وممكناً، مع الاحتفاظ بمثاليته. وتخليصه بقدر الإمكان من الدرجات التي لا تقوى عليها سوى الرهبنة.

وحان الوقت أن أتشر عن حياة التواضع والوداعة في ٣٤ مقالاً في جريدة وطنية (من منتصف عام ٢٠٠٠م).

إننا لا نستطيع أن نحجب المثالية عن الناس. وإنما نعرضها بأسلوب ممكن التنفيذ.

ولياخذ كل إنسان منها حسب طاقته. حسب قامته الروحية، ودرجة نموه، وحسب مقدار ما يعطيه الله من نعمة ومن قدرة على شركة الروح القدس (٢كو١٣: ١٤).
إتھما كتابان كنت مشتاقاً إلى إصدارهما، مهما كان اشتياق البعض إلى عكسهما:
كتاب مخافة الله، وكتاب التواضع والوداعة.

كتاب (المخافة) بينما يشناق الناس أن أحدثهم عن محبة الله أكثر من مخافته. وقد تكلمت كثيراً عن المحبة، ونشرت فيها كتاباً باعتبارها قمة الفضائل. ولكن كان لابد أن أنشر أيضاً عن مخافة الله، لأنها نقطة البدء في الحياة الروحية، كما يقول الكتاب "بدء الحكمة مخافة الله" (أم٩: ١٠).

وقد كان. وصدر كتاب مخافة الله، وتقبله الناس، وأعيد طبعه...

وهأنذا أصدر لكم كتاب التواضع والوداعة اللازمين للحياة الروحية. وبدونهما لا تثبت أية فضيلة، بل تصير طعاماً للمجد البطل.

وقد وضعته لكم في سبعة أبواب تحدثت فيها عن أهمية التواضع، وبعض أقوال الآباء فيه. وعن تواضع الله ووداعته. وعن خطورة الكبرياء التي هي أول خطية عرفها العالم، وبها سقط الشيطان والإنسان. وعن البر الذاتي، والعظمة، ومحبة المديح والكرامة.
كل ذلك مع تداريب كثيرة عن اقتناء التواضع والوداعة، وتفصيل صفات كل منهما، وكيفية اقتنائهما.

واترك الكتاب بين يديك، فيه العديد من التفاصيل.

وليساعدك الرب على اقتناء هاتين الفضيلتين، بنعمته وروحه القدس.

البابا شنودة الثالث

أبريل ٢٠٠١

رَبَابُ الْفُؤُولِ :

حَيَاةُ الْاِرْتِضَاعِ

- مَا هُوَ الْاِرْتِضَاعُ ؟
- مَرْكَزُهُ بَيْنَ الْفَضَائِلِ .
- تَطْوِيْبُ الْاِرْتِضَاعِ .
- اَمْثَلَةٌ عَلَيْهِ .
- اِرْتِضَاعُ اللّٰهِ .
- حَثٌّ عَلَيَّ الْاِرْتِضَاعِ

أود أن أبدأ معكم اليوم سلسلة عن موضوع هام هو التواضع والوداعة: ما هو التواضع وما معناه؟ وماذا قال الآباء في مدحه وتطويبه؟ بل ماذا قال الكتاب المقدس؟ وما مركز التواضع بين الفضائل؟ وما علاقته بالموهب العليا؟ وما علاقته بالنعمة والتجارب؟ وكيف يكون الإنسان متضعاً؟..

هذا كله وغيره، هو ما نود أن نحدثك عنه بمشيئة الله في هذا الكتاب، لكي تدرك ما هي هذه الفضيلة الكبرى، وما تحويه داخلها من فضائل متعددة..:

الارتضاع بين الفضائل :

الارتضاع هو الأساس الذي تبنى عليه جميع الفضائل .

وهو السور الذي يحمي جميع الفضائل وجميع المواهب .

ومن هنا يمكن أن نعتبره الفضيلة الأولى في الحياة الروحية. الأولى من حيث ترتيب البناء الروحي، الذي تجلس في قمته المحبة من نحو الله والناس . هو إذن نقطة البدء.

و"رب المجد في العظة على الجبل، بدأ التطويبات بقوله "طوبى للمساكين بالروح، لأن لهم

ملكوت السموات" (مت ٥ : ٣). ثم طوبى الودعاء (مت ٥ : ٥).

✱ ✱ ✱

إن كل فضيلة خالية من الارتضاع ، عرضة أن يحتفظها شيطان المجد الباطل،

ويبدها الزهو والفخر والإعجاب بالنفس .

لذلك إذا منحتك النعمة أن تسلك حسناً في إحدى الفضائل، اطلب من الرب أن يمنحك اتضاعاً حتى تنسى أنك سالك في فضيلة، أو حتى تدرك أنها لا شئ إذا قورنت بفضائل القديسين... كذلك إن منحك الله موهبة من المواهب السامية، ابتهل إليه أن يعطيك معها إتضاع قلب، أو أن يأخذها منك، لئلا تقع بسببها في الكبرياء وتهلك...

وحسناً ، يعمل الله ، إذ يعطى مواهبه للمتواضعين ..

لأنه يعرف أنها لا تؤذيهم. وقد اختار للتجسد الإلهي فتاة متواضعة تتسحق أمام ذلك المجد العظيم.. وهكذا نظر إلى إتضاع أمته" (لو ١ : ٤٨)، هذه التي تستمر في إتضاعها مهما كانت جميع الأجيال تطوبها (لو ١ : ٤٨). ويقول الكتاب إن الله يكشف أسراره للمتضعين، وأنه يعطيهم نعمة (يع ٤ : ٦) (١بط ٥ : ٥) (أم ٣ : ٣٤). هؤلاء الذين كلما زادهم اله مجداً، زادوا هم اتضاعاً وانسحاق نفس قدامه.

✱ ✱ ✱

والإتضاع ليس فقط فضلة قائمة بذاتها، إنما هو أيضاً متداخل في باقي الفضائل.

إنه كالخيط الذى يدخل في كل حبات المسبحة.. بحيث لا يكون قيام لأية حبة منها، ما لم يدخل هذا الخيط فيها.. فكل فضيلة لا إتضاع فيها، لا تعتبر فضيلة، ولا يقبلها الله. لذلك قلنا إن الإتضاع أساس لكل الفضائل. كما قلنا أيضاً إنه سور لها يحميها من المجد الباطل .

تطويب التواضع :

إن السيد المسيح الذى تتكامل فيه جميع الفضائل، حينما أراد أن يوجه تلاميذه القديسين إلى الاقتداء به، قال لهم:

"تعلموا منى فإنى وديع ومتواضع القلب" (مت ١١ : ٢٩).

قال هذا على الرغم من أن كل فضيلة يمكننا أن نتعلمها منه.. كان يمكن أن يقول: تعلموا منى الحكمة، المحبة، الحنو، الهدوء، الخدمة، التعليم، قوة الشخصية.. فلماذا إذن ركّز على التواضع والوداعة؟.. أليس من أجل الأهمية القصوى لهاتين الفضيلتين؟ وهكذا نرى التواضع بارزاً في أقوال الآباء وفي حياتهم ...

قال ماراسحق "أريد أن أتكلم عن التواضع ولكننى خائف، كمن يريد أن يتكلم عن الله.. ذلك لأن التواضع هو الحلة التى لبسها اللاهوت لما ظهر بيننا.. ولهذا فإن الشياطين

حينما ترى شخصاً متواضعاً، تخاف. لأنها ترى فيه صورة خالقه الذى قهرها...
حقاً، ما أعجب هذا الكلام عن التواضع!

✱ ✱ ✱

التواضع يستطيع أن يقهر الشياطين :

وهذا واضح جداً فى قصة أبا مقار الكبير، الذى ظهر له الشيطان وقال له: "ويلاه منك يا مقاره. أى شئ أنت تفعله، ونحن لا نفعله؟! أنت تصوم، ونحن لا نأكل. أنت تسهر، ونحن لا ننام. أنت تسكن البرارى والقفار، ونحن كذلك. ولكن بشئ واحد تغلبنا". فسأله القديس عن هذا الشئ، فأجاب: "بتواضعك وحده تغلبنا". وهذا واضح طبعاً. لأن الشيطان لا يستطيع أن يكون متواضعاً. فهو باستمرار متكبر وعنيد. لذلك يقدر المتواضع أن يقهره. فهو يملك التواضع الذى لم يقدر أن يملكه الشيطان.

✱ ✱ ✱

وتظهر قيمة التواضع فى حياة القديس الأنبا أنطونيوس:

أبصر هذا القديس العظيم فخاخ الشيطان مبسوطه على الأرض كلها. فألقى نفسه أمام الله صارخاً: "يارب، من يفلت منها؟". فأناه صوت من السماء يقول "المتضعون يفلتون منها". وهنا لعل البعض يسأل: "ولماذا المتضع بالذات هو الذى يفلت من فخاخ الشياطين؟". ونجيبه:

المتضع إذ يشعر بضعفه ، يعتمد على قوة الله .

فتسند قوة الله ، وتحميه من فخاخ الشياطين .

وذلك على عكس (الحكيم) المعتمد على حكمته. وعكس (القوى) المعتمد على قوته، و(البار) الواثق ببره.. أما المتواضع المتأكد تماماً والمعترف، إنه لا قوة له ولا حكمة ولا بر، فإن الله يسند ضعفه ويحارب عنه. وهذا هو أخشى ما يخشاه الشيطان..

✱ ✱ ✱

ولذلك فإن إخراج الشياطين يحتاج قبل كل شئ إلى إتضاع. وإن كان الرب قد قال "هذا الجنس لا يخرج بشئ إلا بالصلاة والصوم" (مت ١٧: ٢١)... فذلك لأن الصلاة والصوم يظهر فيهما الإتضاع بكل وضوح. فالذى يصلى، يعترف ضمناً أنه ليست له قوة ذاتية، لذلك يطلب القوة من فوق بالصلاة. وإذا خرج الشيطان لا يقتخر بإخراجه. لأن ذلك لم يتم بقوته، إنما بقوة الله التى تدخلت بالصلاة. وكذلك فإن الصوم الحقيقى هو الذى

ينسحق فيه الإنسان ويتذلل أمام الله بالاتضاع، ويشعر بضعفه ...

والشياطين كانت بالاتضاع ، تهرب أمام القديس أنطونيوس .

القديس أنطونيوس أبو الرهبنة كلها، عندما كان الشياطين يحاربونه بعنف، كان يرد عليهم باتضاع قائلاً: "أيها الأقرباء، ماذا تريدون مني أنا الضعيف؟ أنا عاجز عن مقاتلة أصغركم". وكان يصلى إلى الله ويقول "إنقذني يارب من هؤلاء الذين يظنون أنني شيء، وأنا تراب ورماد". فعندما كان الشياطين يسمعون هذه الصلاة الممتلئة إتضاعاً، كانوا ينقشعون كالدخان. حقاً لقد أتقن القديسون الإتضاع بمثل هذه الصورة العجيبة...

ولم يتضعوا فقط أمام الله والناس، بل حتى أمام الشياطين . وهزمهم باتضاعهم .
 كما رأينا في سيرة القديس الأنبا أنطونيوس، وفي سيرة القديس مقاريوس الكبير، وكما نرى في سير باقي القديسين .



ولعل عظمة الاتضاع تظهر جلية.عندما نتأمل بشاعة الرذيلة المضادة له، أعنى الكبرياء والعظمة:

الكبرياء أهدرت من السماء ملاكاً بهياً، وحوّلته إلى شيطان .

حقاً ، إن أول خطية عرفها العالم هي الكبرياء، التي سقط بها الشيطان. وقصة سقوطه سجلها اشعياء النبي، في قول الوحي الإلهي لهذا الملاك الساقط: "وأنت قلت في قلبك أصعد إلى السموات. أرفع كرسىّ فوق كواكب الله.. أصير مثل العلى. لكنك إنحدرت إلى الهاوية، إلى أسفل الجب" (إش ١٤: ١٣، ١٤).



وبنفس سقطة الكبرياء، أغوى أبونا الأولين .

كما قال في قلبه "أصير مثل العلى"، هكذا قال لأبونا الأولين "تصيران مثل الله، عارفين الخير والشر" (تك ٣: ٥). من هنا يبدو أن الكبرياء لا تكفى مطلقاً، بل تريد أن تغلو باستمرار، مهما كانت درجتها عالية... حتى إن كان الواحد ملاكاً فى درجة الكاروب، مملوءاً حكمة وكامل الجمال (حز ٢٨: ١٤، ١٢)، أو كان صورة الله فى شبهه (تك ١: ٢٦، ٢٧). يريد أيضاً أن يغلو ويرتفع. ولكنه فى هذه الكبرياء يهبط إلى أسفل، حسبما قال الرب .

كل من يرفع نفسه يتضع . ومن يضع نفسه يرتفع" (لوقا: ١٤: ١١) .

THE PRINCE HAZRAT RUS
FOR QURANIC THOUGHT

الملاك لما أراد أن يرتفع، انحدر إلى الهاوية إلى أسافل الجب، وفقد مكانته كملاك، وصار شيطاناً.. والإنسان - وهو صورة الله - لما أراد أن يرتفع، فقد صورته الإلهية، وطُرد من الجنة، وعانى ما عانى.. ولعل أصعب شيء يتعرض له المتكبر، أن الله نفسه يقف ضده. لذلك ما أخطر قول الكتاب :

"يقاوم الله المستكبرين" (يع: ٤: ٦).

في نفس الوقت الذي أشفق فيه الله على الخطاة والعشارين، وقادهم إلى التوبة، يقول الرسول إن الله يقاوم المستكبرين... وهؤلاء الذين يقاومهم الله، ما مصيرهم؟! فهل تريد أن تعرض نفسك إلى مقاومة الله نفسه لك؟!.. يعزينا النصف الثاني من نفس الآية، حيث يقول : "وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة" .

✱ ✱ ✱

ليتنا نخاف من قول الوحي الإلهي في سفر اشعيا .

"إن لرب الجنود يوماً على كل متعظم وعال، وعلى كل مرتفع فيوضع... وعلى كل أرز لبنان العالی، وعلى كل بلوط باشان... وعلى كل الجبال العالیة - وعلى كل التلال المرتفعة.. فيخفض تشامخ الإنسان، وتوضع رفعة الناس. ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم" (إش: ٢: ١٢-١٧).

ما هو الاتضاع ؟

بعض أقوال الأبياء عنه ...

ما هو التواضع ؟

ليس التواضع أن تنزل من علوك، أو تتنازل إلى مستوى غيرك .

ليس التواضع أن تشعر أنك على الرغم من عظمتك، فإنك تتصاغر أو تخفى هذه العظمة. فشعورك أنك كبير أو عظيم، فيه شيء من الكبرياء . وشعورك أنك في علو تنزل منه، ليس من التواضع في شيء. وشعورك بأنك تخفى عظمتك، فيه إحساس بالعظمة، إحساس بعظمة تخفيها عن الناس. ولكنها واضحة أمام عينيك ...

إن الله هو وحده العالی، وهو وحده الذى يتنازل من علوه. هو الخالق. أما الباقون فهم تراب ورماد ...

إنما التواضع بالحقیقة - كما قال الأبياء - فهو معرفة الإنسان لنفسه .

فتعرف من أنت؟ إنك من تراب الأرض. بل التراب أقدم منك. كان قبل أن تكون. خلقه الله أولاً، ثم خلقك من تراب.

أتذكر أنني ناجيت هذا التراب ذات مرة، فى أبيات قلت فيها :

يا تراب الأرض يا جدى وجدّ الناس طمرا
أنت أصلى أنت يا أقدم من آدم عمرا
ومصيرى أنت فى القبر إذا وُسدت قبراً

بل أنك يا أخى - إذا فكرت فى الأمر بانضاع . تجد أن هذا السراب لم يغضب الله، كما أغضبته أنت بخطاياك .

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QURANIC THOUGHT

✱ ✱ ✱

إعرف أنك لست فقط تراباً . بل أنت أيضاً خاطئ وضعيف .

على أن تكون هذه المعرفة يقينية، بشعور حقيقى غير زائف داخل نفسك.. حتى وأنت فى عمق قوتك، تدرك أن هذه القوة ليست منك. بل هى منحة سماوية لك من الله الذى يسند ضعفك. ولو تخلت عنك نعمته لحظة واحدة، لكنت تسقط كما سبق لك أن سقطت.

✱ ✱ ✱

نقول ذلك ، لأن كثيرين لهم مظهرية الإضاع ، بينما قلوبهم فى الداخل ليست متضعة ...

كثيرون يتحدثون بألفاظ متضعة.. وهذه الألفاظ ربما تزيدهم علواً فى نظر الناس. وهم يعرفون ذلك وربما يريدونه! وقد يقول الشخص منهم إنه خاطئ وضعيف. ولكن إن قال له أحد إنه خاطئ وضعيف، يثور ويغضب. ولا يحسبه من أحبائه، بل يتغير قلبه من نحوه..!

إذن التواضع الحقيقى ، هو تواضع من داخل النفس أولاً ...

بافتتاح قلب . لا عن تظاهر أو رياء . وليس لأن هذا هو الثوب الذى ترتديه لتبدو أمام الناس باراً. إنما لألك تدرك تماماً عن نفسك ببراهن وأدلة عملية أنك خاطئ وضعيف بحسب خبرات حياتك من قبل.

✱ ✱ ✱

ولا يقتصر الأمر على معرفتك لنفسك أنك هكذا، إنما أيضاً:
تعامل نفسك حسب ما تعرفه عنها من خطأ ونقص وضعف :

تعرف عن نفسك أنك خاطئ، وتعامل نفسك كخاطئ . وإن عاملك الناس كخاطئ، تقبل ذلك، ولا تغضب ولا تتذمر، ولا ترد بالمثل، شاعراً أنك تستحق ذلك. وإن لم يعاملوك بحسب خطاياك بسبب أنهم لا يعرفونها، فعليك أن تستحق من الداخل، وتشكر الله بقلبك على معاملة أنت لا تستحقها منهم، ولا منه لأنه سترك ولم يكشفك لهم...

✱ ✱ ✱

إن كان الأمر هكذا ، فالمتواضع لا يجرؤ مطلقاً على أن يمدح نفسه .

إنه لا يرى فقط أنه خاطئ وضعيف ، بل أنه أكثر الناس خطأ وضعفاً ، على الأقل

بالنسبة إلى الإمكانيات التي أتاحت له ولم يستغلها. لذلك فهو لا يرى مطلقاً أنه أفضل من أحد، وإن بدا أنه الأفضل في نقطة معينة، فهو الأضعف في نقاط أخرى كثيرة يعرفها عن نفسه. ولهذا فهو لا يدين أحداً.

✱ ✱ ✱

بل إنه باستمرار يتخذ المتكأ الأخير، حسب وصية الرب (لو ١٤ : ١٠).

وليس المقصود هو المتكأ الأخير من جهة المكان، إنما من جهة المكانة. وكما قال الشيخ الروحاني : "في أي موضع حلت فيه، كن صغير أخوتك وخدمهم. وقيل "كن آخر المتكلمين، ولا تقطع كلمة من يتكلم لكي تتحدث أنت" .. "وحاول أن تتعلم، لا أن تعلم غيرك وتظهر معارفك".

✱ ✱ ✱

والإنسان المتضع يجب أن يعمل الفضيلة في الخفاء .

وذلك حسبما أمر الرب (مت ٦). ولذلك لا يوافق الاتضاع مطلقاً، أن يتحدث أحد عما يقوم به من أعمال فاضلة، أو ما يحدث له من رفعة.

إن بولس الرسول الذي صعد إلى السماء الثالثة، وسمع كلمات لا يُنطق بها، لم يقل إن ذلك قد حدث له، إنما قال "أعرف إنساناً في المسيح يسوع.. أفى الجسد لست أعلم، أم خارج الجسد لست أعلم، الله يعلم.. أختطف هذا إلى السماء الثالثة.. أختطف إلى الفردوس. وسمع كلمات لا يُنطق بها" (٢كو ١٢ : ٢ - ٤).

إن الفضيلة في المتضع ، مثل كنز مخفي في حقل .

وما أكثر القصص التي يحكيها لنا تاريخ القديسين عن أولئك المتواضعين الذين أخفوا فضائلهم، وأخفوا معرفتهم، بل أخفوا نواتهم أيضاً. وعاشوا مجهولين من الناس، ويكفى أنهم كانوا معروفين عند الله. وكان ينطبق عليهم قول الرب في سفر النشيد "أختى العروس جنة مغلقة، عين مغلقة، ينبوع مختوم" (نش ٤ : ١٢) ... كالقديسة العذراء مريم: كانت كنزاً للرؤى والاستعلانات. ومع ذلك ظلت صامتة "تحفظ كل تلك الأمور، متأملة بها في قلبها" (لو ٢ : ٥١).

تطويب الآباء والتقديسين للتواضع

بعض أقوال الآباء :

★لما سئل القديس مقاريوس "أى الفضائل أعظم؟" أجاب "كما أن التكبر أسقط ملاكاً من علوه وأسقط الإنسان الأول، كذلك الإلتضاع يرفع صاحبه من الأعماق". أليس هو المقيم المسكين من التراب ليجلس رؤساء شعبه" (مز ١١٣) "أنزل الأجزاء عن الكراسى، ورفع المتضعين" (لو ١: ٥٢).

✽ ✽ ✽

★قال القديس أغسطينوس : المتواضعون كالصخرة، تنزل إلى أسفل، ولكنها ثابتة وراسخة.. أما المتكبرون فإنهم كالدخان يعلو إلى فوق ويتسع. وفيما هو يعلو ويتسع، يضمحل ويتبدد ...

✽ ✽ ✽

★وقد قدم القديسون مثلاً آخر عن التواضع والكبرياء، فقالوا :
إن غصن الشجرة المحمل بالثمار، يكون منحنيًا من ثقل ما يحمل. أما الغصن الفارغ فيكون مرتفعاً!

وهناك تشبيه آخر وهو الأساس والبناء : فالأساس يعمل في إختفاء، وهو غير ظاهر، تحت الأرض لا يراه أحد. ولكنه يحمل البناء كله في إنكار ذات.. وفي نفس الوقت يقدم البناء في الكرامة. فيمدح الناس البناء لأنه ظاهر أمامهم. ويندر أن يفكر أحد في مدح الأساس المخفي .

✽ ✽ ✽

★ قال الأنبا موسى : تواضع القلب يتقدم الفضال كلها. كما أن الكبرياء أساس الشرور كلها.

✽ ✽ ✽

★ وقال مار اسحق : الذى يعرف خطاياہ، خير له من نفعه الخليقة كلها بمنظره. والذى يتنهد كل يوم على نفسه بسبب خطاياہ، خير من أن يقيم الموتى.. والذى استحق أن يبصر خطاياہ، خير له من أن يبصر ملائكة .

✽ ✽ ✽

★ وقال أحد القديسين : تشبه بالعشار لئلا تُدان مع الفريسي. وقال قديس آخر : إنى أفضل أن أكون مهزوماً باتضاع، على أن أكون منتصراً بافتخار .

★ وفى إحدى المرات قال أخ للقديس تيموثاوس "إنى أرى فكرى مع الله دائماً". فأجابه: الأفضل من ذلك أن ترى نفسك تحت كل الخليقة .

✽ ✽ ✽

★ قال شيخ : الإِتضاع خلص كثيرين بلا تعب. وتعب الإنسان بدون إتضاع يذهب باطلاً. لأن كثيرين تعبوا فاستكبروا وهلكوا .

★ وقال آخر : إن نزل الاتضاع إلى الجحيم، فإنه يصعد حتى إلى السماء. وإن صعدت العظمة إلى السماء، فإنها تنزل إلى الجحيم .

✽ ✽ ✽

★ وقال أنبا بيمن : "كما أن الأرض لا تسقط لأنها كائنة إلى أسفل، هكذا من يضع نفسه لا يسقط" .

✽ ✽ ✽

★ قال مار أوغريس : إن الشياطين تخاف من المتواضع لأنهم يعرفون أنه قد صار مسكناً للرب". وقال أيضاً "كما أن كثرة الأثمار تضع أغصان الأشجار، كذلك كثرة الفضائل تضع قلب الإنسان".

★ سئل شيخ : "كيف أنه يوجد أناس يقولون إننا نرى ملائكة؟" فأجاب : طوباه الذى يرى خطاياہ كل حين .

✽ ✽ ✽

★ قال سمعان العمودى "الإِتضاع هو مسكن الروح وموضع راحته. والمتواضع لا يسقط أبداً. إذ كيف يسقط، وضميره وفكره تحت جميع الناس؟!... سقوط عظيم هو

الكبرياء. وعلو عظيم هو الإضعاف. فلنعود نفوسنا من الآن أن نتمسك بالإضعاف ونجعله لنا عادة، حتى إن كان قلبنا لا يشاء .

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

✽ ✽ ✽

★ قال القديس درووثيوس : فى الواقع لا يوجد أقوى من التواضع، لأنه لا شئ يمكن أن يقهره .

✽ ✽ ✽

★ قال ماراسحق : الشجرة الكثيرة الأثمار، تتحنى أغصانها من كثرة أثمارها، ولا تتحرك مع كل ريح. والشجرة العادمة الثمر تتشامخ أغصانها، ومع كل ريح تتحرك.
★ وقال أيضاً : مقبول عند الله سقوط باتضاع وندامة، أكثر من القيام بافتخار .

✽ ✽ ✽

★ قال أحد الآباء : لما انتهى الإنسان الأول مجد الألوهية - حسب قول الشيطان - تصيران مثل الله (تك: ٣: ٥)، حينئذ فقد الإنسان مجد البشرية كما خلقت على صورة اله (تك: ١: ٢٧).

✽ ✽ ✽

★ فى إحدى المرات قال القديس يوحنا القصير للأخوة "من الذى باع يوسف الصديق؟ فقالوا له "أخوته". فقال "ليس أخوته الذين باعوه، لأن تواضعه هو الذى باعه. لأنه كان قادراً أن يقول للذى إشتراه إنه أخوهم، ولكنه سكت، وباتضاعه بيع، وصار مدبراً لمملكة مصر".

✽ ✽ ✽

★ قال القديس برصنوفوس : إن هذه الفضائل الثلاث الآتية جليلة جداً. ومن يقتنيها يستطيع أن يسكن فى وسط الناس وفى البرارى وحيثما أراد. وهى : أن يلوم الإنسان نفسه، ويقطع هواه، ويصير تحت كل الخليفة.
★ وقال أيضاً : إن المتضع كائن فى أسفل. والذى هو فى أسفل، لا يسقط. أما المتعالى فهو الذى يسقط بسرعة.

✽ ✽ ✽

★ وقال ماراسحق: من سعى وراء الكرامة، هربت منه. ومن هرب منها بمعرفة، سعت إليه .

★ وقال أيضاً: كلما يحقر المتواضع نفسه ويرذل ذاته، كلما تتوافر كرامته عند سائر الخليفة .

★ وقال أيضاً : المتواضع لا يبغضه أحد، ولا يحزنه بكلمة، ولا يزدري به. لأن سيده جعله محبوباً عند الكل. كل أحد يحبه. وكل موضع يوجد فيه، فمثل ملاك الله ينظرون إليه، ويفرزون له الكرامة.

يتكلم الحكيم أو المتفلسف ويسكتونه. ويعطون فرصة للمتواضع أن يتكلم. وأذان الجميع منصتة إلى منطق فمه، يفتشون على معنى فهمه. وكلامه حلو في مسامع الحكماء أشهى من الشهد لذوق آكله .

إن كان الإبتضاع يعلى شأن الأمى والذى لا علم له، فالقوم الأجلاء الأماثل، كم كرامة تظن الإبتضاع يسببها لهم!

✽ ✽ ✽

★ سنل القديس يوحنا الأسيوطى "من هو الإنسان الكامل فى المعرفة؟" فأجاب: هو الذى يحسب جميع الناس أفضل منه .

★ وقال أيضاً "إن عاملنا أنفسنا كخطاة ، لا ندان كخطاة" .

✽ ✽ ✽

★ وقال أحد الآباء : إن قال أحد لرفيقه "اغفر لى" وهو متضع فى قلبه، فإن الشياطين تحترق.

✽ ✽ ✽

★ وقال القديس أوغسطينوس: على قدر ضخامة البناء الذى يُشيد، ينبغى أن يكون عمق الأساس الذى يُحفر إلى أسفل. وكلما يرتفع البناء، هكذا ينبغى أن يخفض الأساس. فإذا كانت القمة عالية جداً، وهى رؤية الله وملكوته وسمائه، يجب إذن أن نعمق الأساس، ننزل إلى تحت بالإبتضاع.. وهكذا ترى البناء أولاً تحت، قبل أن يكون فوق. والقمة لا ترتفع إلا بعد الإبتضاع.

★ وقال أيضاً : إن الاتضاع هو الفضيلة المعبرة بوجه خاص فى مدينة الله، إذ كانت بوجه خاص من مميزات المسيح ملكها. وهو أوصى بها سكانها أثناء غربتهم الحالية على الأرض. وبنفس الوضع تكون الكبرياء التى هى الرذيلة المضادة لهذه الفضيلة، وهى المسيطرة بوجه خاص على الشيطان مقاوم المسيح، هى المميّزة لمدينة الشيطان .

✽ ✽ ✽

★ وقال القديس بلانيوس عن إيمان أحد كهنة الأوثان :

"وذهب وصار راهباً. ومن بداية حياته تمسك جداً بالإبتضاع. وكان يقول: إن التواضع

يستطيع أن يبطل كل قوة المعاند. كما سمعت من الشياطين الذين كانوا يقولون: كلما نثر الرهبان يتحولون إلى التواضع، ويعتذرون بعضهم لبعض. وهكذا يبطلون كل قوتنا".

* * *

★ وقال الشيخ الروحاني : ذخرة المتضع داخله، أى الرب .

وقال أيضاً : من لا يحبك أيها المتضع الطيب، إلا المفتخر والمتقمم الذى أنت غريب عن عمله؟! تأملوا أولئك أولئك الجبابرة أباعنا: كيف طرّقوا لنا الطريق، إذ لبسوا التواضع الذى هو رداء المسيح. وبه رفضوا الشيطان وربطوه بقيود الظلمة.

* * *

★ أنبيا تادرا الذى كان بقيود صلته يربط الشياطين خارج قلايته، كان يجعل نفسه آخر

جميع الناس. ومن الخدمة الكريمة كان يهرب .

★ حقاً إن مسكن الله هو نفس المتواضع، كما قال القديس مار أوغريسي: "يطأطئ المتواضع راسه بروح منسحقة، ويصير مسكناً للثالوث القدوس".

★ وقال القديس سمعان العمودي : الاتضاع هو مسكن الروح وموضع راحته.

★ وقال مار افرام : نجاح عظيم وشرف مجيد هو الاتضاع، وليست فيه سقطة .

* * *

★ وقال مار اسحق : الإِتضاع يتقدم النعمة. والعظمة تتقدم التأديب.

أما عبارته الأولى ، فتوافق قول القديس يعقوب الرسول "يقاوم الله المستكبرين. أما المتواضعون فيعطيههم نعمة" (يع ٤ : ٦). ذلك لأن المتواضعين إذا عملت فيهم النعمة ونجحوا، لا ترتفع قلوبهم بسبب نجاحهم، بل يقول كل منهم مع القديس بولس الرسول "ولكن لا أنا، بل نعمة الله التى معى" (١كو ١٥ : ١٠). ويذكرون باستمرار قول الرب "يدونى لا تقدرون أن تعملوا شيئاً" (يو ١٥ : ٥). بعكس ذلك المتكبر : فإنه كلما عملت فيه النعمة عملاً، ينسبه إلى نفسه فيزداد كبرياءً!

* * *

أما قول مار اسحق "إن العظمة تتقدم التأديب، فلعله أعتد فيها على ما قيل فى سفر

الأمثال:

"قبل الكسر الكبرياء . وقبل السقوط تشامخ الروح" (أم ١٦ : ١٨).

ذلك لأن المتكبر حينما ينتفخ قلبه، تتخلى عنه النعمة فيسقط، حتى يشعر بضعفه فيتضع، ولا يعود ينسب كل نجاح إلى قدرته وكفائه وذكائه.. ناسياً عمل الله فيه! وأيضاً

يسقط هذا المتكبر، لأن الله يقاوم المستكبرين كما قال الرسول (يع: ٤: ٦). ولأن المستكبرين لا يضعون الله أمامهم، ولا يعطون مجداً لله، كما فعل هيرودس الملك "فضربه ملاك الرب وصار يأكله الدود ومات" (أع: ١٢: ٢٣). هكذا تكون نهاية المتكبرين.

✱ ✱ ✱

وللقديس أوغسطينوس تأملات في بعض المزامير الخاصة بالإتضاع :

★ مثل "قريب هو الرب من المنكسرى القلوب، ويخلص المنسحقى الروح" (مز ٣٤: ١٨). وأيضاً "الرب عالٍ ويعاين المتواضعين" (مز ٣٨: ٦)، وكذلك "من مثل الرب إلهنا الساكن في الأعالي والناظر إلى المتواضعات في السماء وعلى الأرض. المقيم المسكين من التراب، والرافع البائس من المذيلة ليجلسه مع رؤساء شعبه" (مز ١١٣: ٥ - ٨).

✱ ✱ ✱

★ فيقول القديس أوغسطينوس: سرّ عظيم يا أختي: الله هو فوق الكل. ترفع نفسك فلا تلمسه. تضع ذاتك فينزل إليك..

إن الله يسكن في الأعالي في السماء. هل تريد أن يقترب إليك؟ إتضع. لأنه على قدر ما ترتفع نفسك، على قدر ما يرتفع هو عنك. أنت تعلم أن الله عالٍ. فإن جعلت ذاتك عالياً مثله، فسيبعد عنك...

الله عالٍ، ويعاين الأشياء المتواضعة في السماء وعلى الأرض. فهل هذه الأشياء المتواضعة التي يعاينها، هي ذات مسكنه العالی، لأنه هكذا يرفع المتواضعين. لذلك فهو يسكن في أولئك الذين يرفعهم إلى الأعالي، ويجعلهم سموات لنفسه.. إنه الرب العالی الساكن في قديسيه.

فإن كان الرب إلهنا يعاين يعاين متواضعات أخرى في السماء غير التي يعاينها على الأرض، فإني أفترض أنه يعاين في السموات المتواضعين الذين دعاهم والذين يسكن فيهم. بينما على الأرض يعاين الذين يدعوهم لكي يسكن فيهم.

✱ ✱ ✱

قال القديس دوروثيوس :

الذى يبني بيتاً ، لا بد أن يضع ملاطاً (مونة) على كل حجر . لأنه إن وضع حجراً على حجر بدون ملاط، فإن الحجارة تسقط والبيت ينهار . فإن كانت الحجارة في بناء النفس هي الفضائل، فإن الملاط يكون هو التواضع. حيث أنه يؤخذ من الأرض، وهو تحت قدمي كل

أحد.. وكل فضيلة تمارس بدون تواضع، ليست هي فضيلة".
*وصدق القديس دوروثيوس . لأن الآباء قد قالوا: كل فضيلة يعملها الإنسان بدون
إتضاع، تكون طعاماً لشيطان المجد الباطل.

✽ ✽ ✽

*وفى ذلك قال ماراسحق أيضاً : كما أن الملح يصلح لجميع المأكّل، هكذا هو
الإتضاع لكل الفضائل. لأن بدونه باطل هو كل عمل وكل فضيلة .

*قال القديس باسيليوس الكبير :

التواضع هو الكنز الذى يحفظ جميع الفضائل ...

✽ ✽ ✽

*وقال القديس مارأوغريس :

"التواضع هو عطية من الثالوث القدوس. هو طريق الملائكة، ونار على الشياطين..
وهو غنى لا يُسرق".

*ويتفق مار اسحق مع مار أوغريس فى أن الإتضاع عطية من الله. فيقول "التواضع
هو موهبة عظيمة. هل يمكن أن يكون إنسان هكذا "مردولاً فى عينى نفسه"؟! هل يستطيع
الطبع أن يغير ذاته هكذا؟! لأجل هذا لا تشك أن التواضع قوة سرّية، حيث لا يتحایل
إنسان أن يكون هكذا، بغير تعصب من كل قلبه.

✽ ✽ ✽

*وقال القديس أوغسطينوس :

.. فلنتمسك بالإتضاع. إن لم يكن لنا حتى الآن، فلنتعلمه. وإن كان لنا، فلا نفقده..
ولنقبل فى هذا العالم وصية الاتضاع، لكى نستحق فى العالم الآخر أن نقبل الرفعة التى
وعد بها المتضعين.

✽ ✽ ✽

*قال مارأوغريس :

الإتضاع سياج يحفظ الصاعد.. وهكذا إذا ارتفعت إلى علو الفضائل، فأنت تحتاج إلى
تحفظ كثير. لأن الذى على الأرض إن سقط، فإنه يقوم سريعاً. وأما الذى يسقط من العلو،
فإنه يعذب إلى الموت .

✽ ✽ ✽

★ قال مارافرام السرياني :

فليؤدبك رسم الذى يكنس بيته: إذا يطأطئ إلى الأرض وينظفه. فكم بالأكثر يحتاج الإنسان أن يطأطئ باهتمام كثير ويتضع من أجل تنظيف النفس، ولا يترك فيها الأشياء التى يمقتها الله .

★ وقال أيضاً : فى النفس المتواضعة يسكن الأب والابن والروح القدس.. وفى الكبرياء يسكن القائل "لأصعدن إلى السماء وأجلس فى الجبل الشامخ، وأرتقى فوق الغيوم، وأصير مثل العلى" (اش: ١٤) .

✱ ✱ ✱

★ وقال ماراسحق :

★ الذى يتكلم على المتواضع بالازدراء والاستهزاء، لا يحسبونه من الأحياء، بل كإنسان قد أطلق لسانه على الله .

★ وقال أيضاً : حتى الشياطين - مع جميع شرورها وافتخار قلوبها - إذا دنت من المتواضع، صارت مثل التراب، وبطل شرها جميعه وكل حيلها وأعمالها.

★ وقال أيضاً : من ذا الذى لا يستحى من رؤية المتواضع!؟

★ قبل أن يظهر مجد التواضع، كان منظره المملوء قدساً محتقراً من كل أحد. أما وقد ظهرت عظمة الإلتضاع فى العالم كله، فإن كل أحد يوقر ويكرم هذا الشبه .

حث على الاتضاع

★ في إحدى المرات سأل أحد الأخوة القديس الأنبا باخوميوس أب الشركة قائلاً: "قل لنا عن منظر من المناظر التي تراها لنستفيد منه"
فأجابه القديس : إن من كان مثلي خاطئاً لا يُعطى مناظر . ولكن إن شئت أن ترى منظرأ بهياً يفيدك بالحق، فإني أدلك عليه وهو : إذا رأيت إنساناً متواضعاً بقلبه طاهراً، فهذا أعظم من سائر المناظر . لأنك بواسطته تشاهد الله الذي لا يُرى. فعن أفضل من هذا المنظر لا تسأل (يقصد أنه يرى في هذا الإنسان صورة الله المتواضع).
* * *

★ قال القديس أوغسطينوس :

أنت تريد أن تحصل على كل شيء. اطلب ذلك عن طريق الإتضاع:
لما قالت المرأة الكنعانية "نعم يارب، ولكن الكلاب تأكل من الفتات الساقط من مائدة أسيادها" سمعت قوله "يا امرأة عظيم هو إيمانك" (مت ١٥ : ٢٧ - ٢٨).
وأيضاً لما قال قائد المائة "لست مستحقاً أن تدخل تحت سقف بيتي" قال الرب "الحق لم أجد ولا في إسرائيل إيماناً عظيماً مثل هذا" (لو ٧ : ٦ - ٩).
فلنتمسك بالاتضاع: إن لم يكن لنا حتى الآن، فلنتعلمه . وإن كان لنا فلا نفقده .
* * *

★ قال أنبا ابراكسيوس :

إن شجرة الإتضاع التي ترتفع إلى العلاء هي التواضع .
وقال أيضاً : تشبه بالعشار ، فلا تدان مع الفريسي .

★ وقال الأنبا أنطونيوس :

أحب الاتضاع ، فهو يغطي جميع الخطايا .

✱ ✱ ✱

★ وقال الأنبا برصنوفوريوس :

اقتنِ الاتضاع ، فإنه يكسر جميع فخاخ العدو .

✱ ✱ ✱

★ وقال الأنبا اشعياء :

أحب الاتضاع ، فهو يحفظك من الخطية .

✱ ✱ ✱

★ وقال الأنبا باخوميوس :

اسلك طريق الاتضاع ، لأن الله لا يرد المتواضع خائباً. لكنه يُسقط المتكبر، وتكون سقطته شنيعة .

احذر من تكبر القلب، لأنه أشنع الرذائل كلها .

★ وقال أيضاً : كن متواضعاً لتكون فرحاً. لأن الفرح يتمشى مع الإِتضاع. كن متضعاً

ليحرسك الرب ويقويك. فإنه يقول إنه ينظر إلى المتواضعين. كن وديعاً، لكي يملكك الرب
حكمة ومعرفة وفهماً. لأنه مكتوب أنه يهدي الودعاء بالحكم، ويعلم المتواضعين طريقه .

✱ ✱ ✱

★ وقال أنبا يوحنا القصير :

يجب قبل كل شيء أن نقوم بالتواضع. لأن هذه هي الوصية الأولى التي قال ربنا عنها

"طوبى للمساكين بالروح، لأن لهم ملكوت السموات" (مت ٥ : ٣).

✱ ✱ ✱

★ وقال الشيخ الروحاني :

تسربل يا أخي بالتواضع في كل وقت، لأنه يُلبس نفسك المسيح معطيه .

✱ ✱ ✱

★ وقال ماراسحق :

حب الاتضاع في كل تدابيرك ، لتخلص من الفخاخ التي لا تُدرك، الموجودة في كل

حين خارج السبل التي يسلك فيها المتضعون .

★ وقال أيضاً : لا تلتمس أن تُكرم وأنت مملوء من الداخل جراحات. ابغض الكرامة

فتكرم. ولا تحبها لنلا تُهان .

من عدا وراء الكرامة هربت منه. ومن هرب منها بمعرفه قصدته، وأذرت كافة الناس باتضاعه .

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QURANIC THOUGHT



★ وقال أيضاً : تواضع فى علوك ، ولا تتعاطم فى حقارتك .. ضع ذاتك، وصغر قدرك عند جميع الناس. فتعلو على الرؤساء فى هذا العالم.

كن أمياً فى حكمتك . ولا تتظاهر بالحكمة وأنت أمدى .

★ وقال كذلك: أيها الإنسان الشقى: إن أردت أن تجد الحياة، تمسك بالإيمان والتواضع، لكى تجد بهما رحمة ومعونة وصوتاً من الله فى قلبك.. وإن أردت أن تقتنى هذين.. تمسك من مبدأ أمرك بالبساطة. واسلك قدام الله بسداجة وليس بمعرفه .

✽ ✽ ✽

★ وقال الشيخ الروحانى :

يقول النبى : الويل للحكيم فى عينى نفسه.. فكن مثل عبد عند مواليه، وليس مثل أخ عند أخوته..

كن الأول فى الأعمال التى يترفع عن عملها غيرك. وكن آخر من يرتب الأمور ويديرها.

البس التواضع فى كل حين، وهو يجعلك مسكناً لله .

★ وقال أيضاً: كما ينبغى للشباب الصوم والنسك، هكذا ينبغى للشيوخ الاتضاع والتنازل. لأجل أنه دائماً يلصق بهم الظن والمجد الباطل. وإلى جهاد النفس يحتاجون، أكثر من جهاد الجسد.

★ وقال أيضاً : الكنز المخفى فى الأرض لا ينقص، ولا يخاف عليه من السارقين. وكنز المعرفة داخل القلب، ما تسلبه أفكار المجد الباطل .

✽ ✽ ✽

وقال مارافرام :

كما أن الجسد يحتاج إلى ثوب، سواء كان الجو دافئاً أو بارداً.. كذلك النفس على الدوام تحتاج إلى رداء الإتضاع .

قنية نفيسة هى تواضع العقل.. اختر أن تمشى عارياً حافياً، من أن تتعرى منه. فإن الذين يحبون التواضع، يسترهم الرب .

★ وقال أيضاً : إذا شاهدت نفسك مكللاً بالفضائل وعالياً فيها، فحينئذ تحتاج بالأكثر

إلى تواضع العقل، لكي تضع أساساً سليماً لعملك، ويثبت البناء مصاناً غير مترعزع .
* لا تعظم شأن نفسك، لأنه ربما توافيك محنة فتوبخ الظانين فيك حسناً. حب التواضع
فإنه سور لا يُنْقَبُ قدام وجه العدو، وصخرة مصادمة تكسر حيل الشيطان .

✽ ✽ ✽

*** قال القديس مقاريوس الكبير :**

الصوم بدون صلاة واتضاع ، يشبه نسرأ مكسور الجناحين .

✽ ✽ ✽

*** وقال ماراسحق :**

إذا سلكت في عمل الفضيلة حسناً، ولم تحسن مذاقة معونتها، فلا تعجب من ذلك. لأنه
إن لم يتضع الإنسان، لن يأخذ مكافأة عمله. المكافأة ليست تُعطى للعمل، بل بالإتضاع.
والذي فقد الاتضاع، فقد ضيع تبعه وعمله .

وقال أيضاً : إن عبرت على جميع منازل الفضيلة، فإنك لن تصادف راحة من تعبك،
ولا اعتقافاً من حيل أعدائك، إلى أن تصل إلى منزل الإتضاع .

✽ ✽ ✽

*** قال القديس الأنبا أنطونيوس :**

"إن نسينا خطايانا، يذكرها لنا الله. وإن ذكرنا خطايانا، لا يذكرها لنا الله" .
لذلك احذر من أن تنسى خطاياك، لئلا تنتفخ وتظن في نفسك الظنون، أو تصير باراً
في عيني نفسك.

وإن جوريت بالبر الذاتي والكرامة، فقل لنفسك : أنا لا استحق شيئاً بسبب خطاياي..
وإن كان الله من فرط محبته ورحمته قد ستر خطاياي على الناس، لكنني أعرفها جيداً ولا
أنساها، لئلا أنكبر باطلاً .

✽ ✽ ✽

*** قال القديس أيسونورس :**

إن شرف التواضع عظيم، وسقوط المتعاضم فظيع جداً. وأنا أشير عليكم أن تلتزموا
التواضع، فلن تسقطوا أبداً.

✽ ✽ ✽

*** وقال القديس أوغسطينوس :**

اتضع في إلهك المتضع ، لكيما ترتفع في إلهك الممجد .

إحذر من التواضع الزائف

ليس التواضع مجرد كلمة ، إنما هو حياة لها قواعدها الروحية، ولها ارتباط بعدد كبير من الفضائل تكون سبباً للإتضاع أو يكون الإتضاع سبباً لها.. وعلينا أن نتأمل كل هذا، ونعرف الوسائل التي توصلنا إلى التواضع ونمارسها .

وأولاً نعرف التواضع الحقيقي ، ونبعد عن التواضع الزائف :

فكثيرون يستخدمون ألفاظ التواضع، وهم بعيدون كل البعد عن روح الإتضاع. وقد يقولون إنهم خطاة ضعفاء، ولا يحتملون إطلاقاً أن يقال لهم مثل هذا. وقد ينحنون برؤوسهم أمام غيرهم. وقلوبهم لا تنحني أبداً ولا أفكارهم.

✱ ✱ ✱

عجبت ذات مرة حينما قرأت إفتتاحية إحدى المجلات القبطية. وكان الكاتب يتحدث عن تواضع السيد المسيح أثناء عماده، وكيف أنه إنحني أمام المعمدان الذي هو أقل منه بما لا يقال. وذلك لكي يكمل كل برّ.

وإذا بالكاتب يختم مقاله بعبارة "اعطنا يارب نحن أيضاً أن ننحني أمام من هم أقل منا، لكي نكمل كل برّ!" مادام هو في أعماقه يعتقد أنهم أقل منه، فهل يُحسب إنحناؤه اتضاعاً!! بينما القلب مرتفع عليهم من الداخل ينظر إليهم في استصغار..!؟

✱ ✱ ✱

وهناك قصة رواها يوحنا كاسيان عن القديس سرايبيون الكبير :

وكيف أن أحد الرهبان الجائلين قد زاره. فلما دعاه القديس إلى أن يبدأ الصلاة أو

التأمل فى الكتاب، قال إنه غير مستحق. ولما دعاه إلى الجلوس على الحصير بدلاً من جلوسه على التراب، قال أيضاً إنه غير مستحق. ثم نصحه القديس أن يثبت فى قلايته، ولا يجول هنا وهناك، حينئذ لم يحتمل، وأحمر وجهه مثل السبع. فقال له القديس سراجيون.

"ليس التواضع يا ابنى، أن تلوم نفسك ملامة باطنة..! إنما التواضع هو فى احتمالك الملامة التى تأتيك من الآخرين".

ولعل حكمة القديس تظهر فى أن البعض قد يصف نفسه بأوصاف متضعة، هو لا يعتقد أنها فى نفسه. أو أنه يصف نفسه بالخطية والضعف؛ لكى يقول الناس عنه إنه متواضع، فيكسب بذلك مدح الآخرين!! ولو قيلت عنه هذه الصفات لغضب. ولو عرف أن الناس سيصدقون ما يقول عن نفسه من عيب، ما كان يقول ذلك مطلقاً.

أما أنت فليكن لك التواضع الحقيقى باقتناع داخلى صادق أنك كذلك: فيك ما تصف به نفسك من نقص .

✱ ✱ ✱

قال مار اسحق محذراً من اتخاذ ألفاظ الاتضاع وسيلة للكبرياء:
'إن حقرت نفسك لكى تكرم، الرب يفضحك..".

"وإن أنت امتهنت ذاتك لأجل الحق، فإن الرب يتقدم إلى براياه فيمدحونك، ويفتحون قدامك باب مجده الذى يتكلم به منذ الأزل، ويمجدونك كالبازى لأنك بالحقيقة تكون على صورته ومثاله".

تواضع الله

أكلمكم اليوم عن أعظم مثل للتواضع، أو هو المثل الحقيقي للتواضع. وأعنى به تواضع الله تبارك اسمه. وكيف ذلك؟

إن الله هو الوحيد الذى يمكن أن يتواضع بحق .

لأنه هو الوحيد العالى جداً، الذى يتنازل من علوه ...

أما الإنسان الذى هو تراب ورماد (تك ١٨ : ٢٧)، والذى كان عدماً قبل أن يكون تراباً. الإنسان الذى كله خطية وإثم، ما هو معنى التواضع بالنسبة إليه؟ ليس هو فى علو لكى ينزل منه، وليس فى كمال حتى يخفيه.. إنما التواضع بالنسبة إليه، هو أن يعرف أصله ويعرف ضعفه، ويعرف خطيته. وكما قال أحد الآباء :

تواضع الإنسان هو أن يعرف نفسه ...

أما الله فهو الكامل فى عظمته، الكامل فى قداسته وفى قدرته، غير المحدود فى كماله.. فهو الوحيد الذى تليق به صفة التواضع . فكيف إذن ظهر تواضع الله، على قدر ما نفهم تواضعه؟ ونقصد تواضع الله بصفة عامة، وتواضع كل أفتنوم على حده :

✱ ✱ ✱

★ كان الله متواضعاً فى خلقه للكائنات . فلم يشأ أن ينفرد وحده بصفة الوجود، فمُنح الوجود لغيره ..

كان وحده منذ الأزل .. ولم يرد - فى تواضعه - أن يظل وحده. فأشرك معه فى الوجود ما لم يكن ...

كثير من الناس - إن وُجد أحد منهم في عظمة أو في منصب - يجمع كل السلطة في يده، ولا يُشرك معه أحداً في عمل أو تصرف..! أما الله، فلم يفعل هكذا، ولم يشأ أن ينفرد. ومنح العدم وجوداً. ومنح البعض منه حياة، بل أيضاً منحه قوة وسلطة!!

* * *

*ومنح البعض من مخلوقاته طبيعة سامية جداً .

مثال ذلك الملائكة "المقصدرون قوة" كما وصفهم المرتل في المزمور (مز ١٠٣ : ٢٠). بل أن واحداً منهم - سطانائيل - الذي صار شيطاناً فيما بعد، قال عنه الرب في سفر حزقيال النبي "أنت خاتم الكمال. ملآن حكمة، وكامل الجمال.. أنت الكاروب المنبسط المظلل.. أنت كامل في طرقك، من يوم خلقت حتى وُجد فيك إثم" (حز ٢٨ : ١٢ - ١٥).

* * *

*ومن تواضع الله أن الكائنات التي تمردت عليه ، لا يزال يبقئها حتى الآن، ويسمح أن يكون لها سلطان وقدره !!

خنوا مثلاً ذلك الشيطان: تمرد على الله، وأراد أن يصير مثل العليّ (أش ١٤ : ١٤). واسقط معه عدداً كبيراً من القوات السماوية، قيل إنهم ملائكته (رو ١٢ : ٧). وكان بإمكان الله أن يفنيه. ولكن من تواضع الله أنه لم يقضِ على هذا العدو المقاوم، بل استبقاه. وترك له سلطاناً، كما قيل عن الأشرار "هذه ساعتكم وسلطان الظلام" (لو ٢٢ : ٥٣). والأكثر من هذا إنه صارت له قوة أن يصنع آيات وعجائب، كما قيل عن ضد المسيح في أيام الارتداد الأخير إن "مجينه بعمل الشيطان بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة، وبكل خديعة الإثم في الهالكين" (٢ تس ٢ : ٩، ١٠).

وكما أتأمل كيف أن في العالم أناساً يشتمون الله، ويجدفون عليه ليل نهار، وأناساً ينكرون وجود الله، ولا يعترفون به، وأناساً يعصون الله ويحرضون على عصيانه.. ومع ذلك يحتمل الله كل هذا السب والتجديف والعصيان، دون أن يفنى مقاوميه.. أدرك في أعماقي مقدار التواضع العجيب الذي يتصف به الله ...

* * *

*ومن تواضع الله ، أنه يبعد عن مظاهر العظمة التي تجلب المديح وتبهر الناس. مثال ذلك ندرة استخدامه للمعجزات!

بإمكان الله أن يبهر الناس كل يوم وكل ساعة وكل لحظة بالمعجزات والآيات

والعجائب، وبالرؤى والاستعلانات والظهورات المقدسة.. فيجعلهم يلهجون بمجده، ويسجدون أمام قدرته، وعلى الأقل يعترفون بوجوده. ولكنه مع ذلك لم يفعل! ويقتصر اجتراح المعجزات على الضرورات النادرة..! إنه يريد أن يجذب الناس إليه بالحب والافتناع، وليس بالعجائب والمعجزات والعظمة...

✽ ✽ ✽

★ الله أيضاً فى تواضعه ، يسمح لأقل الناس أن يخاطبه !

عجيب أن يجد "التراب والرماد" فرصته ليتحدث مع الله، الله الذى تقف أمامه الملائكة ورؤساء الملائكة والشاروبيم والسارافيم، وكل الجمع غير المحصى الذى للقوات السمائية، بكل توقير وخشية...

قد يجد الإنسان صعوبة فى كثير من الأحيان، أن يتحدث مع تراب مثله، إن كان ذلك التراب له منصب عالٍ أو مركز كبير! أما الله فيمكنك أن تكلمه وأن تتفاهم معه. بل من الجائز أن تكلمه، وقد كسرت وصاياها منذ دقائق أو لحظات!

✽ ✽ ✽

وفى تواضع الله ، سمح أن يتحدث حتى مع أشر الخطة !

تنازل وتكلم مع قايين ، أول قاتل على وجه الأرض. ولما قال له قايين "إنك قد طردتني اليوم عن وجه الأرض.. فيكون كل من وجدنى يقتلنى"، أجابه فى عدل وعطف "كل من قتل قايين، فسبعة أضعاف ينتقم منه" (تك: ٤ : ١٤ ، ١٥).

✽ ✽ ✽

وتنازل الله ، فأرسل ملاكاً يتكلم مع بلعام .. وذلك الإنسان المضل الذى أعرش الشعب وألقى معثرة أمامه وجعله يخطئ (رؤ: ٢ : ١٤) ... سمح الله بتواضعه أن ينطق الروح القدس على فمه بنبوءات تعد من أشهر النبوءات عن التجسد (عد: ٢ : ١٧).. حتى أن هذا المضل قال عن نفسه "وحى بلعام بن بعور، وحى الرجل المفتوح العينين، وحى الذى يسمع أقوال الله، الذى يرى رؤى الله، مطروحاً وهو مكشوف العينين" (عد: ٢ : ٣ ، ٤) وقال إنه "يعرف معرفة العلى" (عد: ٢ : ١٦)!

✽ ✽ ✽

والله فى تواضعه ، يأخذ موقف من يستشير أنبيائه :

فعندما رأى أن "صراخ سادوم وعمورة قد كثر، وخطيبتهم قد عظمت جداً" (تك: ١٨ : ٢٠)، وأراد أن يهلكهم، قال "هل أخفى عن ابراهيم ما أنا فاعله؟! (تك: ١٨ : ١٧). ومن

هو ابراهيم هذا الذى تريد يارب أن تخبره قبل أن تجرى مشيئتك؟ أليس هو حفنة من تراب ورماد؟ كلا، يقول الرب، بل "ابراهيم يكون أمة كبيرة وقوية، وتبارك به جميع أمم الأرض" (تك ١٨: ١٨).

ويعرض الرب على ابراهيم، ويعطيه الفرصة والحرية أن يجادله، وأن يقول له "عسى أن يكون خمسون باراً فى المدينة.. حاشا لك أن تفعل هذا الأمر، أن تبعد البار مع الأئيم، فيكون البار كالأئيم! حاشا لك. أديان الأرض كلها لا يصنع عدلاً؟" (تك ١٨: ٢٤-٢٥). وتستمر المناقشة، ويقبل الرب الحوار، بل يقبل بتواضعه الجراءة فى الحوار!

✽ ✽ ✽

ويتكرر الأمر مع موسى النبى عندما أراد الرب أن يقضى ذلك الشعب، الذى صنع عجلاً من ذهب وعبيده (خر ٣٢).

كان الرب قد قرر إقناء ذلك الشعب الخائن. ولكنه نادى موسى أولاً. وقال له "قد فسد شعبك الذى أصعدته من أرض مصر. زاغوا سريعاً عن الطريق الذى أوصيتهم به. صنعوا عجلاً مسبوكاً وسجدوا له، وذبحوا له، وقالوا هذه آلهتك يا اسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر.. فالآن اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأقضيهم.." (خر ٣٢: ٧-١٠).

عجيب هو تواضع الرب فى قوله لعبيده موسى "أتركنى..".

من هو هذا موسى يارب الذى تطلب إليه أن يتركك لتنفيذ مشيئتك؟ على أن موسى هذا لم يتركه ليغضب ويقضى. بل قال له "والآن إن غفرت خطيئتهم. وإلا فامحنى من كتابك الذى كتبت" (خر ٣٢: ٣٢)!! وسمع الرب لموسى، ولم يقضيهم.

يذكرنى هذا الموقف بقصة الرب مع يعقوب وهو يصارعه: إذ قال الرب ليعقوب "اطلقنى، فإنه قد طلع الفجر" فقال يعقوب "لا أطلقك حتى تباركنى" (تك ٣٢: ٢٦).

✽ ✽ ✽

ونلاحظ فى تواضع الرب مع ابراهيم وموسى نقطة هامة وهى :

✽ إن الله سمح لهما فى حوارهما معه بالفاظ تبدو شديدة .

ابراهيم يقول للرب "حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر.. أديان الأرض كلها لا يصنع عدلاً؟" (تك ١٨). وموسى يقول للرب "ارجع يارب عن حمو غضبك واندم على الشر" "لماذا يتكلم المصريون قائلين : أخرجهم بخبث، ليقتلهم فى الجبال، ويقضيهم عن وجه الأرض!" (خر ٣٢: ١٢).

★ إن الرب في تواضعه يسمح لنا أن نناقشه ، بل يطلب منا ذلك بقوله : "هلم نتحاجج، يقول الرب" (أش ١ : ١٨).

هناك أناس لا يقبلون أن يناقشهم أحد فيما يصدرونه من أوامر ومن قرارات. يعتبرون ذلك كبرياء ممن يناقشهم، وتجاوزاً لحدوده. وإقلاً من كرامتهم وهيبتهم. أما الله فإنه في تواضعه يقبل الحوار والنقاش:

✽ ✽ ✽

أيوب الصديق يقول للرب "لا تستذنبني. فهمني لماذا تخاصمني؟ أحسن عندك أن تظلم، أن ترذل عمل يديك؟" (أى ١٠ : ٢، ٣).

وأرميا النبي يقول له "أبر أنت يارب من أن أخاصمك.. ولكنى أكلمك من جهة أحكامك: لماذا تنجح طريق الأشرار؟ اطمأن كل الغادرين غداً!" (أر ١٢ : ١).

وداود النبي يعاتبه قائلاً "لماذا يارب تقف بعيداً؟ لماذا تختفى في أزمنة الضيق؟" (مز ١٠ : ١).

والرب يسمع كل هذا، بتواضعه وسعة صدر، ولا يغضب .

✽ ✽ ✽

★ ومن تواضع الرب إنه يرفع شأن أولاده. وقد يعطيهم ألقابه.

يقول لعبده موسى "انظر. قد جعلتك إلهاً لفرعون (أى سيداً له). وهرون أخوك يكون نبيك" (خر ٧ : ١). ولما اعتذر موسى عن رسالته، بحجة أنه ثقيل الفم واللسان، منحه هرون أخاه، وقال له "تكلّمه وتضع الكلمات في فمه، وأنا أكون مع فمك ومع فمه.. هو يكلم الشعب عنك، وهو يكون لك فماً، وأنت تكون له إلهاً (أى توحى إليه) [خر ٤ : ١٥-١٧].

✽ ✽ ✽

وعندما أراد الله أن يكون لموسى سبعون شيخاً يساعونه، قال له: "إجمع إلىّ سبعين رجلاً من شيوخ إسرائيل الذين تعلم أنهم شيوخ الشعب وعرفاؤه.. فأنزل أنا وأتكلم معك.. وأخذ من الروح الذى عليك، وأضع عليهم" (عد ١١ : ١٦، ١٧).. وفعل الله هكذا (عد ١١ : ٢٥). كان يمكنه أن يمنحهم الروح مباشرة. ولكنه أخذ من الروح الذى على موسى ووضع على السبعين. فلما حلّ عليهم الروح تنبأوا (عد ١١ : ٢٥) . من تواضع الله، أراد أن يشعر أولئك الشيوخ أنهم من أتباع موسى، قد أخذوا من الروح الذى عليه...

وبنفس الوضع رفع الرب من شأن يوسف الصديق، وجعله أباً لفرعون، وسيداً لكل بيته' (تك ٤٥: ٨).

✱ ✱ ✱

✱ والشريعة التي هي شريعة الله، تسمى شريعة موسى .

وهكذا فإن داود الملك قال قبل وفاته لابنه سليمان، "احفظ شعائر الرب إلهك.. كما هو مكتوب في شريعة موسى، لكي تفلح في كل ما تفعل..". (١مل ٢: ٣). وسميت أيضاً "شريعة موسى" في سفر نحemia (نح ٨: ١). وفي سفر دانيال النبي (دا ٩: ١١). إنها شريعة الله. ولكن من تواضعه سميت شريعة موسى .

✱ ✱ ✱

✱ وأسفار الأنبياء أيضاً سميت باسمائهم ، مع أنها كتب الله .

ولكن الله - من تواضعه - سمح أن تُطلق عليها أسماءهم. فيقال سفر صموئيل النبي، وسفر اشعيا، وارميا، وحزقيال، ودانيال، وملاخي .

وربنا يسوع المسيح يقول للكتبة والفريسيين "إن موسى - من أجل قساوة قلوبكم - أذن لكم بالطلاق" (مت ١٩: ٨) ... مع أن الإذن صدر من الله.. ولكن لا مانع أن يُنسب إلى موسى، تواضعاً من الله، ورغبة منه في أن يرفع من شأن أولاده ...

✱ ✱ ✱

وبعد ، يعوزنا في الحديث عن تواضع الله، أن نتحدث عن تواضع أقتنوم الابن، وأقتنوم الروح القدس.

تواضع الابن ، وتواضع الروح القدس

تواضع الابن :

١ - أول شيء نذكره في تواضعه هو تجسده :

وفي ذلك يقول القديس بولس الرسول عن السيد المسيح إنه "لم يحسب خلصة أن يكون معادلاً لله. لكنه أخلى نفسه، أخذاً صورة عبد، صائراً في شبه الناس. وإذ وُجد في الهيئة كإنسان، وضع نفسه.. (فى ٢: ٦-٨) ... أى أنه أخلى نفسه من كل مظاهر العظمة والكرامة اللائقة بلاهوته، متخذاً صورة العبد. أى تواضع يمكن أن يُوجد أكثر من هذا؟
وفي هذا التواضع حكمة التدبير الإلهي: فمادامت الخطية الأولى التي دخلت إلى العالم كانت هي الكبرياء، سواء بالنسبة إلى الشيطان أو الإنسان، لذلك كان يليق بالمخلص أن يقهرها بالاتضاع ...

وهكذا كان تجسده هو أعظم عمل في الإِتضاع. وبه أخزى الرب تلك الكبرياء التي أغوى بها الشيطان أبونا الأولين، بأن يصيرا مثل الله (تك ٣: ٥). ورداً على أن يصير الإنسان مثل الله، صار الله في الهيئة كإنسان بتواضعه .

✱ ✱ ✱

٢ - ومن اتضاع الرب أيضاً أنه وُلد في مزود بقر .

في مكان حقير، ومن أم فقيرة، خُطبت إلى نجار فقير. ومن قرية كانت "الصغرى في يهوذا" هي بيت لحم (مت ٢: ٥، ٦). ولم يخجل من أن يُدعى ناصرياً، بينما يُقال في

استعجاب "أمن الناصرة يمكن أن يكون شئ صالح؟! (يو: ١: ٣٦).

٣ - وفي تواضعه عاش بعيداً عن المظاهر والألقاب :

رضى أن يهرب من سيف هيرودس إلى مصر، بينما كان يمكنه أن يبيد هيرودس. وعاش ثلاثين سنة بعيداً عن الأضواء .
ومع أنه أقنوم الحكمة والمعرفة، "المذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم" (كو: ٢: ٣)،
رضى أن يُقال عنه "وأما يسوع فكان يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس"
(لو: ٢: ٥٢).

وطوال فترة كرازته عاش "وليس له أين يسند رأسه" (لو: ٩: ٥٨). بلا أية وظيفة رسمية في المجتمع، يتبعه تلاميذ بسطاء، غالبيتهم من الصيادين والجهلة. ولما ذهب إلى أورشليم، ذهب إليها ركباً على أتان وجحش ابن اتان" (مت: ٢١: ٥).

٤ - وعاش أيضاً خاضعاً للناموس ، ودعا إلى حفظه .

أليس هو القائل "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس والأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل. فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل" (مت: ٥: ١٧، ١٨) .

وفي خضوعه للناموس أختتن في اليوم الثامن (لو: ٢: ٢١). وفي يوم الأربعين لولادته "صعدوا به إلى أورشليم ليقدموه للرب، كما هو مكتوب في ناموس الرب" "ولكى يقدموا ذبيحة كما قيل في ناموس الرب، زوج يمام أو فرخي حمام" (لو: ٢: ٢٢، ٢٣).
وحسب الناموس لم يبدأ خدمته الرعوية إلا في الثلاثين من عمره .

حسب السن الناضجة المفروضة في أي إنسان. مع أنه قيل عنه وهو في الثانية عشرة من عمره، وجدوه في الهيكل "جالساً في وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم. وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه ومن أجوبته" (لو: ٤٦، ٤٧).

٥ - ومن تواضعه أنه تقدم ليعتمد من يوحنا المعمدان .

كانت تلك معمودية التوبة. وما كان هو محتاجاً إليها وهو القدوس (لو: ١: ٣٥) الذي في تجسده شابها في كل شئ ما عدا الخطية. وقد قبل المعمودية من أحد خدامه، أعنى يوحنا الذي حاول أن يعتذر عن ذلك قائلاً له "أنا المحتاج أن اعتمد منك، وأنت تأتي إلي! فأجابه

فى اتضاع "اسمح الآن، لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر" (مت: ٣: ١٤، ١٥). يقصد برّ الناموس، وقد خضع له تواضعاً ...

* * *

٦ - ومن تواضعه سمح للشيطان أن يجربه !

وليست تجربة واحدة بل ثلاث مرات على الجبل. وبلغ من عمق اتضاعه وإخلائه لذاته، أن الشيطان "أخذَه إلى جبل عالٍ جداً، وأراه جميع ممالك العالم ومجدها. وقال له "أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لى" (مت: ٤: ٨، ٩). بالجرأة الشريـر ووقاحتـه فى استغلاله لتواضع الرب. لذلك بعد أن ردّ الرب عليه بما هو مكتوب، أنهره قائلاً "أذهب يا شيطان". فذهب. ولكن القديس لوقا يقول فى ذلك "ولما أكمل أبلـيس كل تجربة، فارقه إلى حين" (لو: ٤: ١٣). أى رجع بعدها!

* * *

٧ - وفى اتضاع الابن الوحيد ، اللوجوس عائش فى حياة الطاعة :

قال عنه القديس يولس الرسول إنه "وضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب" (فى: ٢: ٨). وهو قال عن نفسه لتلاميذه "لى طعام لأكل لستم تعرفونه أنتم.. طعامى أن أعمل مشيئة الذى أرسلنى، وأتم عمله" (يو: ٤: ٢٢، ٢٤). وقال لليهود "الحق الحق أقول لكم: لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً، إلا ما ينظر الأب يعمل..". (يو: ٥: ١٩). وقال للآب "لتكن لا مشيئتى بل مشيئتك". وقال "ليس كما أريد أنا، بل كما تريد أنت" (مت: ٢٦: ٣٩).

* * *

وطاعته لم تكن للآب السماوى فقط، بل أيضاً لأمه مريم.

قيل فى طفولته ، بالنسبة إلى علاقته بمريم العذراء ويوسف النجار: "وكان خاضعاً لهما" (لو: ٢: ٥٤). أنه درس لنا، هذا الذى كانت الملائكة خاضعة له" (مر: ١: ١٣) (١بط: ٣: ٢٢).

* * *

٨ - ومن تواضعه : أنه كان يجلس مع العشارين والخطاة :

هؤلاء الذين كان الكتبة والفريسيون يحتقرونهم ويترفعون عن مخالطتهم. ولكن الرب اختار واحداً من هؤلاء (متى) ليكون له تلميذاً. وبهذه المناسبة اتكأ فى وليمة أعدها أولئك العشارون، حتى أنتقده الفريسيون (مت: ٩: ٩-١١). فأجاب الرب فى اتضاعه "أنى أريد

رحمة لا ذبيحة. لأنى لم آت لادعو ابراراً بل خطاة إلى التوبة" (مت ٩: ١٣).
 وهكذا أيضاً دعا زكا العشار ودخل إلى بيته .

ومن تواضعه أنه إتكأ في بيوت أعدائه من الفريسيين، كزيارته لبيت سمعان الفريسي
 وسماحه للمرأة الخاطئة أن تلمسه وتمسح قدميه بشعرها، مما أثار شك ذلك الفريسي (لو ٧).

* * *

٩ - ومن تواضع الرب أنه كان يسلك ببساطة مع الكل .

كان يسلك ببساطة مع الأطفال، ومع النساء، ومع عامة الشعب: يكلمهم ببساطة، بلا
 تعالٍ ولا ترفع، كواحد من البشر .

وكان يدعو نفسه ابن الإنسان، أو ابن البشر، في كثير من المناسبات. وقد قيل عنه في
 وداعته إنه كان "لا يخاصم ولا يصيح، ولا يسمع أحد في الشوارع صوته. قسبة
 مرضوضة لا يقصف، وقتيلة مدخنة لا يطفئ" (مت ١٢: ١٩، ٢٠).

* * *

١٠ - ومن تواضعه أنه رفض عمل المعجزات للمظهرية والفرجة .

مثل رفضه تحويل الحجارة إلى خبز، ورفضه أن يلقي نفسه من جناح الهيكل، فتحمله
 الملائكة على أجنحتها (مت ٤).

ولما طلب منه اليهود أن يروا آية منه كموضوع للفرجة Showy، قال لهم "جيل شرير
 وفاسق، يطلب آية ولا تُعطى له آية إلا آية يونان النبي. لأنه كما كان يونان في بطن
 الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض.." (مت ١٢: ٣٩).
 موجهاً أنظارهم إلى موته، لا إلى معجزاته .

* * *

١١ - ومن تواضعه أنه مجّد تلاميذه :

فقال للأب عنهم "المجد الذي أعطيتني، قد أعطيتهم" (يو ١٧: ٢٢). بل قال لهم أكثر
 من هذا "الحق الحق أقول لكم: من يؤمن بي، فالأعمال التي أنا أعملها، يعملها هو أيضاً،
 ويعمل أعظم منها.." (يو ١٤: ١٢). وقال عنه القديس بولس الرسول "الذين سبق فعرّفهم،
 سبق فعينهم.. فهؤلاء مجدهم أيضاً" (رو ٨: ٢٩، ٣٠).

أعطاهم أيضاً أن تبني كنائسه ومذابحه بأسمائهم، وأن ترسم لهم الأيقونات وتوقد أمام
 أيقوناتهم الشموع، وتُرتل لهم المدائح والذكصولوجيات ...

* * *

١٢ - ومن تواضعه أن نعمته تعمل في الناس باختفاء .

علمهم هم هو الذى يظهر . أما نعمة الرب العاملة فيهم، فلا يراها أحد. وقد كشف لنا هذا الأمر القديس بولس الرسول حينما قال: "ولكن بنعمة الله أنا ما أنا. ونعمته المعطاة لى لم تكن باطلة، بل أنا تعبت أكثر من جميعهم. ولكن لا أنا، بل نعمة الله التى معى" (١كو ١٥: ١٠).

✽ ✽ ✽

١٣ - ومن تواضعه أنه احتمل ظلم الأشرار، وقبِلَ الإهانات فى صمت .

شتم وطم، وأهين، وجلد، وأتهم ظلماً. وقبل كل ذلك دون أن يدافع عن نفسه.. ودون أن يرد عليهم شرهم. وقد قيل عنه "ظلم. أما هو فتذلل ولم يفتح فاه، كشاه تساق إلى الذبح" (أش ٥٣: ٧). وصلب بين نصيين "وأحصى مع أئمة" (أش ٥٣: ١٢).

✽ ✽ ✽

١٤ - وفى اتضاعه حمل خطايا العالم :

"هذا الذى لم يعرف خطية، جعل خطية لأجلنا" (٢كو ٥: ٢١). حمل خطايا العالم كله. "كلنا كغتم ضللنا، ملنا كل واحد إلى طريقه، والرب وضع عليه إثم جميعنا. ونحن حسبناه مصاباً ومضروباً من الله" (أش ٥٣: ٤، ٦). وهكذا صلب كفاعل إثم وهو البار. ورضى أن يكون أمام الأب ذبيحة خطية.

✽ ✽ ✽

١٥ - ومن تواضعه أنه جعل صلبه واضحاً أمام الناس كلهم. بينما قيامته الممجدة

لم يظهرها إلا لأفراد قلائل!

وكان يمكن أن تكون تلك القيامة واضحة للكل، بطريقة مبهرة ترد إليه اعتباره أمام اليهود. ولكنه فى اتضاعه لم يفعل ذلك. وترك لتلاميذه أن يبشروا بقيامته وسط شكوك آثارها اليهود ...

✽ ✽ ✽

١٦ - لهذا كله ، دعانا أن نتعلم منه الإِتضاع :

وقال "تعلموا منى ، فإنى وديع ومتواضع القلب" (مت ١١: ٢٩). فجعل أهم ما نتعلمه منه هو الإِتضاع. وفى عظته على الجبل، أعطى الطوبى الأولى للمسكنة بالروح. ثم أعطى الطوبى للودعاء (مت ٥).

تواضع الروح القدس :

١٧ - من تواضع الروح القدس أنه يعمل كل شيء في بناء الكنيسة في سرية واختفاء. فتسمى أعماله هذه بالأسرار الكنسية.

يلد الإنسان الجديد في المعمودية، ويمنحه المغفرة والبنوة دون أن يظهر. وكذلك في سر الميرون يسكن في المؤمن دون أن يظهر. وبالمثل يغفر الخطايا من فم الكاهن دون أن يظهر. وهكذا في باقى أسرار الكنيسة.

✱ ✱ ✱

١٨ - ومن تواضع الروح القدس إنه يتكلم من أفواه الرسل، وينطق فى الأنبياء دون أن يظهر أيضاً .

كما قال السيد المسيح لتلاميذه "..لأن لستم أنتم المتكلمين، بل روح أبيكم هو الذى يتكلم فيكم" (مت ١٠: ٢٠). ولكن الظاهر طبعاً أمام الناس أن الرسل يتكلمون. أما عمل الروح فهو فى الخفاء.

كذلك قيل عن النبوءات "لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان، بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس" (٢بط ١: ٢١). ولكن عمل الروح القدس لا يراه أحد. بل يسمعون النبوة من إنسان .

✱ ✱ ✱

١٩ - بنفس الاتضاع القوة التى يمنحها الروح القدس للخدام .

كما قال السيد المسيح لتلاميذه القديسين "لكنكم ستنالون قوة متى حلّ الروح القدس عليكم. وحينئذ تكونون لى شهوداً.." (أع ١: ٨). والناس كانوا يرون قوة شهادة الرسل ويمدحونهم ويتأثرون بهم . أما عمل الروح القدس فيهم، فكان فى اختفاء، لا يرونه.

٢٠ - وفي اتضاع أيضاً كان الروح القدس يمنح المواهب .

والناس يرون أصحاب المواهب، ويعجبون بهم ويمتدحونهم . بينما من جهة هذه المواهب كلها يقول الكتاب "لكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه، قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء" (١كو١٢ : ١١). ولكن الظاهر هو أصحاب المواهب. أما الروح فعمله في اختفاء...

✽ ✽ ✽

٢١ - هكذا كان الروح القدس يعمل في الكنيسة، والذي يظهر كان هو عمل

الكنيسة. أما الروح فكان يعمل العمل كله في سرية واختفاء .

اقرأ التاريخ كله، وما يحمله من تمجيد لأبطال الإيمان وللكارزين، وآباء الرهبنة، ومعلمي البيعة، بل لقديسى التوبة أيضاً. نرى أن التاريخ يمجدهم ويرفع شأنهم. بينما يرجع الفضل كله إلى عمل الروح فيهم - ذلك الذي عمله الروح تواضعاً في اختفاء...

✽ ✽ ✽

٢٢ - ومن تواضع الروح أنه يرضى أن يسكن في أجسادنا البشرية .

كما يقول الرسول "أم لستم تعلمون أن جسديكم هو هيكل الروح القدس الذي فيكم..". (١كو٦ : ١٩) وأيضاً "أما تعلمون أنكم هيكل الله، وروح الله يسكن فيكم" (١كو٣ : ١٦).

من نحن التراب والرماد؟ وما هي أجسادنا؟ حتى يسكن فيها روح الله؟! أليس هذا

تواضعاً منه؟!

✽ ✽ ✽

٢٣ - ومن تواضع الروح القدس أنه يحتملنا :

يحتملنا ونحن نحزن الروح (أف: ٤ : ٣٠)، ونطفئ الروح (١تس٥ : ١٩)، ونقاوم الروح

(أع٧ : ٥١) بل نرفض الشركة مع الروح بخطايانا!

فليرحمنا الله ، وليجدد روحه فينا .

الباب الثاني :

وَسَائِلُ الْأَرْضِ وَعَلَامَاتِهِ

واحد وأربعون
عَلَامَةٌ وَوَسِيلَةٌ

وسائل الإلتضاع وعلاماته

نود أن نذكر الآن منهجاً واسعاً ومختصراً عن تداريب للإلتضاع، على أن نرجع بشئ من التفاصيل لهذه النقاط التي سنذكرها:

١ - إن كانت الكبرياء هي في الاعتداد بالذات وتعظيمها، يكون التواضع في إنكار الذات.

وتداريب إنكار الذات كثيرة جداً ليس مجالها الآن. وقد وضع السيد الرب إنكار الذات في مقدمة شروط التلمذة له. فقال "إن أراد أحد أن يأتي ورائي، فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني" (مت ١٦: ٢٤). ولاشك أنه بإنكار الذات يصل الإنسان إلى التواضع. لأن الذي ينكر ذاته، لا يمكن أن يبحث لها عن مجد أو عظمة..

✱ ✱ ✱

٢ - وأيضاً : المتواضع المنكر لذاته، لا يدافع عن نفسه :

إنه - في الأمور التي تمسه وحده - لا يبرر نفسه في شئ. ويقبل ما يقال عنه في صمت. مثلما فعل السيد المسيح له المجد، الذي لم يدافع عن نفسه أمام بيلاطس ولا أمام هيرودس. وكذلك فعل يوسف الصديق الذي لم يدافع عن نفسه (تك ٣٩). والقصص كثيرة نتركها إلى موضوع خاص. والمتواضع لا يستثنى قاعدة عدم الدفاع عن النفس، إلا من أجل الغير ...

✱ ✱ ✱

٣ - بل المتواضع يلوم نفسه باستمرار :

سواء بينه وبين نفسه، أو أمام الناس، باقتناع وصدق .

حدث مرة أن البابا ثاوفيلس، زار جبل نتريا الذي كان يسكنه جماعات من المتوحدين. وسأل أبا الجبل عن الفضائل التي اتقنوها.. فأجابته "صدقتي يا أبى لا يوجد أفضل من أن يرجع الإنسان بالملامة على نفسه فى كل شئ". حقاً إن لوم النفس هو فضيلة المتضعين.

✽ ✽ ✽

٤ - ولوم النفس يوصل إلى انسحاق النفس :

أى إلى انسحاق القلب من الداخل، إلى انسحاق الروح لشعوره فى أعماقه بما فى ذاته من نقائص قد تخفى على الناس ولكنها ليست خافية عليه. وهذا الانسحاق الداخلى يبعده عن كل ألوان العظمة من الخارج، وفى نفس الوقت يقربه إلى الله كما يقول المزمور "قريب هو الرب من المنكسرى القلوب، ويخلص المنسحقين بالروح" (مز ٣٤ : ١٨). وأيضاً "الذبيحة لله هى روح منكسرة. القلب المنكسر والمتواضع، لا يرذله الله" (مز ٥١ : ١٧).

✽ ✽ ✽

٥ - ومن مظاهر الانسحاق ، الشعور بعدم الاستحقاق :

كما قال الابن الضال وهو راجع إلى أبيه "لست مستحقاً أن أدعى لك ابناً" (لو ١٥ : ٢١). وكما قال قائد المائة للسيد الرب "يا سيد، لست مستحقاً أن تدخل تحت سقف بيتى" (مت ٨ : ٨). وكما قال القديس يوحنا المعمدان عن السيد المسيح: لست مستحقاً أن أحل سيور حذائه" (يو ١ : ٢٧).

وهكذا فإن المتواضع يشعر أنه غير مستحق لكل احسانات الله إليه، ولا هو بمستحق لما يناله من الناس من الكرامة. لأنه عارف بنفسه..!

✽ ✽ ✽

٦ - وفى شعوره بعدم الاستحقاق ، يحيا حياة الشكر الدائم:

يشكر على كل شئ، لأنه متيقن فى داخله أنه لا يستحق شيئاً.. لذلك كل ما يناله من الله هو بركة، مهما كان قليلاً. لأنه يعرف عن نفسه أنه لا يستحق هذا القليل أيضاً. كذلك هو يشكر على كل لون من معاملة الناس له. فإن عاملوه بإكرام، يشكرهم لأنهم

عاملوه بما لا يستحقه. وإن ظلموه أو أهانوه، يشكر على أنه ينال جزاء خطاياهم على الأرض!

✱ ✱ ✱

٧ - والمتواضع الحقيقي الذي يشعر بخطيئته، يقبل كل ما يأتي عليه .

ويقول في نفسه "لو أن الله عاملني حسب خطاياي، ما كنت أستحق أن أعيش". ويرى أن كل الإهانات والمتاعب التي تصيبه، هي أقل من استحقاقه بكثير، ويقبلها بشكر...
مثال ذلك داود النبي والملك: لما شتمه شمعى بن جيرا بشتائم مؤلمة، رفض أن يعاقبه أتباعه، وقال: "الله قال لهذا الإنسان اشتم داود" (٢صم ١٦: ١٠). واعتبر ما حدث له نتيجة طبيعية لما سبق من خطاياهم...

✱ ✱ ✱

٨ - الإنسان المتواضع - في إسحاقه - يجعل خطيئته أمامه في كل حين .

إنها تذلة من الداخل، وتعصر عينيه بالدموع، وتزيد من إسحاقه، وتذكره بضعفه. لا ينسى خطاياهم مهما غُفرت ومهما محاها له الله! مثلما بكى داود على خطاياهم بعد غفرانها، وقال في المزمور الخمسين "خطيئتي أمامي في كل حين" .. ومثلما ذكر بولس الرسول خطاياهم. وقال "لست مستحقاً أن أدعى رسولاً، لأنني اضطهدت كنيسة الله" (١كو ١٥: ٩).

✱ ✱ ✱

٩ - المتواضع - مهما بلغ من رفعة - يشعر باستمرار أنه ناقص ومقتصر، وأنه لم

يصل بعد إلى ما ينبغي عليه فعل!

القديس بولس الرسول الذي صعد إلى السماء الثالثة (٢كو ١٢: ٢)، والذي تعب أكثر من جميع الرسل (١كو ١٥: ١٠). كان يقول "لست أحسب أنني أدركت أو نلت شيئاً" ولكنني أسعى لعل أدرك.. (في ٣: ١٢)، هذا الذي خشى الله عليه من كثرة الاستعلانات (٢كو ١٢: ٧).

والقديس أرسانيوس العظيم، الذي كان يقضى الليل كله في الصلاة، والذي كان رجل وحدة وصمت أكثر من الجميع، والذي تساقطت رموش عينيه من كثرة البكاء، والذي كان القديسيون يطلبون بركته، وقد أتاه البابا ثاوفيلس يطلب كلمة منقعة.. أرسانيوس هذا: ما كان يشعر أنه بدأ الطريق الرهباني بعد! بل كان يصلح "هبنى يارب أن أبداً!"

✱ ✱ ✱

١٠ - الإنسان المتواضع لا يتحدث عن نفسه حديثاً يجلب المديح .

نفسه هذه التي يلومها باستمرار ويعرف نقائصها، من غير المعقول أن يتحدث عن مواقف عظيمة لها تجلب المديح! إن الفريسي لم يتبرر أمام الله، لما وقف في الهيكل يتحدث عن فضائله أمام الله في صلاته! (لوقا: ١٨: ١٢).

لذلك فإننى أتعجب من إنسان حديث العهد بالتوبة، يدعو البعض أن يقف على منبر كنيسة أو جمعية، ليحكي اختباره للناس حتى ينتفعوا بها روحياً... فيقف ويحكي كلاماً يُمدح عليه!

✱ ✱ ✱

١١ - إن كان الحديث عن النفس يفسح مجالاً للقنوة، فالإنسان المتواضع لا يجعل نفسه قنوة لغيره.

إنه يقول لنفسه "من أنا حتى أكون قنوة لغيري؟! أنا الذى وقعت فى كذا وكذا من السقطات!". وإن كانت القنوة فى التوبة والرجوع إلى الله، فأنا لم أتب بعد. ومازلت فى الموازين إلى فوق. وفى كل يوم أسقط ...

✱ ✱ ✱

١٢ - المتواضع يشعر بتفاهة الكبرياء وخطورتها وتفاهة المجد الباطل .

فما قيمة المديح الذى يأتى من الناس؟! ما بطلانه وما فائدته! بل كم هى أضراره الكثيرة التى تخرب النفس!.. باطلة كل أمجاد الدنيا وتافهة! "الكل باطل وقبض الريح" (جا: ١٤). ليس شئ من هذه الأمجاد ثابتاً، ولا دائماً، ولا نافعاً. ولا شئ منها يصحب الإنسان فى أبديته، أو يشفع فيه أمام الله...

إن النفس الصغيرة هى التى تفرح بإعجاب الناس ومديحهم .

وكما كبرت النفس ورجعت إلى صورتها الإلهية، لا يبهرها مطلقاً أى شئ من أمجاد العالم ومن مديح الناس... وبخاصة إذا كان ما يقوله الناس عكس ما يعرفه الإنسان عن نفسه، وعكس ما يشعر به فى داخله.

✱ ✱ ✱

١٣ - لذلك فالإنسان المتواضع يهرب من محبة المديح والكرامة .

لا يشتهى ذلك ولا يسعى إليه. وإن أتاه المديح ، لا يجعله ينحدر من أذنيه إلى قلبه. لا

يفرح به في داخله، بل يدرك تماماً أنه غير مستحق له.. ولذلك لا يصدق، أو على الأقل لا يتأثر به مهما كان صحيحاً...

وربما يتخذ هذا المديح مجالاً لتبكيته نفسه. ويقول في ذاته: لعلى قد صرت مرثياً إلى هذا الحد، الذي أظهر فيه للناس بغير حقيقتي!

✽ ✽ ✽

١٤ - من صفات المتواضع أنه ينسب كل أعماله الطيبة إلى نعمة الله .

إنه يرجع الفضل إلى الله في كل خير يفعله. يقول مع القديس بولس الرسول "لا أنا، بل نعمة الله العاملة معي" (١كو١٥: ١٠) ويتذكر قول الرب "بدوني لا تقدرون أن تعملوا شيئاً" (يو١٥: ٥). وهكذا يحول حديث المديح إلى الله ونعمته وعمله. وإن حورب من الداخل بأنه قد فعل شيئاً، يقول لنفسه "بنعمة الله أنا ما أنا" (١كو١٥: ١٠).

✽ ✽ ✽

١٥ - والمتواضع بقدر إمكانه يخفي بره عن الناس :

يدرب نفسه على عمل الفضيلة في الخفاء على قدر ما يستطيع. ويهتم بالفضائل الداخلية أكثر من الفضائل الظاهرة. ويجعل أمامه قول الرب عن الذين يريدون أن يظهروا أعمالهم الحسنة للناس "الحق أقول لكم إنهم قد استوفوا أجرهم" (مت٦: ٥).

✽ ✽ ✽

١٦ - بل يحاول أن يخفي بره حتى عن نفسه :

حسب قول الرب "لا تجعل شمالك تعرف ما تفعله يمينك" (مت٦: ٣). فمثلاً يعطى دون أن يحصى ما يعطيه.. ويحاول أن ينسى كل ما فعله من خير، حتى لا يكون ظاهراً أمامه. وحتى لا يكون في فكره ولا في ذاكرته. ولا تحاربه به نفسه. ولا يعتبر ذلك الخير من أعمال قدرته هو. بل الله قد فعل ذلك الخير بواسطته. وكان يمكن أن يعمله بواسطة غيره، وبطريقة أفضل.. ويتذكر نقائصه في عمل هذا الخير، ويلوم نفسه عليها.

✽ ✽ ✽

١٧ - والمتضع يمتدح غيره لا نفسه :

في كل عمل ناجح يقوم به، يذكر الجانب الذي ساهم به غيره في إنجاح العمل، وأهمية ما فعله الآخرون ممتدحاً ما قاموا به، ناسياً نفسه.

وفوق الكل يذكر يد الله في نجاح العمل. وهكذا يختفى لكي يظهر الله، ولكي يظهر غيره من الناس.

وفى كل ما يعمل، يحب الخير فى ذاته، لا فى أجره، ولا فى تقدير الناس له.

✽ ✽ ✽

١٨ - على المتضع أن يهرب من العظمة وكل مظاهرها وكل مصادرها .

يهرب من محبة الرئاسة والقيادة، ومن محبة السيطرة والنفوذ، ومحبة العظمة والتعالى على الآخرين، ومحبة التقدم على غيره. فكلها أسباب تؤدى إلى الهلاك. وقد نهانا الرب عنها حينما قال لتلاميذه القديسين:

"أنتم تعلمون أن رؤساء الأمم يسودونهم، والعظماء يتسلطون عليهم.. فلا يكون هكذا فيكم. بل من أراد أن يكون فيكم عظيماً، فليكن لكم خادماً.. ومن أراد أن يكون فيكم أولاً، فليكن لكم عبداً.. كما أن ابن الإنسان لم يأت ليخدم بل ليخدم، وليبذل نفسه فدية عن كثيرين" (مت ٢٠: ٢٥ - ٢٨).

✽ ✽ ✽

١٩ - فإن وُضع إنسان فى مركز كبير، فليسلك فيه ببساطة وإتضاع، ولا يتعالى

على غيره.

ما أجمل أن ينسى مركزه، ويتعامل مع الناس فى محبة. بحيث لا يرتفع قلبه، ولا يتعامل مع غيره فى تعالٍ أو فى كبرياء، كأنهم أدنى منه أو أقل. ولا يزدرى بأحد. ولا يستخدم سلطته لإخضاع غيره.

لا يتعامل معهم مثلما كان هامان يتطلب احتراماً معيناً من مردخاى (إس ٣: ٥، ٦).. بل يتعامل مع الناس مثل داود، الذى كان وهو قائد جيش شاول الملك، يختلط مع الشعب فى مودة "وكان جميع اسرائيل ويهوذا يحبون داود، لأنه كان يخرج ويدخل أمامهم (اصم ١٨: ١٦).

المتواضع يتعامل مع رؤوسيه كزميل وصديق ويشعرهم بمحبة .

إن السيد المسيح كان يدعو تلاميذه أخوة. وقد قال لهم "لا أعود أسميكم عبداً.. لكنى قد سميتكم أحبباء" (يو ١٥: ١٥). وقيل عنه إنه شابه أخوته فى كل شئ (عب ٢: ١٧).

✽ ✽ ✽

٢٠ - المتواضع يحتمل الكرامة، فلا يرتفع قلبه بسببها .

ومهما نال من كرامة، لا ينسى أنه إنسان، وأنه تراب ورماد. بل على العكس يتواضع بالأكثر، لكي يقيم توازناً بين داخله وخارجه. وإن وصل إلى مركز رفيع أو نال جاهاً أو مالاً أو سلطاناً، فليذكر قول القديس أنطونيوس الكبير: "إن احتمال الكرامة أصعب من احتمال الإهانة". أما الذي يرتفع قلبه، فإنه يذكرنا بقول الشاعر :

لما صديقي صار من أهل الغنى .. أيقنت أنني قد فقدت صديقي

✱ ✱ ✱

٢١ - المتواضع يحاول باستمرار أن يتخذ "المتكأ الأخير" .

وذلك حسب وصية الرب (لوقا ١٤ : ٧-١٠). وما أجمل قول الشيخ الروحاني في ذلك "في كل موضع حللت فيه، كن صغير أخوتك وخدمهم". ليس فقط أن لا تتعالى عليهم، بل أن تكون أصغرهم وخدمهم. وهو في ذلك يقدم كل إنسان على نفسه، حسب قول الرسول "مقدمين بعضكم بعضاً في الكرامة" (رو ١٢ : ١٠).

وكما أنحنى السيد الرب وغسل أرجل تلاميذه (يو ١٣)، يكون هو أيضاً مستعداً أن ينحنى ويخدم الكل، مهما كانوا أصغر منه.

وهكذا نرى الكهنة والمعلمين في كنيستنا يدعون أنفسهم خداماً .

وهنا نذكر الصلاة التي صلى بها القديس أوغسطينوس من أجل شعبه قائلاً "أطلب إليك يارب من أجل سادتي، عبيدك". فقال عنهم "سادتي" مع أنهم أولاده ورعيته .. على أننا نريد أن يكون تعبير "خادم" ليس مجرد لفظ أو لقب، إنما يستعمله صاحبه بكامل دلالاته ومعناه.

✱ ✱ ✱

٢٢ - الإنسان المتواضع يضع أمامه فضائل القديسين وعلوها، فتصغر أمامه كل أعماله الفاضلة :

فإن حورب بفضيلة أتقنها، يتذكر المستوى العالي الذي وصل إليه القديسون في هذه الفضيلة بالذات، ويقارن نفسه بهم، فيرى أنه لا شيء، وتصغر نفسه في عينيه في كل ما فعله من بر. أما الخطورة فهي أن يقارن الشخص نفسه بالمبتدئين أو بالساقطين والخطاة، فيرى أنه أفضل منهم. كما فعل ذلك الفريسي الذي وقف في الهيكل يصلي وقال "أشكرك

يارب أنى لست مثل سائر الناس الخاطفين الظالمين الزناة ولا مثل هذا العشار" (لو ١٨):
١١).

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QURANIC THOUGHT



٢٣ - بل المتواضع يضع أمامه الكمال المطلوب منه، فيرى أنه لم يصل بعد إلى شئ.

يتذكر قول السيد الرب "كونوا أنتم أيضاً كاملين، كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل" (مت ٥: ٤٨). ويرى أن المسافة طويلة بينه وبين هذا الكمال المطلوب، فيتضع قلبه ويشعر أنه لا يزال فى الموازين إلى فوق (مز ٦٢: ٩). ويردد نفس العبارات التى وُصف بها بيلشاصر الملك "وَزُنْتُ بالموازين، فوُجِدْتُ ناقصاً" (دا ٥: ٢٧). وهكذا يتضع قلبه إن تذكر المطلوب منه.

فإن كانت المحبة هى أول ثمرة من ثمار الروح الكثيرة (غل ٥: ٢٢، ٢٣). وللمحبة برنامج طويل ذكره بولس الرسول فى (١كو ١٣) ولأن لم يدرك بعد أعماق هذه المحبة، ولم يستكمل مستلزماتها، فماذا يقول إذن عن باقى ثمار الروح التى ليس لها منها شئ؟! بل يذكر أيضاً قول الرب "متى فعلتم كل ما أمرتم به، فقولوا إننا عبيد بطلون، لأننا إنما عملنا ما كان يجب علينا" (لو ١٧: ١٠). ويقول: حقاً، إننى لم أصل بعد إلى درجة هؤلاء العبيد البطلين!



٢٤ - الإنسان المتواضع، يتواضع أيضاً من جهة المعرفة والفهم:

يضع أمامه قول الكتاب "لا تكن حكيماً فى عيني نفسك" "وعلى فهمك لا تعتمد" (أم ٣: ٧، ٥). ويبعد عن المعرفة التى تتفخ (١كو ٨: ١). وليذكر قول مار اسحق إن "الذى يفتخر بالمعرفة، يسقط فى البدعة والهرطقة". وقد سقط فيها أريوس ونسطور وأوطاخى. وكانوا من المعتدين بمعرفتهم ومراكزهم، وواقفين فى أنفسهم بعمق علمهم!



٢٥ - المتواضع لا يكون عنيداً، متشبثاً برأيه.

لأنه توجد عجرفة فكرية عند البعض. عظمة فى الاعتداد بالرأى والتشبث به، مهما كان شاذاً أو خاطئاً. وعدم قبول معارضة له، أو حتى مناقشته! بحيث يثور هذا الشخص

إذا نُسب إلى فكره أى خطأ، ويحتد ويتكلم بخشونة وربما باهانة. كما لو كانت لفكره عصمة ترفعه فوق المناقشة أو التحليل. **THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURĀNIC THOUGHT**

أما المتواضع، فإنه سهل فى التفاهم ، يقبل الرأى الآخر مهما كان معارضاً له، ويقبل الحوار والنقاش بطيبة قلب .

✱ ✱ ✱

٢٦ - الإنسان المتواضع يحب التلمذة، ويقبل التعليم والتوبيخ .

إنه لا يرى مطلقاً أنه قد وصل إلى درجة من المعرفة لا تقبل الزيادة. بل باستمرار يريد أن يعرف ويتعلم ويستزيد. ويعيش طيلة عمره يتلمذ على الكتب، وعلى الناس، على الآباء والمرشدين، وعلى الطبيعة، وعلى الأحداث.. ولا يظن أنه وصل فى المعرفة إلى المستوى الذى يعطى فيه باستمرار دون أن يأخذ ...

وفى اتضاعه يتقبل كل رأى باتضاع، إن كان سليماً. ويشكر عليه، ويعترف أنه قد استفاد. وإن كان الرأى خاطئاً، لا يجرح صاحبه، بل يناقشه فى هدوء واتضاع.

✱ ✱ ✱

٢٧ - والإنسان المتواضع يكون دائماً بعيداً عن الغضب وثورة الأعصاب.

وكما قال القديس دوروثيوس فى ذلك "إن المتواضع لا يغضب من أحد، ولا يُغضب أحداً".

فهو لا يغضب من أحد، لأنه باستمرار يأتى بالملامة على نفسه فى كل شئ. وهو لا يُغضب أحداً، لأنه يطلب بركة كل أحد، ولأنه يعتقد فى أعماقه أن كل أحد أفضل منه. ولذلك نرى أن الإِتضاع يرتبط دائماً بالهدوء والوداعة.

حقاً إنه ليس كل هادئ متواضعاً. ولكن كل متواضع لابد أن يكون هادئاً، وأن يكون وديعاً طيب القلب.

✱ ✱ ✱

٢٨ - والمتواضع بطبعه سهل التعامل مع غيره بسيطاً فى تعامله :

إنه لا يفترض باستمرار أنه على حق، وأن من يعارضه على باطل. ولا مانع لديه من أن يتنازل عن رأيه إن ثبت له أنه خطأ. بل أيضاً يشكر من وجهه إلى أن ذلك خطأ، ويفعل ذلك بحب حقيقى.

وفي النقاش لا يقاطع غيره، ولا يسكته لكي يتكلم هو. ولا يسخر من الآراء المعارضة له. ولا يحاول أن يتهم على غيره. بل قد يثبت له خطأ فكره في لطف دون أن يجرح مشاعره أو أن يسئ إليه. فهكذا كان يفعل القديس ديديموس الضرير مدير الكلية الإكليريكية في حبرية البابا أثناسيوس. فاستطاع في حوارهِ مع الفلاسفة الوثنيين أن يكسب الكثيرين منهم إلى المسيحية. وكانوا جميعهم يحبونه.

✱ ✱ ✱

٢٩ - أيضاً المتواضع لا يرتفع قلبه مهما نما في الروح وفي الفضيلة.

ومهما نال أيضاً من مواهب روحية. بل يعتقد باستمرار أن كل الحياة الروحية التي صارت له، هي من عمل النعمة فيه، من عمل الروح القدس معه، عن غير استحقاق منه. وأنه بدون الله لا يقدر أن يعمل شيئاً (يو ١٥ : ٥). فعليه أن يشكر لا أن يفخر. والمتواضع يعرف أنه إذا افتخر بشئ، ستتخلى النعمة عنه، لكي يشعر بضعفه، ويتضع أمام الله. ويذكر باستمرار قول الكتاب:

"قبل الكسر الكبرياء. وقبل السقوط تشامخ الروح" (أم ١٦ : ١٨).

وهكذا يذكر أنه "تحت الآلام" مثل غيره (يع ٥ : ١٧). وأنه ليس أكبر من السقوط، وليس معصوماً منه. فإن الخطية "طرحت كثيرين جرحى، وكل قتلها أقوىاء" (أم ٧ : ٢٦).

✱ ✱ ✱

٣٠ - لذلك فهو أمام جميع الخطايا لا يفقد احتراسه، ولا يقلل صلواته .

لا يقول عن بعض الخطايا إنها من النوع الذي يحارب المبتدئين، وليس النامين في الروح مثله!! وأنه أكبر من مستوى مثل تلك الحروب، أو أنه قد داس الشيطان تحت قدميه!!

بل هو - في كل محاربات الشيطان - يطلب معونة من الله، مصلياً بقوة، مهما بدت الحرب بسيطة. ذلك لأنه لا يعتمد مطلقاً على قوته الخاصة ولا على انتصاراته السابقة.

✱ ✱ ✱

٣١ - والإنسان المتواضع لا ماع لديه من أن يستشير .

فالذى يستشير، إنما يشعر أن هناك عند غيره ما ينقصه من معرفة. ولا يظن مطلقاً أنه غير محتاج إلى رأى أو حلول من غيره كما يفعل المتكبرون. بل هو يستشير ويعمل

بالمشورة الصالحة، واثقاً أنه - مهما أوتى من علم وخبرة - هناك من هو أعلم منه في أمور معينة...

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT



وحتى إن لم يستشر، وجاءه رأى صائب تطوع به أحدهم دون طلب منه، يأخذ الفائدة التي في هذا الرأى، مهما كان صاحب الرأى أصغر منه أو أقل شأنًا.

❖ ❖ ❖

٣٢ - ومن صفات المتواضع الطاعة والاحترام لمن هو أكبر منه .

سواء كان ذلك الكبير أكبر منه سنًا، أو أكبر منه مقامًا، أو أكبر منه فى القامة الروحية أو فى العلاقة الاجتماعية.

وعموماً فالمتواضع لا يستصغر أحداً. فهو يعامل الكل بلطف، حتى الصغار والخدم. ويرفع بذلك من روحهم المعنوية، ويشعرهم بأن نفوسهم كريمة فى عينيه.

❖ ❖ ❖

٣٣ - الإنسان المتواضع يظهر إتضاعه الروحى فى إتضاع جسده أيضاً .

يظهر إتضاعه فى ملامح وجهه، وفى نبرات صوته، وفى نظرات عينيه. فهو ينظر إلى الناس فى وداعة. ليست له النظرات المتعالية، ولا ينظر إلى الناس من فوق. وصوته هادئ: يتكلم بلطف، لا بسلطان. لا يحتد على أحد، ولا يتكلم بشدة ولا بنبرات متكبرة، ولا بصوت عالٍ، ولا باحتقار أو استصغار لأحد فى عدم ردّه. إنما بلطف يتحدث مع كل أحد..

ويظهر إتضاعه أيضاً فى طريقة مشيه. فلا يمشى فى زهو أو فى خيلاء. وفى جلوسه أيضاً يجلس فى أدب، لا ينتفخ فى مظهره...

ويبعد عن العظمة فى مستوى ملابسه وأدواته وأثاثاته وحياة الترف. لا يشعر الناس فى منظره ومظهره أنه فى مستوى عالٍ، أو مستوى أعلى منهم.

ولغته تدل عليه : فهو لا يتغنى بأعمال قام بها، ولا يفتخر. ولا يعقد مقارنات بينه وبين الآخرين، تدل على تفوقه ومقدار ارتفاعه عليهم وإدراكه ما لا يدركون.

❖ ❖ ❖

٣٤ - والمتضع يظهر إتضاعه أيضاً فى أسلوب عبادته وصلواته.

فهو يدخل إلى الكنيسة فى خشوع. حسبما قال داود النبى "أما أنا فيكثره رحمتك أدخل

إلى بيتك. وأسجد قدام هيكل قدسك بمخافتك" (مز ٥ : ٧). ويقف فى مهابة تليق بالصلاة وبالوجود فى حضرة الله. كما قيل عن الشاروبيم والسارافيم إنهم وقوف قدامه: بجناحين يغطون وجوههم، وبجناحين يغطون أرجلهم (أش ٦).

يحفظ حواسه جيداً، ولا ينشغل عن الصلاة بشئ. ولا يزاحم غيره فى وقت التناول من الأسرار المقدسة. بل يتقدم إليها كغير مستحق..

ولا يجلس فى الوقت الذى ينبغى فيه الوقوف. لذلك عند مباركة الطعام فى مائدة بيته، لا يصلى وهو جالس... بل هو فى كل مناسبة، يحتفظ بمهابة الصلاة.

كذلك يحتفظ المتواضع بخشوعه فى فترة صومه. لأنها فترة تذلل أمام الله، والتذلل يليق به الاتضاع. ولتذكر فى هذه المناسبة ما قيل عن صوم أهل نينوى إنهم "نادوا بصوم، ولبسوا مسوحاً من كبيرهم إلى صغيرهم. وبلغ الأمر ملك نينوى. فقام عن كرسية، وخلع رداءه عنه وتغطى بمسح. وجلس على الرماد" (يون ٣ : ٥، ٦).

٣٥ - والمتواضع إذا أخطأ، وانكشف له ذلك، فإنه يعترف بخطئه.

ما أصعب الاعتراف بالخطأ على إنسان متكبر! يشعر أن ذلك يقلل من قدره ومن كرامته أمام الآخرين. أما المتواضع، فإنه لا يحاول أن يتهرب من مسئولية أخطائه أو يغطى عليها، أو يبرر ذاته بالأعذار. ولا مانع عنده من أن يقول "أخطأت فى هذا الأمر". يقول "أخطأت" أمام الله، وأمام الناس، وفى أعماق نفسه، بكل إقتناع. إن نفسه ليست معصومة فى نظره.

المتواضع ليس "باراً فى عينى نفسه" (أى ٣٢ : ١). فهو بعيد كل البعد عن البر الذاتى. ويعرف عن أخطائه أكثر مما يعرفه الناس عنه.

٣٦ - من الوسائل التى تساعد على الإلتضاع: حياة التوبة الحقيقية، وما يصحبها من فضائل.

فالإلتضاع هو إنسان شاعر بتقل خطاياها، وخطيته أمامه فى كل حين (مز ٥٠)، يذكرها متذلاً أمام نفسه وأمام الله، شاعراً أنه غير مستحق لشئ. وهو باستمرار يلوم نفسه ويبكتها على سقطاتها وضعفاتها ونقائصها. وهو فى كل ذلك يطلب صلوات وبركة

كل أحد.. لذلك يسلك باتضاع، ولا يتكبر على أحد. لأن تذكارات ضعفاته يخزيه من الداخل، ويمنع عنه الكبرياء من الخارج...

وكلما بُعد الإنسان عن مشاعر التوبة وحرارتها ودموعها، أصبح في خطر أن يفقد إتضاعه.. ولذلك سعيد من يحيا في التوبة على الدوام. لا يعتبر أنها مجرد مرحلة من مراحل حياته وقد عبرت. بل هو في كل يوم من أيام حياته يخطئ. وكما قال القديس يوحنا الرسول "إن قلنا إنه ليس لنا خطية، نضل أنفسنا وليس الحق فينا" (١يو: ٨).

✱ ✱ ✱

٣٧ - من وسائل الإِتضاع أيضاً : الصمت وعدم إدعاء المعرفة .

إنه يعرف أن كثرة الكلام لا تخلو من معصية" (أم: ١٠: ١٩) فيقول في نفسه "تكفى معاصي السابقة". ويردد عبارة القديس أرسانيوس "كثيراً ما تكلمت فندمت". لذلك فهو يفضل الصمت. ويرى أن الاستماع أفضل من التكلم. ففي الاستماع يستفيد معرفة. وفي التكلم يعرض نفسه للخطأ. مردداً عبارة موسى النبي "لست أنا صاحب كلام، منذ أمس ولا أول من أمس" (خر: ٤: ١٠).

ويتذكر قصة القديس الأنبا أنطونيوس، الذي سأل بعض تلاميذه عن آية معينة. فأخذ كل منهم يذكر لها تفسيراً، ما عدا الأنبا يوسف الذي قال "لا أعرف". فقال له القديس الأنبا أنطونيوس "طوباك يا أنبا يوسف، لأنك عرفت الطريق إلى كلمة: لا أعرف".

وبينما يجلس المتواضع صامتاً في وقار يحترمه الناس، نرى الإنسان المتكبر يحشر نفسه في كل موضوع مهما كان في غير تخصصه! ويجب على كل سؤال، سواء كان يعرف أو لا يعرف. أما المتواضع - فإن يضطر إلى الكلام - يجب في هدوء عما يوقن به. ولا مانع من أن يقول أحياناً: لا أعرف. أو سأحاول أن أدرس هذا الموضوع.

✱ ✱ ✱

٣٨ - الإنسان المتواضع يشعر أنه في حاجة إلى معونة من القديسين:

لذلك فهو في كثير من الأمور لا يعتمد فقط على صلواته الخاصة. إنما يطلب من القديسة العذراء، ومن الملائكة الأبرار، ومن أرواح الشهداء والقديسين أن يسندوه في جهاده، وأن يشفعوا فيه أما الله هو وكل الذين له. ويقول للرب في صلاة الأجيبة: أحطنا يارب بملائكتك القديسين، لكي نكون في معسكرهم محفوظين ومرشدين..

ولا يرتفع قلبه فيقول : لست فى حاجة إلى وساطة من أحد هؤلاء! إن لى صلتى المباشرة بالله! فلماذا أطلب من العذراء، أو من مارجرجس أو من الملاك ميخائيل؟! متذكراً أن القديس بطرس الرسول - فى ليلة العشاء السرى - طلب من زميله القديس يوحنا الحبيب، الأصغر منه سناً، أن يسأل الرب عن سيسلمه. وكان كذلك (يو ١٣: ٢٣-٢٥).

بل المتواضع يطلب صلوات كل أحد. وهوذا القديس بولس الرسول يطلب من شعبه فى أفسس أن يصلوا لأجله بكل صلاة وطلبية فى كل وقت، لكى يُعطى كلاماً عند افتتاح فمه ليُعَلِّمَ بالإنجيل (أف: ٦: ١٨، ١٩).

✱ ✱ ✱

٣٩ - والإِنسان المتواضع لا يطلب أن يكون من أصحاب الرؤى، أو من صانعى المعجزات والعجائب .

إنه لا يشتهى هذه الشهوة ولا يطلبها، لأنه يعرف مقدار ضعفه وهبوط مستواه الروحى. بل القديسون الكبار كانوا يخشون هذا الأمر لئلا يحاربهم الكبرياء والمجد الباطل. ويذكرون قول الرب لتلاميذه عن مثل هذا الأمر "لا تفرحوا بهذا.." (لو ١٠: ٢٠).. والمتواضع يذكر أن كثيراً من الذين صنعوا آيات وعجائب لم يدخلوا ملكوت السموات. وقال لهم الرب "أذهبوا على" "إبنى لم أعرفكم قط" (مت ٧: ٢٢، ٢٣).

✱ ✱ ✱

٤٠ - لذلك فالمتواضع يسعى إلى ثمار الروح (غل ٥: ٢٢، ٢٣). ونيس إلى مواهب الروح (١ كو ١٢).... والذين فى كبرياء يحبون الرؤى والمناظر، ما أسهل أن يقعوا فى خداع الشياطين.

والشيطان سهل عليه أن يعمل بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة، وبكل خديعة الإثم فى الهالكين (٢ تس ٢: ٩، ١٠) كما سيعمل فى الأيام الأخيرة فى مساندة ضد المسيح المقاوم والمرتفع على كل ما يدعى إلهاً (٢ تس ٢: ٤). والشيطان أيضاً يستطيع أن يظهر فى شبه ملاك من نور (٢ كو ١١: ١٤). وبهذا يرضى محب الرؤى ويخدعه ويضيعه...

وهنا أذكر قصة ذلك الراهب الذى ظهر له الشيطان فى هيئة ملاك وقال له "أنا الملاك جبرائيل، وقد أرسلنى الله إليك". فردّ عليه الراهب فى اتضاع "لعلك أرسلت إلى غيرى

وأخطأت الطريق. أما أنا فإنسان خاطئ، لا استحق أن يظهر لى ملاك". فلما سمع الشيطان هذه العبارة المتضعة، انقشع كالدخان واختفى.

✽ ✽ ✽

٤١ - الإنسان المتواضع - إذا عمل فى الخدمة - لا يلج على الله أن يمنحه موهبة التكلم بألسنة. ولا يعلن على الناس أن هذه هى علامة الملء!

ولا ينظر باستصغار إلى من لا يتكلم بألسنة على اعتبار أنه لم يصل بعد! ولا ينادى شخصاً آخر، ويقول له : تعال لكى أسلمك تدرىب الملء، واقفاً أمام الناس كمانح لموهبة الألسنة!

وسائل وعلامات أخرى

لحياة الاتضاع

تجدها فى الأبواب المقبلة، وبخاصة فى علاقة الاتضاع بالفضائل . وأيضاً فى مقاومة الصفات التى يتصف بها المتكبر .

ونذكر من هذين البابين :

★ علاقة الاتضاع بالإيمان والبساطة والتجرد .

★ وعلاقته بالتعليم والتأديب ، وبالانتهاز .

★ وعلاقته بالوداعة وبالشجاعة .

★ وبعده عن (الأنا) والاهتمام بالذات .

★ وبعده عن المجد الباطل وكل فروعه .

★ وبعده عن محبة الرئاسة والرعاية .

★ وعن محبة المديح والكرامة .

مع قراءة تفاصيل كل ذلك .

الباب الثالث :

العظيمة والكبرياء

- مقاومة الله لها .
- هي سبب السقوط .
- تشامخ الروح - العجرفة .
- البر الذائق .
- نتائج ومظاهر الكبرياء
- علاقة الكبرياء بالتجارب .
- الذات (الأنا) .
- كيف التخلص من الكبرياء ؟

الكبرياء والعظمة

خطية مركبة تلد خطايا كثيرة (د)

المتكبر هو إنسان ضائع، ضيعته الذات. وفي كبريائه يقع في عديد من الخطايا. وربما لا يشعر بضياعه ولا بخطاياها بسبب كبريائه. ويقول الكتاب:

'قبل الكسر الكبرياء. وقبل السقوط تشامخ الروح' (أم ١٦ : ١٨).

فما هو سر هذا الكسر؟ وما هذا السقوط الذي يتعرض له؟ نذكر منه :

مقاومة الله للمتكرين :

قد يتعرض المتكبر لمقاومة كثيرين ممن ينفرون من كبريائه، لأن الكبرياء خطية منفرة. ولكن أصعب من هذا كله مقاومة الله له. كما قال يعقوب الرسول:

'يقاوم الله المستكبرين. أما المتواضعون فيعطيهم نعمة' (يع ٤ : ٦).

حقاً : ما أصعب هذا، وما أخطر هذا! إنه أمر مرعب أن يقاوم الله لوناً من مخلوقاته!! والسبب هو الكبرياء.

✱ ✱ ✱

أول مخلوق قاوم الله، والله قاومه، هو الشيطان:

أراد الشيطان أن يرتفع فوق الكل، وأن يصير مثل الله (أش ١٤ : ١٤). وفي سقوطه لم يتضع ولم ينسحق. بل استمر في مقاومته، وأسقط معه مجموعة من الملائكة من رتب عديدة، صاروا جنداً له، ينفذون معه خطته في مقاومة الله.

وما زال الشيطان في مقاومته لله ولملكوته، وفي مقاومته لأبناء الله.. حتى أنه عندما يُحل من سجنه، سيخرج "ليضل الأمم الذين في أربع زوايا الأرض" (روؤ ٢٠: ٧).. بل يحاول أن يضل "لو أمكن المختارين أيضاً" (مت ٢٤: ٢٤).

✱ ✱ ✱

وأخطر عدو في آخر الزمان، دُعى أيضاً مقاوماً :

إنه "ضد المسيح" Anti - Christ الذي قال عنه الرسول إنه سيكون سبباً في الارتداد العام الذي يسبق المجيء الثاني للسيد المسيح. ووصفه بأنه "إنسان الخطية، ابن الهلاك، المقاوم والمرتفع على كل ما يُدعى إلهاً أو معبوداً. حتى إنه يجلس في هيكل الله كإله، مظهراً نفسه إنه إله" الذي مجيئه بعمل الشيطان، بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة، وبكل خديعة الإثم في الهالكين" (٢تس ٢: ١-١٠).

من كبرياته يدعى الألوهية كمعلمه الشيطان. ومن كبرياته يكون مرتفعاً ومقاوماً، مثل الشيطان أيضاً. وتغريه الآيات والعجائب والقوة، كمعلمه أيضاً.

لذلك يقاومه الله "يبيده بنفخة فمه، ويبطله بظهور مجيئه" (٢تس ٢: ٨).

✱ ✱ ✱

إن السيد المسيح كان يشفق على الخطاة المنسحقين، بينما يقاوم المستكبرين .

★ لقد دافع عن المرأة الخاطئة الذليلة المضبوطة في ذات الفعل. وقال لها: "وأنا أيضاً لا أدينك. إذهبي بسلام ولا تخطئي أيضاً" (يو ٨: ١١)... بينما قاوم الكتبة والفريسيين المتكبرين، الذين نسوا خطاياهم وأرادوا رجم تلك المرأة. وقال لهم الرب "من كان منكم بلا خطية، فليرمها بأول حجر" (يو ٨: ٧).

★ وأشفق السيد كذلك على الخاطئة المنسحقة التي بللت قدميه بدموعها، بينما وبخ الفريسي المتكبر الذي احتقرها وأدانها (لو ٧).

وصلت كبرياء ذلك الفريسي إلى حد أنه شك في السيد المسيح نفسه له المجدا فقال في قلبه "لو كان هذا الإنسان نبياً لعلم من هذه المرأة وما حالها، إنها لخطئة" (لو ٧: ٣٩). فأراه السيد الرب أن تلك المرأة أفضل منه، وأن كليهما مديونان أمام الله. غير أنها ثابتة، وهذا الفريسي لم يتب. فاستحقت لذلك المغفرة...

✱ ✱ ✱

وقاوم الرب الكتبة والفريسيين، لأنهم مراؤون ومتكبرون.
 صبب الولايات على أولئك الذين كانوا "يجبون المنكآت الأولى في الولائم، والمجالس
 الأولى في المجمع، والتحيات في الأسواق.. ويغلقون ملكوت السموات قدام الناس. فلا هم
 يدخلون، ولا يدعون الداخلين يدخلون". ودعاهم "قادة عميان" (مت ٢٣: ٦، ٧، ١٣)
 (مت ٢٣: ١٦، ١٩).

* * *

احذر إنن من أن تتكبر ، فيقاومك الله!!

حقاً ، ما أخطر ما قيل عن ذلك في سفر اشعيا :

ورد فيه عن هذا الأمر: "إن لرب الجنود يوماً على كل متعظم وعالٍ، وعلى كل مرتفع
 فيوضع. وعلى كل أرض لبنان العالی المرتفع، وعلى كل بلوط باشان. وعلى كل الجبال
 العالیة، وعلى كل التلال المرتفعة. وعلى كل برج عالٍ، وعلى كل سور منيع.. فيخفض
 تشامخ الإنسان، وتوضع رفعة الناس. ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم" (أش ٢: ١٢-
 ١٧).

فإن خفت أن يقف الرب ضدك ويقاومك، تواضع لأنه يعطى المتواضعين نعمة"
 (يع ٤: ٦).. ماذا في الكبرياء أيضاً؟

تشامخ الروح :

هناك كبرياء في ذاتها، يشعر الإنسان فيها إنه كبير (= عظمة) .
 وكبرياء أخرى مقارنة . إذ يقارن نفسه بغيره، فيشعر أنه أكبر منه. وقد ينمو عنده
 هذا الشعور، حتى يظن أنه أكبر من الكل، وأنه أفضل منهم، وأنه يفوقهم جميعاً!!
 وتتقل به الكبرياء إلى المعاملة، فينظر إلى الناس من فوق !

فيتعاطم عليهم، ويكلمهم بغير احترام، بأسلوب منتفخ غير لائق. ويفقد آداب التخاطب
 وآداب التعامل. وربما يكونون أكبر منه سناً أو أعلى منه مقاماً. ولكنه في كبريائه وفي
 تعاطمه، لا يحترم أحداً، ولا يراعى شعور أحداً! ألم يقل الكتاب عن إنسان الخطية إنه
 "المرتفع على كل ما يدعى إلهاً"! (٢تس ٢: ٤). فكم بالأولى تعامله مع إنسان!

* * *

بينما المتواضع يحترم الكل، ولو كانوا أصغر منه أو أقل شأنًا .

المفاوض يعامل الكل بالاحترام والأدب واللياقة، حتى مرؤوسيه وتلاميذه، بل وخدمه أيضاً.. ولا يحول إطلاقاً أن يחדش شعور أى إنسان، مهما كان خاطئاً أو مخطئاً فى تصرفه...

وهكذا تحدث السيد المسيح له المجد مع المرأة السامرية الخاطئة، دون أن يجرح شعورها. ولم يكلمها عن التوبة والتعفف والطهارة، بل حدثها عن الماء الحى والسجود لله بالروح والحق (يو ٤) .

أما المتكبر ، فإن تشامخه يقوده إلى خطية أخرى وهى :

الإدانة ومَسْك السيرة ،

فى عدم احترام المتكبر للغير ، يتكلم عنه بأسلوب غير لائق، فيه الإدانة والشتائم، وألفاظ التجريح والألفاظ القاسية، كأنما غيره بلا شعور ولا إحساس أمامه! وفى كل ذلك ينسى قول الكتاب:

"لا شتامون .. يرثون ملكوت الله" (١كو: ٦: ١٠).

وقد وضع الرسول هؤلاء الشتامين ضمن قائمة من أصحاب الخطايا البشعة، كالظالمين والطماعين والسارقين والفسقة وعبدة الأصنام..! وربما المتكبر وهو يشتم غيره، لا يحسب أنه يرتكب إثماً بشعاً.. وقد يظن أنه من حقه أن يشتم وأن يدين! وقد يضع شتائم فى قائمة الغيرة المقدسة والرغبة فى الإصلاح أو التعليم. كبرياؤه تقوده إلى شئ آخر هو البر الذاتى ...

البر الذاتى :

المتكبر بار فى عينى نفسه . وقد يكون أيضاً "حكيماً فى عينى نفسه" بينما يقول الكتاب "لا تكن حكيماً فى عينى نفسك" (أم ٣: ٧). وقد وبخ هذا النوع من الناس فقال "جاوب الجاهل حسب حماقته، لئلا يكون حكيماً فى عينى نفسه" (أم ٢٦: ٥). من الصعب أن يعترف هذا النوع من الناس أنه مخطئ .

هناك أناس - من الصعب وربما من المستحيل - أن يعترفوا بأنهم قد أخطأوا!

حتى لو كان الخطأ واضحاً، سواء فى رأى أو فى تصرف!..!

ولكن كبرياء القلب تأبى أن تخدش (العصمة) التي يدعيها المتكبر لنفسه! فلا بد أن يدافع عن أخطائه، وأن يقاوم، وأن يهاجم من يكشف له خطأ أو عيباً. ولا بد أن يبرر ذاته بكافة الطرق. فتقوده الكبرياء إلى المكابرة ...

المكابرة :

أو ما يسمونه بالعامية (المقاوحة).. إنه يريد أن ينتصر في مجادلته بأية الطرق! ورغبته في الانتصار تبعده عن الحق، وتركزه حول الذات .

والمكابرة سببها في المتكبر : التشبث بالرأى أياً كان !

وقد ينفر الناس من أسلوب المتكبر في مجادلته وتشبثه برأيه، مما لا يؤدي إلى أية نتيجة، إلا إلى ضياع الوقت وإرهاق الأعصاب، فيبعدون عن النقاش معه، حرصاً على سلامتهم القلبي، ولكي لا يدخلوا في صراع معه.. وربما يكلمهم أو يكتبهم فلا يجيبون..

✽ ✽ ✽

وهكذا تؤدي به المكابرة والتشبث بالرأى إلى اعتزال الناس له .

أو قد يؤدي ذلك إلى أنطوانه عن الناس ترفعاً وكبرياءً. وتتعبه العزلة وترهق أعصابه، فيزداد عنفاً إن دخل في نقاش .

وإذا طرقت المناقشة والمكابرة موضوعاً لا هوتياً أو عقيدياً، فقد يسقط المتكبر في البدعة أو الهرطقة.

البدعة أو الهرطقة :

كل الهرطقة والمبتدعين كانوا متكبرين و عنفاء بلا إستثناء .

ويندر أن يكون أحدهم قد وقع في الهرطقة عن جهل. لأن الجاهل - إن كان متواضعاً - يقبل التصحيح ويقبل تغيير رأيه .

أما المتكبر فلا يستطيع . لا يمكنه أن يقول إنه قد أخطأ. وهكذا يستمر في فكره المنحرف، ويدافع عن هذا الفكر، ويحاول أن يجد له إثباتات، أو أن يطوع تفسير آيات الكتاب لرأيه. وبذلك يثبت في أخطائه العقيدية، وتتحول بسبب كبريائه من أخطاء إلى هرطقة...

✽ ✽ ✽

وربما تقنع الكبرياء إنساناً أن يأتي بشئ جديد لم يطرقه أحد من قبل، أو لم يكتب فيه الآباء، حتى لو كان غير مألوف أو غير مقبول.

وهكذا يقع في البدعة، إذ يبتدع شيئاً جديداً، ويعجب بنفسه أنه قد أتى بجديد. وربما يرى في الجديد شيئاً مشوقاً، فيعمل على نشره منتظراً أن يجلب لنفسه شهرة ومديحاً كصاحب فكر!!

وتقوده البدعة إلى أن "يرتقى فوق ما ينبغي" (رو ١٢: ٣).

فيحدث عن أمور ربما لم يتعرض لها الكتاب في صراحة، أو لم تتعرض لها أقوال الآباء، أو هي فوق إدراكنا.. وفي كبريائه يستحى أن يقول "لا أعرف".. فيبدى رأيه، ثم يحاول أن يثبته. وقد يعتمد على مراجع غير دينية. ولا يشاء أن يقول إن ذلك مجرد رأى، أو أنه مجرد مفهومه الخاص...

✱ ✱ ✱

وبالكبرياء يحاول أن يقدم رأيه الخاص كأته عقيدة!!

أو أن يعتبر رأيه هو رأى الكنيسة وتعليمها! ويندهش إن سأله أحد "ما هو المرجع الذى اعتمدت عليه؟"، ظاناً في نفسه أنه هو المرجع الذى يعتمد عليه الآخرون!

حقاً، إن التكلم فى اللاهوتيات يحتاج إلى تواضع قلب وإلى تواضع فكر.

✱ ✱ ✱

والمتكبر يظن أنه يفهم أكثر من غيره. فلا يقبل تصحيح غيره له. لأنه من هو الذى يفهم أكثر منه، حتى يصحح له!؟

وهكذا فإن هرطوقياً مثل أريوس، لم يغير رأيه بتوجيه البابا بطرس خاتم الشهداء، ولا قبل أيضاً توجيه البابا ألكسندروس. ولم يخضع للمجمع المكائى الذى عقده البابا ألكسندروس وحضره مائة أسقف من أساقفة الكرازة المرقسية فى مصر وليبيا.

ولم يقبل شيئاً من اقناعات القديس أثناسيوس. بل لم يقبل حكم المجمع المسكونى العظيم المنعقد فى نيقية والذى حضره ٣١٨ من الأساقفة ورؤساء الأساقفة يمثلون كنائس العالم كله. وظل متمسكاً بفكره الخاطئ، لا يعبأ بأسقف ولا ببطريرك ولا بمجمع!! وهذا يدل على خطية أخرى هي:

العناد :

المتكبر عنيد . والهراطوقي أيضاً عنيد ، والمبتدع عنيد .

فإن صادفت إنساناً عنيداً، اعرف أن وراء عناده كبرياء .

وإن وجدت هراطوقياً، اعرف أن من أسباب هراطوقته العناد والكبرياء .

والعناد يدخل في أمور أخرى غير اللاهوت والعقيدة. وهو على أية الحالات طبع

منفر، كأمه الكبرياء، يقود أيضاً إلى العزلة والإبتواء .

نتائج أخرى :

للكبرياء نتائج أخرى وعلامات كثيرة. لعل من بينها المجد الباطل، ومحبة المديح

والكرامة، والتعالى، والتمركز حول الذات، والتقدم على الآخرين.. وأمور أخرى عديدة...

المتكبر يرتفع فيسقط .. والمتكبر دائماً يبرر ذاته المتكبر يفقد حياة الوداعة وحياة التوبة .. يرتفع فيسقط :

شرح القديس أوغسطينوس أن المتكبرين يببدون كالدخان، فقال:
الدخان يرتفع جداً إلى فوق. وفيما هو يرتفع يتبدد وينتهي .
بعكس اللهب الذي لا يرتفع كالدخان، ولكنه يبقى بقوته .
وقال هذا القديس في تفسير المزمورين ٣٧، ٧٣ .

يقول المزمور " رأيت الشرير مرتفعاً إلى فوق ، وقائماً أعلى من أرز لبنان" (مز ٣٧: ٣٥). فلنفترض إذن أنه مرتفع إلى أعلى، وأنه متشامخ فوق الباقين. ولكن ماذا بعد هذا؟ يستطرد المرتل فيقول عنه: "عبرت عليه، فإذا هو ليس بموجود. طلبته فما أمكن أن يعثر له على مكان" .. تماماً كما لو كان دخاناً، هذا الذي عبرت عليه.

قيل أيضاً عن مثل هذا في المزمور إنه سيفنون ويتبددون مثل الدخان. يقول "فنوا مثل الدخان، فنوا" (مز ٧: ٢٠) ... تماماً مثل الدخان الذي يتبدد فيما هو يرتفع إلى فوق .. فهو في ذات صعوده إلى أعلى، ينتفخ إلى حجم أكبر. وعلى قدر ما يعظم حجمه، تتحلل مادته .. وهكذا تلاحظ أن نفس عظمته كانت قاضية عليه. لأنه كلما ارتفع وامتد إلى أعلى، تزداد رقعته ويخف، ويقل ويضيع ويضمحل.

هكذا أعداء الله: عندما يبدأون أن يتمجوا ويرتفعوا، سرّياً ما يفنون تماماً كاللدخان..".
[القديس أوغسطينوس].

✱ ✱ ✱

هنا ونذكر أشخاصاً، حينما تعينهم النعمة، ويجدون أن حياتهم قد تغيرت إلى أفضل،
يفتخرون قائلين: "حياتي قد تغيرت وتجددت. صرت إنساناً آخر". ويشرحون اختباراتهم
للناس، بطريقة "كنت.. وأصبحت..!"

وإذ يفخر الشخص بارتفاعه، تبعد عنه النعمة، فيسقط.. لئنه يتذكر قول الكتاب في
ذلك:

"من يظن أنه قائم، فلينظر أن لا يسقط" (١كو ١٠: ١٢).

إن كنت قائماً، فلا تظن قيامك وضماً دائماً لا يتغير. وتذكر القديسين الذين سقطوا،
وهكذا يتضع قلبك، وتحترس لنفسك.

✱ ✱ ✱

إن الاتضاع يحفظك، لأن الرب قريب من المنسحقين بقلوبهم.

فالإنسان المتضع: إذ يعترف بضعفه، فإنه يخاف فيحترس ويدقق. وهكذا يبعد عن
العثرات فلا يسقط. أما المتكبر فيعتز بقوته ولا يبالي، فتضربه الخطية من حيث لا يدري.

✱ ✱ ✱

إن الشيطان له خبرة آلاف السنين في محاربة بني البشر.

وقد يجدك محترساً من خطية معينة، فلا يحاربك بها. ولكنه يهاجمك من جهة أخرى
ظننت نفسك فيها قوياً، ويسقطك..

وربما لا يحاربك إلى فترة طويلة، حتى تظن أنك قد ارتفعت فوق مستوى الحروب،
وتستهين بالاحتراس. وحينئذ يرجع إليك وأنت غير مستعد في ارتفاع قلبك هذا. وإذ
تسقط، تتأكد أنك لست فوق السقوط!

✱ ✱ ✱

لا تظن إنن أن السقوط هو فقط للمبتدئين!

وأنت لست من المبتدئين! بعد أن قطعت شوطاً في الحياة الروحية.

فإنك عندما كنت متضعاً ومحترساً، كنت تصلى بحرارة طالباً من الله أن يهبك معونة

لكي لا تسقط. أما الآن فأنت لا تصلى لأجل هذه المعونة، بل ربما تطلبها لأجل الآخرين فقط المعرضين وهدمهم للسقوط، وليس أنت! وهكذا تبقى بلا معونة فتسقط ...

✽ ✽ ✽

تأمل ماراسحق في عبارة "قبل السقطة تكون الكبرياء"، فقال :

على قدر ظهور العظمة في النفس، على قدر ما تكون السقطة، ويكون الإنكسار المسموح به من الله. فإن الله لا يرفض الإنسان ويتخلى عنه، إلا إذا وجد عقله متفاوضاً مع أفكار العظمة.

فالذين يخرجون عن طريق الاتضاع، يتعرون من المعونات الإلهية ويسقطون.. فالمتعظم بالمعرفة يُهمل فيسقط في التجديف. والمتبجح بالنسك يُهمل فيسقط في الزنا. والمترفع بحكمته يُهمل، فيسقط في فخاخ الجهل المظلمة.

✽ ✽ ✽

إن داوم الإنسان على الكبرياء، حينئذ يبتعد عنه الملاك المعتنى به، الذي إذا ما كان قريباً منه، حرك فيه الاهتمام بالبر. ولكن بابتعاده عنه، يقترب منه المحتال، ولا يدعه يدرك شيئاً من عمل البر.

✽ ✽ ✽

حقاً، أليس ارتفاع القلب هو سبب سقطة الشيطان ...

يقول له سفر حزقيال "قد ارتفع قلبك" (حز ٢٨ : ١). "ارتفع قلبك لبهجتك. أفسدت حكمتك لأجل بهائك" (حز ٢٨ : ١٧).

ويقول عنه سفر اشعيا "أنت قلت في قلبك: أصعد إلى السموات. ارفع كرسى فوق كواكب الله.. أصعد فوق مرتفعات السماء. أصير مثل العلى. لكنك أنحدرت إلى الهاوية، إلى أسافل الجب" (اش ١٤ : ١٣ - ١٥).

لم يقنع بما كان له من مجد، فاشتتهى مجداً أكبر. ففقد ما كان له. وهكذا الإنسان الأول: اشتتهى مجد الألوهية، ففقد مجد بشريته!

✽ ✽ ✽

العجيب أن غالبية المتكبرين يدعون أنهم غير متكبرين .

وهذا بلا شك من كبريائهم، إذ أنهم على الدوام يبررون ذواتهم. وبهذا يقعون في خطية أخرى هي تبرير الذات.

باستمرار يدافع عن نفسه. لا يحب مطلقاً أن يبدو في صورة الخاطيء. هو دائماً "بار في عيني نفسه". ويريد أيضاً أن يكون باراً في أعين الناس. وإن نبهه أحد إلى خطأ واضح، ربما يحاول أن يغطيه بالكذب أو بالأعذار، بعيداً عن الاعتراف والتوبة. أبونا آدم لم يعترف بخطيئته، بل حاول أن يبرر ذاته. وهكذا فعلت أيضاً أمنا حواء (تك ٣). ونحن ورثنا عنهما تبرير الذات .

✽ ✽ ✽

الخطيء يضيف إلى خطيئته التي يبررها ، خطيئة التبرير .

وما أكثر الحيل التي يلجأ إليها المتكبر في تبرير ذاته: منها إلقاء التبعة على غيره، أو على الظروف المحيطة. ومنها الإنكار، أو وإدعاء القصد السليم، أو أن الناس لم يفهموه على حقيقته. وغير ذلك من الأسباب التي تخرج جميعها عن النطاق الروحي..!

✽ ✽ ✽

ما أصعب كلمة "أخطأت" على المتكبر.. إنها تجرحه ...

وقد يقولها أحياناً إن كانت تجلب له مديحاً! أو إن كانت صورة الاتضاع الزائف ترضى كبرياءه.. ولكنه في داخله لا يشعر إطلاقاً بأنه قد أخطأ. تخرج الكلمة من فمه وليس من قلبه. وقد يقول كلمة "أخطأت" - إن قالها - بلون من السياسة، وليس بروح الاتضاع...

✽ ✽ ✽

المتكبرون لا يعترفون ، وإنما يدينون غيرهم، ليستروا أنفسهم .

لا بد أن يكون غيرهم هو المخطيء ، إذ ليس من المعقول أن يكونوا هم المخطئين! كما لو كانوا معصومين في كل تصرفاتهم!

لذلك فالمتكبر كثير الجدل والنقاش لتبرير ذاته .

التعامل معه ليس سهلاً . والتفاهم معه ليس سهلاً .

التفاهم عنده ليس معناه أن يفهم رأى غيره أو يقبله. إنما تفاهمه مع الغير، معناه أن يقبل هذا الغير رأيه ويقتنع به...

وإن لم يقتنع غيره برأيه، قد يثور ويغضب. ويعالج الموضوع بأعصابه، مادام لم

لهذا فإن الغضب زميل للكبرياء، يلزمها كثيراً وتلازمه .

وفى كل ذلك يفقد المتكبر وداعته. بعكس الإنسان المتواضع، فإنه إنسان رقيق لطيف وديع، سهل التعامل مع الآخرين. لذلك فهو محبوب من الكل. يخضع لهم بروح الحب فيكسبهم. وإن صادفته مشكلة يحلها بوداعة الحكمة (يع: ٣: ١٣).
 أما المتكبر ، فإنه لا يخطئ فقط من الناحية الروحية، بل من الناحية الإجتماعية أيضاً، إذ يفقد محبة الكثيرين بسبب كبريائه.

✽ ✽ ✽

والمتكبر فى تبريره لذاته يبعد عن حياة التوبة .

لأنه كيف يمكن أن يتوب إنسان، إن كان باستمرار بارأ فى عينى نفسه!؟ فهل يحتاج الأصحاء إلى طبيب!؟ (مت: ٩: ١٢). أو كيف يستطيع هذا المتكبر أن يصلح أخطاءه، إن كان باستمرار يبررها!؟ وكأنه بلا خطية!

أنت لا تترك خطأ من الأخطاء، ما لم تعترف أولاً بينك وبين نفسك أنه خطأ. أما إذا اعتقدت أنك على صواب، فسوف تبقى حيث أنت، لا تغير فى نفسك شيئاً..

✽ ✽ ✽

إن مشكلة العزة بالنفس والكرامة والكبرياء الذاتية، هى التى تعوق الإنسان عن الاعتراف بأخطائه، حتى أمام أب اعترافه!

قد يعترف ببعض الخطايا التى لا يخجله ذكرها، ويخفى الباقى، أو يمر عليه مروراً عابراً، أو يشير إليه من بعيد، أو يقوله دمجاً، أو يقوله ويبرره.. وقد لا يعترف إطلاقاً، ويتحول اعترافه إلى شكوى ضد غيره. وكأنه أمام أب الاعتراف يعترف بخطايا غيره وليس بخطاياها هو!

✽ ✽ ✽

وفى تبرير الإنسان لذاته، قد يسمى خطاياها بأسماء فضائل !

فقد يسمى ما يقع فيه من خبث ومكر ودهاء، بأنه لون من الحكمة! وقد يسمى تدليله الخاطئ لأطفاله بأنه حب وحنان، بينما يسمى قسوته بأنها حزم وتربية. ويسمى إدانته للآخرين وثورته الخاطئة على الأوضاع، بأنها غير مقدسة ورغبة فى الإصلاح.. وهكذا

على أن أخطر ما فى تبرير الذات وما فى المكابرة، أن يبدأ المتكبر المخطئ فى أن
يفلس أخطاه ويبررها فكرياً ليقنع الناس بها!

وهنا يوجد جواً من البلبلة الفكرية، حتى يحار البعض أين هو الحق؟! إن تبرير الذات
فى تصرفاتها هو تبرير سلوكى يتعلق بالشخص نفسه وحده. أما تبريرها فكرياً، فهو يتعلق
بالمبادئ، ويأخذ إتجاهاً عاماً.. لذلك فإن التبرير الفكرى للأخطاء له خطورة كبيرة.
فإن الحق ليس هو الهدف فيه، وإنما الذات. ويندفع الشخص فيه متأثراً بعوامل نفسية.

المتكبر - فى تبريره لذاته - كل ما يهمه هو رأى الناس فيه، ولا يهمه مصير هذه
الذات فى الأبدية، مركزاً على توفير الناس لها!

فهو يدافع عن نفسه، ويدافع عن أفكاره وتصرفاته. ويشرح، وقد يعثر الغير فى
شرحه. وهو لا يهتم بشئ من ذلك. إنما المهم عنده هو أن تخرج ذاته بريئة سليمة بعيدة
عن اللوم.

وقد يودى تبريره لذاته ودفاعه عنها، إلى اتهام الغير أو تجريحه ولا بأس لديه من
ذلك، مادام ذاته هو تصل إلى تبرير يرضيها..

وفى تبرير الذات فى أخطائها الفكرية، وقع البعض فى البدعة أو فى الهرطقة.
وأصروا على ذلك، إذ منعتهم كبرياؤهم من الاعتراف بالخطأ.

فى تبرير أخطاء الذات، يفقد ضمير المتكبر كل سلطان عليه، ويتولى قيادته روح
الكبرياء وعزة النفس.

والعجيب أن الذين يبررون ذواتهم، قد يصلون طالبين مغفرة خطاياهم. وهم فى داخل
أنفسهم لا يرون أنهم خطاة فى شئ!!

فى الحقيقة أن تبرير الذات لا يفيدها، إنما تفيدها التوبة .
لأن التوبة تنقى الذات، بينما التبرير يعمل على تغطية الذات مع بقائها فى أخطائها.
والتوبة تعنى كشف الذات ومعرفة أخطائها، وتبكيها على هذه الأخطاء. ولكن المتكبر
للأسف الشديد، ترفض ذاته أن تتكشف وأن تعترف بالخطأ. فيبقى بعيداً عن التوبة .

إن الذي يظن في نفسه أنه شيء، يكبر في عيني نفسه، ويريد أن يكبر في أعين الناس. وربما يكبر في علاقته مع الله، ويقع بذلك في التجديف! كما حدث مع الشيطان وكثير من الملحدين.

العجرفة :

هناك ثلاثة أنواع من العجرفة تصيب المتكبرين ...

وهذه هي العجرفة . ويقسمها البعض إلى ثلاثة أنواع :

عجرفة علمانية، وعجرفة رهبانية، وعجرفة في العقيدة واللاهوتيات .

★ العجرفة العلمانية هي أن ينتفخ الإنسان من الداخل. وتظهر الكبرياء في نظراته، وفي مشيته وجلوسه، وفي مظهره الخارجي، وفي أسلوب كلامه.. يمشى في خيلاء وعظمة، ويتخذ مظهراً أرستقراطياً في كل تعاملاته ...

★ أما العجرفة الرهبانية، فتظهر في الافتخار بالصمت والوحدة، ولبس الخيش. كل ذلك من الخارج، دون التدريب في الداخل على نقاوة القلب والفكر وممارسة ثمر الروح (غل: ٥، ٢٢، ٢٣). ومثل هذا الراهب يتعالى على زملائه الرهبان، ويحتقر وينتقد الذين ليسوا في نسكه ووحده .

✱ ✱ ✱

★ أما العجرفة في مجال العقيدة واللاهوتيات ، فتظهر في الذين يسعون إلى التكلم

بأسنة، ويقولون إنها علامة الملء بالروح.. ويتحدثون عن اختباراتهم علناً ومن فوق المناير. ويدعون منح الروح القدس بوضع أيديهم على الناس. ويقولون إن الشيطان تحت أقدامهم، يدوسونه بأرجلهم!..

★ وقد يدعى بعضهم المعرفة اللاهوتية، وأنه يأتي فيها بجديد لم يدركه غيره، فيقع بذلك في البدعة والهرطقة!..

العجيب أن كثيراً من الذين تكبروا، أو غالبية الذين تكبروا، كانوا من الذين قد أحسن الله إليهم، أو وهبهم إحدى المواهب.

إنسان يمنحه الله ذكاءً، أو لوناً من الفن، فينتفخ بسبب ذكائه أو فنه. وآخر يمنحه الله طاقة أو قدرة على العمل، فتكبر ذاته بسبب قدرته. وثالث يمنحه الله غنى، فينتفخ بسبب غناه، أو يسمح الله لإنسان أن يتولى منصباً عالياً أو وظيفة مرموقة، فيرتفع قلبه بسبب مركزه أو وظيفته.. وإذا به ينظر إلى الناس من فوق، أو يتجاهل أصدقاءه القدامى.

✽ ✽ ✽

أمثال هؤلاء لم يحتملوا كرامة المركز والغنى، ولا كرامة الذكاء والطاقة. وكما قال القديس أنطونيوس الكبير في ذلك :

هناك من يستطيعون أن يحتملوا الإهانة، ولا يحتملون الكرامة. لأن احتمال الكرامة أصعب من احتمال الإهانة .

لأن كثيرين ممن نالوا كرامة، انتفخوا وارتفع قلبهم من الداخل، وفقدوا الاتضاع والوداعة. ومثلهم أيضاً من نالوا مواهب عقلية أو فنية، أو حتى مواهب روحية، دفعهم ذلك إلى الكبرياء أو على الأقل إلى الإعجاب بالنفس! حتى تلاميذ المسيح أنفسهم أدركهم الإعجاب بالنفس، لما خضعت لهم الشياطين بالموهبة التي منحها الرب أيها. وقالوا له وهم فرحون "يارب، حتى الشياطين تخضع لنا باسمك". فقال لهم "لا تفرحوا بهذا أن الأرواح تخضع لكم. بل افرحوا بالحرى أن أسماءكم قد كُتبت في السموات" (لو ١٠: ١٧، ٢٠).

✽ ✽ ✽

ولأجل هذا قال أحد الأدباء :

"إذا منحك الله موهبة، اطلب منه أن يهبك تواضعاً ليحميها. وإلا فليأخذها منك".

وذلك حتى لا يرتفع قلبك بسبب الموهبة، فتسقط ...

حقاً إن المتواضعين فقط هم الذين يأتئمنهم الرب على مواهبه. كما قيل في الكتاب "أما

لهذا اختار الرب أكثر العنراوات اتضاعاً لكي يتجسد منها. وتستطيع بتواضعها أن تحتمل هذه الكرامة العظيمة .

هذه التي قالت لها القديسة اليسانبا "من أين لي هذا، أن تأتي أم ربي إلي" (لو : ٤٣). ومع أنها أم الرب، إلا أنها قالت للملاك المبشر لها "هوذا أنا أمة الرب. ليكن لي كقولك" (لو : ١ : ٣٨). حقاً إن القدير "نظر إلى اتضاع أمته" (لو : ١ : ٤٨).

وهكذا باتضاعها احتملت حلول الروح عليها وعمله فيها، واحتملت أن تحوى جمر اللاهوت داخلها "واحتملت الرؤى وظهور الملائكة وكل المعجزات التي صاحبت ميلاد الرب منها. ولم تتحدث كثيراً عن كل تلك الأمجاد. بل قيل عنها إنها كانت تحفظ جميع هذه الأمور في قلبها" (لو : ٢ : ٥١).

✱ ✱ ✱

وهكذا تلاميذ الرب، إختارهم من بين فئات متواضعة:

فقيل "إختار الله جهال العالم ليخزي الحكماء. وإختار الله ضعفاء العالم ليخزي الأكوياء. وإختار الله أدنياء العالم والمزدرى وغير الموجود، لبيطل الموجود. لكي لا يفتخر كل ذي جسد أمامه" (١ كو ١ : ٢٧-٢٩).

واختار موسى "الأغلف الشفتين" (خر ٦ : ٣٠)، العاراف بضعفه، الذي قال للرب - حينما دعاه - "لست أنا صاحب كلام، منذ أمس ولا أول من أمس، ولا من حين كلمت عبدك. بل أنا ثقيل الفم واللسان" (خر ٤ : ١٠). هذا العاجز عن الكلام، دعاه لكي يكون كلهم الله، وصاحب المعجزات!

التجارب والمواهب :

الذين منحهم الرب مواهب، سمح لهم بالتجارب لتحميمهم من الكبرياء .

✱ لتأخذ بولس الرسول كمثال :

كان صاحب رؤى كثيرة. رأى الرب حينما عاتبه الرب ودعاه وهو في طريق دمشق (أع ٩). وظهر له الرب أيضاً في كورنثوس في رؤيا بالليل وقال له "لا تخف، بل تكلم ولا تسكت. لأنى أنا معك، ولا يقع بك أحد ليؤذيك. لأن لي شعباً كثيراً في هذه المدينة"

(أع ١٨: ٩، ١٠). وظهر له في الهيكل في أورشليم، وقال له "أذهب، فإني سأرسلك بعيداً إلى الأمم" (أع ٢٢: ١٧، ٢١). وظهر له الرب مرة أخرى وقال له "ثق يا بولس، لأنك كما شهدت بما لي في أورشليم، هكذا ينبغي أن تشهد في رومية أيضاً" (أع ٢٣: ١١).

بولس هذا الذى تعب في الخدمة أكثر من جميع الرسل (١كو ١٥: ١٠)، والذى كان يتكلم بألسنة أكثر من الجميع (١كو ١٤: ١٨)، والذى كان رجل استعلانات، يقول أخيراً، هذا الذى اختطف إلى السماء الثالثة (٢كو ١٢: ٢): "ولئلا ارتفع بفرط الإستعلانات، أعطيت شوكة في الجسد، ملاك الشيطان ليظمنى لئلا ارتفع..". (٢كو ١٢: ٧).

✱ ✱ ✱

سمح الله للشيطان أن يضرب بولس بشوكة في الجسد ، لئلا يرتفع .

واستمرت هذه الشوكة معه في جسده، تشعره بضعفه، حتى لا يرتفع قلبه من فرط ما وصل إليه من مجد روجي. على الرغم من أنه تضرع إلى الله ثلاث مرات ليشفيه. ولكن الرب قال له "تكفيك نعمتي" (٢كو ١٢: ٨، ٩). لأن قوة الله تظهر كاملة في ضعف هذا الرسول...

✱ ✱ ✱

✱مثال آخر ، هو داود النبي :

داود صاحب المزمار والقيثار والعود ، الذى له مواهب فى الشعر وفى الموسيقى. وهو رجل حرب "جبار بأس" (اصم ١٦: ١٨). هو الذى هزم جليات (اصم ١٧). وقبل ذلك قتل الدب والأسد فى شجاعة، ولم يخف منهما (اصم ١٧: ٣٥، ٣٦). داود هذا، بما له من موهبة النبوة. وقد صار مسليحاً للرب، بعد أن مسحه صموئيل النبي، وحل عليه روح الرب (اصم ١٦: ١٣).

داود هذا بكل مواهبه، سمح الله أن يقوم ضده شاول الملك بكل عنف، ويذل حياته. ويطارده من بركة إلى بركة، ويدبر المؤامرات لقتله.. وعاش ذليلاً أمام شاول، حتى قال عن نفسه إنه برغوث، وكلب ميت (اصم ٢٤: ١٤).

✱ ✱ ✱

بل سمح الله أن يسقط داود ويخطئ. فكانت سقطته هذه سبب ذل لنفسه من الداخل، وحية غارقة فى البكاء والدموع، حتى قال "تعبت فى تنهدى. فى كل ليلة أعوم سريرى. بدموعى أبل فراشى" (مز ٦: ٦). وقال للرب:

"خير لى يارب أنك أنزلتتى، لكى أعظم فرغضك" (مز ١١٩: ٧١) .

نعم، كان خيراً له ذلك الدّل الذى عاش فيه، الذى يقيم توازناً فى داخله مع مجد النبوة، ورفاهية الملك، وموسيقى الناي والعود...!

إنه درس روحى عميق، نتعلمه من هذا المزمور أن الله قد يسمح بالذلّ لأحد أبنائه من الأنبياء، لأن ذلك خير له، لكى يتضع قلبه، ولا تحوله الأمجاد المحيطة به إلى الكبرياء.

* * *

★ مثال ثالث هو أيوب الصديق .

سمح له الرب بذلّ من نوع الآخر، فيه الفقر والمرض وتحقير أصدقائه له.. هذا الذى شهد له الله مرتين إنه كامل ومستقيم (أى ١: ٨) (أى ٢: ٣). وأنه "ليس مثله فى الأرض، يبقى الله ويحيد عن الشر" .

وإلى جوار بره، كانت تحيط به العظمة من كل جانب: كان "اعظم كل بنى المشرق" (أى ١: ٣). وكان محترماً جداً من الناس. "رأه الغلمان فأختبأوا، والشيوخ قاموا ووقفوا" "الأذن سمعت فطوبته، والعين رأت فشهدت له" (أى ٢٩: ٨، ١١). "أنقذ المسكين والمستغيث واليتيم ولا معين له" "كان أباً للفقراء، وغيوناً للعمى، وأرجلاً للعرج" (أى ٢٩: ١٢-١٦).

* * *

ولهذا كله سمح الله بتجربة لأيوب. كانت شديدة. ولكنها كانت لازمة له لتتقده، حتى لا يكون باراً فى عينى نفسه" (أى ٣٢: ١).

إن الله يهمله جداً سلامة أولاده من الكبرياء المهلكة للنفس، لذلك فهو بالتجارب والضيق، أو بالألام والأمراض، يحمى نفوسهم حتى لا يضرهم المجد المحيط بهم، أو شعورهم بحياة البر التى يحيونها.

* * *

★ مثال رابع هو يعقوب أبو الآباء :

هذا الذى أحبه الله قبل أن يولد (رو ٩: ١١-١٣). والذى قيل له فى بركته "كن سيداً لأخوتك، وليسجد لك بنو أمك" "ليستعبد لك شعوب، وتسجد لك قبائل" (تك ٢٧: ٢٩). يعقوب هذا الذى ظهر له الله فى أعلى سلم منصوبة بين السماء والأرض والملائكة



صاعدة ونازلة عليها. وباركه الله وقال له: "ها أنا معك، وأحفظك حينما تذهب..". (تك: ٢٨: ١٢ - ١٥).

يعقوب هذا الذي "جاهد مع الله والناس وقدر" (تك: ٣٢: ٢٨)، ومنحه الله البركة، ومنحه اسماً جديداً. وقد نظر الله وجهاً لوجه (تك: ٣٢: ٣٠)...

يعقوب هذا - لكي يشعر بضعفه فلا يتكبر - "ضربه الله على حق فخذة"، وخرج من مصارعة مع الله "وهو يخضع على فخذة" (تك: ٣٢: ٣٠).

✱ ✱ ✱

ولعلك تسأل: لماذا يارب تضرب يعقوب على فخذة، فيعيش كمعوق كل أيام حياته؟ وتكون الإجابة: لأن ذلك نافع له، وأفضل من أن تضربه الكبرياء فيهلك..

ونفس الوضع بالنسبة إلى بولس الرسول: أعطى شوكة في الجسد، لكي لا يرتفع من فرط الإعلانات". وكذلك أيوب الصديق: ضُرب بقرح رديء من باطن قدمه إلى هامته لكي لا يكون باراً في عيني نفسه"...

✱ ✱ ✱

إن الله يهمله بالدرجة الأولى مصير أبنائه في الأبدية. فإن كانت الضربات التي تصيبهم على الأرض نافعة لأبديتهم، إذ توصلهم إلى انسحاق القلب، فلا مانع منها. وفي هذا يقول القديس بولس الرسول:

"لذلك أسر بالضعفات والشتائم والضرورات والإضطهادات والضيقات لأجل المسيح. لأني حينما أنا ضعيف، فحينئذ أنا قوي" (١كو٢: ١٢: ١٠).

الضعفات والضيقات تمنع الكبرياء، وتوصل إلى تواضع القلب. وأيضاً في هذه الضيقات - إذ يشعر الإنسان بضعفه - يلجأ إلى الله فيأخذ منه قوة. ولهذا قال القديس بولس الرسول:

"أفتخر بالحرى في ضعفتي، لكي تحل على قوة المسيح" (١كو٢: ١٢: ٩).

الباب الرابع :

الذات سبب الكبرياء

- الذات تريد أن تكبر .
- الغرور .
- تحقيق الذات !
- السيطرة والطمع .
- كلمة أنا ، ولأنا .
- كيف تتخلص من الذات ؟

الذات سبب الكبرياء

تريد أن تكبر :

يقع في الكبرياء الإنسان الذي يهتم بذاته بطريقة خاطئة، أو أنه يحب ذاته بطريقة خاطئة. فهو يكبر في عيني نفسه. ويحب أن يكبر في أعين الناس. بل يحب أيضاً أن يكبر أكثر من غيره.

★ مثال للذي يكبر في عيني نفسه .

كالشخص الذي يطيل النظر في المرأة، يتأمل محاسن نفسه ..!

أو كالذين أرادوا في القديم أن يبنوا برج بابل، وقالوا بعضهم لبعض: "هلم نبين لأنفسنا مدينة وبرجاً رأسه في السماء، ونصنع لأنفسنا إسماءً" (تك ١١ : ٤) .. صدقوني يا أخوتي ربما كان هؤلاء أقل كبرياء في أعين أنفسهم من الذين قالوا: نصعد إلى القمر، نرفع عليه علم بلادنا. نصعد أيضاً إلى المريخ. نمهد إلى سكنى الكواكب، أو ننظم رحلات إليها. كلها أمثلة للعقل البشري، حينما يكبر في عيني نفسه، ويتصور تصورات أو تخيلات ثلثي بهذا اللون من الكبر.

✱ ✱ ✱

★ أما الذي يريد أن يكبر في أعين الناس، وأن يمجده :

فهو مثل هيرودس الملك، الذي وهو يخاطب الناس من على عرشه، سرّ أن يمجده الناس قائلين "هذا صوت إله، لا صوت إنسان" (أع ١٢ : ٢٢). ففي الحال ضربيه ملاك

الرب بسبب كبريائه، فمات وأكله الدود. ومثال آخر هو هامان - في عهد أحشويرش الملك - الذي اضطهد مردخاي لأنه لم يسجد له مثل سائر الناس الذين يمجّدونه (إس: ٣: ٣-٦).

✱ ✱ ✱

★ على أن البعض لا يكفي أن يكبر، بل يريد أن يكبر أكثر من غيره.

مثال ذلك أبشالوم بن داود الملك، الذي أراد أن يصير أكبر من أبيه، وأن يجلس على العرش بدلاً منه. ودخل في حرب ضده (٢صم: ١٥-١٨).

★ والذي يريد أن يكون أكبر من غيره، يقع في حب الرئاسة.

وذلك ليكون أعلى من غيره قدرأ. وقد حورب الآباء الرسل بهذا الأمر: من يكون الأول فيهم. فقال لهم السيد الرب "أنتم تعلمون أن رؤساء الأمم يسودونهم، والعظماء يتسلطون عليهم. فلا يكون هكذا فيكم. بل من أراد أن يكون فيكم عظيماً، فليكن لكم خادماً. ومن أراد أن يكون فيكم أولاً، فليكن لكم عبداً" (مت: ٢٠: ٢٥-٢٧).

✱ ✱ ✱

★ وطبيعي أن الذي يحب أن يكون الأكبر، يكره أن يكون هناك من هو أفضل منه.

ونتيجة لهذا تدب فيه روح الغيرة والحسد:

فلما رأى شاوول الملك أن الفتى داود قد نالته مديح أكثر منه، بعد أن انتصر على جليات الجبار، تملكته الغيرة والحسد، فأراد قتل داود أكثر من مرة، وطارده من مكان إلى آخر، وتغير قلبه من جهته (١صم: ١٨: ٧-١٥).

أيضاً قايين قام على أخيه هابيل وقتله. لأن الرب قبل ذبيحة هابيل ولم يقبل تقدمته هو، فملكته الغيرة والحسد التي انتهت به إلى القتل.

كذلك أخوة يوسف الصديق: لما رأوا أنه قد صار أفضل منهم، بالأحلام التي حكاها لهم، وبالقميص الملون الذي منحه أبوه إياه. لذلك حسدوه، وازدادوا أيضاً بغضاً له. واحتالوا عليه ليميتوه. وأخيراً باعوه كعبد (تك: ٣٧).

نفس الغيرة أيضاً دبّت بين أختين شقيقتين هما لينة وراحيل، من أجل الأفضلية في انجاب البنين، وفي كسب محبة الزوج (تك: ٢٩: ٣١-٣٥). حتى قالت راحيل: مصارعات الله قد صارعت أختي" (تك: ٣٠: ٨).

✱ ✱ ✱

★ عجيب أن يشعر إنسان بكبره، لأسباب تحييط بذاته من الخارج .

مثال ذلك سليمان الملك، الذى شعر بذاته لأسباب كلها خارجة عنه، مثل قوله "بنيت
لنفسى بيوتاً. غرست لنفسى كروماً. عملت لنفسى جنات وفرايس... عملت لنفسى برك
مياه لتسقى بها المغارس المنبثة الشجر. قنيت لنفسى عبيداً وجوارى.. وكانت لى أيضاً
قنية بقر وغنم أكثر من جميع الذين كانوا فى أورشليم قبلى..". وعجيب أنه قال بعد كل
تلك الأسباب الخارجية: "فعممت وازددت أكثر من جميع الذين كانوا قبلى فى أورشليم"
(جا: ٢٤-٩).

بينما المفروض أن تكون أسباب العظمة من الداخل، كقول المزمور :
"كل مجد ابنة الملك من داخل" (مز ٤٥: ١٣) .

على الرغم من أنها "مشملة بأطراف موشاة بالذهب، ومزينة بأنواع كثيرة". ومع ذلك
ما أكثر الذين يكبرون فى أعين أنفسهم أو فى أعين الناس بأسباب خارج الذات مثل
السلطة والغنى والمركز وما أشبه.

✱ ✱ ✱

★ على أن البعض قد يكبر بسبب ذاته: كأن يكون حكيماً فى عيني نفسه، أو باراً فى
عيني نفسه.

الحكيم فى عيني نفسه، يعتد برأيه ويفكره. ويظن باستمرار أنه على صواب، وأن
الحق فى جانبه. بينما يقول الكتاب: "على فهمك لا تعتمد" "ولا تكن حكيماً فى عيني نفسك"
(أم ٣: ٥، ٧).

والحكيم فى عيني نفسه، لا يرى أنه محتاج إلى مشورة أو أى نصح. لأنه مكثف بذاته
من جهة الفكر، وواثق بمعرفته. بل قد يصل فى ذلك إلى مقاومة الرأى الآخر، فى عناد
وتشبث برأيه.

أما البار فى عيني نفسه، فهو الذى يشعر أنه لا يخطئ أبداً. ولذلك فهو لا يقبل عتاباً.
ولا يكون مستعداً لتغيير مسلكه .

الغرور :

والبار فى عيني نفسه، والحكيم فى عيني نفسه، كلاهما يصيبهما الغرور .
والمغرور له ثقة زائدة فى نفسه. يظن فى نفسه أكثر من حقيقتها بكثير. ويعتد بنفسه.

وربما تكون له مواهب أو قدرات تتعبه، وتكون مصدراً للغرور، أو قد يظن أن له مثل هذه المواهب والقدرات.

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

المغرور بذاته يعتمد على نفسه . أما المتواضع فيعتمد على الله .
الواثق بنفسه يكون كثير العمل . أما المتواضع فيكون كثير الصلاة .
المغرور إذا نجح ، يفتخر بعقليته وجهده وعمله . أما المتواضع فإذا نجح، يشكر الله -
لأنه لم ينجح إلا بمعونة منه .

✽ ✽ ✽

وهذا المغرور قد لا يعمل شيئاً . ولكنه في كثير من الأحيان يسيح في أحلام اليقظة،
ويتخيل فيها أنه يقوم بعظائم الأمور !!
وهو قد يقحم نفسه في أمور ربما تكون فوق مستواه، ظاناً أنه يستطيع أن يبدى فيها
رأياً، أو يعمل فيها عملاً . وغالباً ما يفشل...
وإن فشل أو صدّه الناس، قد ينطوى . يتأمل في وحدته محاسن نفسه ومواهبها، بعيداً
عن مجتمع لا يقدرها ولا ينتفع بها!!

تحقيق الذات :

★ الذي يريد أن يكبر ذاته يعمل على تحقيق ذاته في كل شيء .
ويقصد بعبارة (تحقيق ذاته) أنه يشعر بوجود هذه الذات وحفظ مكانتها في كل عمل
تعمله، حتى في الكنيسة، وفي الخدمة، يريد أن هذه الذات تظهر وتحقق وجودها . وما
أكثر ما تتحطم الخدمة بظهور الذات ومحاولتها أن تبدو وأن تسيطر . ولا مانع من أن
تصطدم بغيرها، ويسود الانقسام والصراع في الخدمة بسبب الذات.

✽ ✽ ✽

حتى في التعليم، قد تحاول الذات أن تثبت وجودها .
وربما في سبيل ذلك، يوجد المنهج الخاص والتعليم الخاص، والخروج عن المفهوم
العام لتقديم مفهوم خاص تتميز به الذات وتظهر . وقد تحاول أن تحطم التعليم القديم الثابت
في الأذهان، لتقديم تعليماً جديداً.. وهكذا تظهر البدعة . وتدافع الذات عنها لتثبيتها .
وفي الخدمة، ما أسهل أن تسعى الذات وراء المتكآت الأولى، والمنافسة عليها . فلا
تكون الذات باذلة في مجال الخدمة، بل تكون الخدمة هي الوسيلة التي تظهر بها الذات،

★ومن أخطر ما تقع فيه الذات : الاستقلال عن الله .

وكان الذات تبحث عن ملكوتها هي، وليس عن ملكوت الله. وتهتم بتنفيذ مشيئتها الخاصة، لا مشيئة الله، وتحقيق رغباتها هي، لا وصايا الله. وبهذا تبعد كل البعد عن حياة الطاعة والتسليم.

ومن الأمثلة البارزة في هذا المجال يونان النبي، الذي هرب من تنفيذ أمر الله في الذهاب إلى نينوى والمناداة عليها بالهلاك. لأنه كان يدرك أنها إن تابت بمناداته، سيغفر الله لها ولا تهلك.. فتسقط كلمته في المناداة عليها. وقد حسب ذلك ضد كرامته!!

لذلك عندما رحم الله أهم نينوى، غم ذلك يونان غمًا شديدًا فاغتاظ، وقال: الآن يارب خذ نفسي، لأن موتى خير من حياتي (يون ٤: ١-٣).

✱ ✱ ✱

★ومن مظاهر استقلال النفس عن الله ، رغبتها في أن تحيا في حرية مطلقة، ولو أدى الأمر أن تعصى فيها كل وصايا الله!!

وهذا ما وقع فيه الكثيرون، وقادتهم الحرية الخاطئة إلى التسبب والإنحلال، وإلى الإباحية والشذوذ، والمطالبة لأنفسهم بحقوق في إباحيتهم وشذوذهم. ومن أمثلة ذلك أيضاً الوجوديون، الذين رأوا أن وجودهم لا يتحقق في ظل وصايا الله. فنادوا بأنه من الخير أن الله لا يوجد، لكي يوجدوا هم، أى لكي تتحقق لهم الحرية الكاملة في التمتع باللذة المنحرفة مستقلين عن الله..!

✱ ✱ ✱

والذي من أجل تحقيق ذاته، يأخذ هذا الموقف من الله، طبيعي جداً أن يأخذ نفس الموقف من أب الاعتراف .

فهو لا يريد أن يكون أب الاعتراف عائقاً لحرية. لذلك لا يطيعه إلا فيما يتفق مع غرضه هو. وإن نصحه أب الاعتراف بتدبير يراه ضد فكره واتجاهه، يجادله ولو إلى حد عدم الاستجابة لإرشاده. وقد يلجأ إلى عدم استسارته مطلقاً في أى أمر يشعر بأنه سيرفضه.

وبهذا يريد أن يكون أب اعترافه مجرد جهاز تنفيذى لرغباته، يعطيها شرعية كنسية بالموافقة عليها، أن يسلك حسب هواه...

السيطرة :

*والإنسان الذي يحب ذاته بمثل هذه المحبة الخاطئة، تظهر هذه الذات مسيطرة في معاملته .

فهو يريد أن يكون أهم من غيره. ويريد احتراماً لذاته من كل من يتعامل معه. ويكون حساساً جداً لكرامته وسمعته ونفوذ كلمته!

وبسبب ذلك ما أسهل أن يصطدم بغيره. وتقوده الذات إلى خصومات وربما إلى معارك. ويقوده التنافس إلى الحسد.

وتظهر (الأنا) Ego واضحة في تعامله ، تقوده إلى الأنانية التي تسبب له كراهية الناس وتجنبهم للاختلاط به.

ويميل إلى العظمة وتشامخ الروح. ويود أن تكون هذه العظمة له وحده، وتزول من غيره لتستقر عنده. ويستاء من كل مديح يوجه إلى غيره. كما لو كان إعجاب الناس وقفاً عليه وحده!

الطمع :

والمهتم بذاته يقع أيضاً في الطمع .

وينطبق عليه قول الكتاب "كل الأنهار تجري إلى البحر، والبحر ليس بملآن" (جا: ٧). ذاته لا تحاول أن تكتفي في كل المجالات. لا تكتفي غنى ولا عظمة ولا مديحاً. أليس أن الشيطان لم يكتف بما كان فيه من مجد، فأراد أن يرتفع فوق كل كواكب الله، بل أن يصير مثل العلي! (أش: ١٤: ١٣، ١٤).

وفي طمع الإنسان المحب لذاته، قد لا يسمح بأن يعطى فرصة لغيره أن ينال شيئاً إلى جواره. كما قيل عن رعاة لوط أنهم اختصموا مع رعاة إبراهيم، لما كثر الخير فتنافساوا على المراعى. وقيلت تلك العبارة المؤلمة "ولم تحتملها الأرض أن يسكننا معا" (تك: ١٣: ٦).

والذي تقوده الذات إلى الطمع، يصعب عليه العطاء .

فيحب الأخذ أكثر من العطاء، بعكس وصية الرب (أع: ٢٠: ٣٥).

من أجل تمرّكزه حول ذاته، يصعب عليه دفع العشور والبكور، ويصبح العطاء كأنه اقتطاع من ذاته. وفي قصة الغنى ولعازر (لوقا ١٦) كان لعازر يشتدّ الفئات الساقط من مائدة الغنى، وذلك لا يعطيه.

وبالتالى فإنّ المحب لذاته - إذا أعطى - يصعب عليه أن يعطى فى الخفاء. لأن ذلك لا يمدد ذاته فى أعين الناس .

وإن أعطى ، يكون عطاؤه كله خارج ذاته ، بينما أعظم العطاء هو فى بذل الذات لأجل الغير حسب قول الرب (يو ١٥ : ١٢).

✽ ✽ ✽

والمحب لذاته يقع فى الافتخار وفى تبرير الذات .

فهو يكثر الحديث عن نفسه وفضائلها . وبلاشك يتحدث عن أنصاف الحقائق. لأن النصف الآخر من الحقيقة - وهو ضعفات ونقائص تلك النفس - لا يذكره فى حديثه .

كلمة أنا :

كلمة (أنا) Ego والكبرياء يسيران معاً فى طريق واحد منحرف، ويقعان معاً فى هاوية واحدة، بعيداً عن محبة الله والناس .

إنها كلمة (أنا) فى سعيها إلى الظهور، وفى طلبها للكرامة، ولمزيد من الحقوق، سواء على المستوى الدنيوى، أو المستوى الدينى.

✽ ✽ ✽

ونقصد بكلمة (أنا) كل ما يتعلق بها أو ينتسب إليها ..

كمن يقول : عائلتى، وقربتى، وفريقى، وأهلى، وعشيرتى... إلخ

كلها تحمل معنى (الأنا) فى الانتماء إليها، وفى الافتخار بها، وفى التعصب لها. على مستوى الجماعة، كما على مستوى الفرد.

(الأنا) تريد كل شئ لها. وعلى الأقل تريد أفضل شئ لها..!

✽ ✽ ✽

ولأسف تبدو كمرض ينشأ منذ الطفولة المبكرة!!

فعلى الرغم من وصف الأطفال بأنهم ملائكة، إلا أن (الأنا) تسود على غالبيتهم. فالطفل من صغره يتمسك بمحبة الذات التى تقوده إلى الغيرة وإلى الأنانية. فهو قد

يتضايق إن أحببت أمه أو دللت طفلاً غيره.. لأنه يريد كل الحب وكل التدليل له وحده. وإن أنجب أبواه طفلاً بعده، قد يعتبره منافساً له في اهتمام الوالدين به. فهو يريد كل الاهتمام له! وإن رأى طفلاً آخر يلعب بلعبة جميلة، ربما يحاول أن يأخذها منه، أو يبكي بسبب ذلك.. إنها الذات ومشاكلها...

✽ ✽ ✽

وبسبب ذلك فإن أسرة الطفل تحاول أن تتملقه أو تجامله، لتخفف من ضغط الذات عليه.

وتقول له: أنت طفل جميل حلوا أنت أحلى ولد. لا يوجد أبداً مثلك.. وتظل تعطيه من أصناف المديح، بل ومن الهدايا والعطايا، لكي تشبع فيه (تحقيق الذات)، وتخفف عنه حروبها ومشاكلها! أو تحاول أن تقنعه بالرضى على غيره من الأطفال. أو تعطيه ليعطيهم، فيكون العطاء عن طريقه، فتشبع ذاته وترضى!..

✽ ✽ ✽

محبة الذات هذه تتبع الطفل في نموه. وتكبر عنده حينما يكبر ويصير شاباً أو رجلاً. وتصير مصدراً لألوان من الكبرياء عنده .

والأمر يحتاج إلى حكمة كبيرة في أساليب التربية، لإتقان الطفل في أطوار نموه من كبرياء الذات وأنايتها. وتفهيمه بأنه يمكن أن يكبر في الفضيلة، وفي النمو الروحي.. إلى أن توصله إلى تفضيل التواضع حينما يكبر في السن.. وليس هذا بالأمر السهل، ولكنه يحتاج إلى خبرة في التربية، ودراية بأساليب الإرشاد الروحي .

أما الذي في نموه في السن، يستمر في اشباع الذات بالاستحواز على كل شيء، فهو لا يزال يحتفظ ببعض أمراض الطفولة نفسياً .

✽ ✽ ✽

وتبقى عنده مشكلة الذات: ماذا أكون؟ ومتى أكون؟ وكيف أكون؟ وكيف تكبر ذاتي؟ وكيف تفوق غيرها؟..

وتتحول ذاته إلى صنم يتعبد له!! بل قد تتبعه عبادة الذات في المجال الديني أيضاً!! فإن دخل في خدمة الكنيسة أو في خدمة المجتمع، ترى ذاته أيضاً أمامه: كيف يكبر في مجال الخدمة؟ كيف يكون له الرأي الواجب التنفيذ؟ ويكون هو الأول أو يكون هو الوحيد والباقيون أتباعاً!! كل ذلك في مجال خدمة الرب!!

بل حتى في الصلاة، تقف الذات أمامه! كيف يعجب الناس بصلاته؟! وكيف باستجابة
صلاته، ينال إعجاب الناس!! إنها (الأنا) التي لا تصلى لأجل خير الناس ومنفعتهم، إنما
تصير (الأنا) هدفاً، تكبر عن طريق الصلاة واستجابتها! وإن لم يستجب الله لمثل هذه
الصلاة، يدخل في عتاب مع الله: كيف تخلى عن أناه!!

✱ ✱ ✱

وربما في المعاملات، يريد أن يفرض صنم هذه الأنا على غيره!

فكما أنه يحب هذه الأنا، ويتعبد لها ويمدحها، يريد أيضاً أن الكل يتعبدون لها
ويمدحونها ويوافقونها على كل ما تريد!! ومن يعارض رغبات ذاته، يتخذ له عدواً
ويقاومه! لأنه لم يُشبع هذه (الأنا) ما تهواه من كرامة ومن كبرياء!
وغالباً ما تكون (الأنا) سبب كل عداوة وانقسام واختلاف .

ويبقى أن الله ينجي الإنسان من خطورة هذه (الأنا) عليه وعلى غيره. وأيضاً على
الإنسان أن يبحث عن وسائل تخلصه من أناه...

✱ ✱ ✱

وربما إنسان يستخدم هذه (الأنا) لاهوتياً أو عقائدياً، فيفتخر بما وصلت إليه ذاته من
رفعة روحية.

فيقول: أنا تجددت. أنا تطهرت. أنا تقدست. أنا تبررت. أنا ضمننت الملكوت. أنا قد
صار الشيطان تحت قدمي، أدوسه بكل قوة وأطرده.. وتكرر كلمة (أنا) في مثل هذا
الإفتخار! وفيه كله، لا يذكر إطلاقاً عمل النعمة فيه! ولا يذكر الضعف البشري المعرض
للسقوط. ولا يذكر قول الكتاب عن نبي عظيم مثل إيليا: "إيليا كان إنساناً تحت الألام
مثلنا!" (يع: ٥: ١٧) مع أنه "صلى صلاة أن لا تمطر السماء، فلم تمطر على الأرض ثلاث
سنين وستة أشهر. ثم صلى أيضاً، فأعطت السماء مطراً، وأخرجت الأرض ثمرها" (يع: ٥:
١٧، ١٨).

للأسف يستخدم الإنسان ما عمله نعمة الله معه، لتفتخر بها ذاته، وليس لكي يمجد
عمل النعمة فيه، مع الاعتراف بضعفه .

✱ ✱ ✱

أما الآباء الأنبياء والرسل والقديسون، فقد استخدموا كلمة (أنا) في مجال الانضاع
وانسحاق النفس...

ابراهيم أبو الآباء ، الذى باركه الله ، وجعله بركة ، وقال له: "وفيك تتبارك جميع قبائل الأرض" (تك ١٢: ٢، ٣)، نراه فى مجال كلمة (أنا) يقول "أنا تراب ورماد" (تك ١٨: ٢٧). ودود النبى، الذى كانت له دالة كبيرة عند الله، وقد صنع الله به نصراً عظيماً على جليات (اصم ١٧)، نراه بعد ذلك لما عرضوا عليه مصاهرة الملك شاول، يقول لهم "هل هو مستخف فى أعينكم مصاهرة الملك، وأنا رجل مسكين وحقير" (اصم ١٨: ٢٣).. وما أكثر اعترافه فى مزاميره بضعفه. كأن يقول "ارحمنى ياربى فإنى ضعيف" (مز ٦: ٢).

ويوحنا المعمدان، مع أنه كان أعظم من ولدته النساء (مت ١١: ١١)، يقول للرب "أنا المحتاج أن أعتمد منك" (مت ٣: ١٤). ويقول للناس "يأتى بعدى من هو أقوى منى، الذى لست أنا مستحقاً أن أحل سيور حدائه" (مت ٣: ١١) (لو ٣: ١٦).

وبولس الرسول العظيم، الذى اختطف إلى السماء الثالثة (٢كو ١٢: ٢)، قال عن ظهور السيد المسيح للرسول بعد القيامة "وأخر الكل، كأنه للسقط ظهر لى أنا، لأنى أصغر الرسل، أنا الذى لست أهلاً أن أدعى رسولاً، لأنى أضطهدت كنيسة الله" (١كو ١٥: ٨، ٩).

* * *

هذا هو الاستخدام السليم لكلمة (أنا) بروح الانسحاق .

وبنفس الروح، يرسل القديس العظيم بولس الرسول إلى تلميذه تيموثاوس فيقول "أنا الذى كنت قبلاً مجدفاً ومضطهداً ومفترياً. ولكنى رُحمت لأنى فعلت بجهل فى عدم إيمان" (١تى ١: ١٣). يقول ذلك عن نفسه فى رسالة إلى تلميذه، بينما العادة أن يفتخر المعلمون أمام تلاميذهم! ولكنه يستخ كلمة (أنا) بالطريقة السليمة.

ونلاحظ أنه عندما تحدث عن اختطافه إلى السماء الثالثة، لم يقل أنا، إنما قال "أعرف إنساناً فى المسيح يسوع" (٢كو ١٢: ٢) فلم يستخدم كلمة (أنا) فى مجال التمجيد بينما استخدمها فى الإعراف بأخطائه.

* * *

فى تمجيد الذات، اهتم الآباء بتمجيدها فى السماء لا على الأرض .

فى مجد (الأنا) على الأرض، فى هذه الحياة الحاضرة القصيرة، كان يخيفهم قول الرب عن هؤلاء الذين ينالون مديحاً هنا من الناس: "الحق أقول لكم إنهم قد استوفوا أجرهم" (مت ٦: ٢). وتكررت نفس العبارة فى (مت ٦: ٥ : ١٦). وبنفس المعنى قال أبونا ابراهيم لغنى لعازر: "يا ابنى، اذكر أنك استوفيت خيرائك فى حياتك" (لو ١٦: ٢٥).

أما الذين "أجرهم عظيم في السماء"، فهم أولئك الذين أخفوا كلمة (أنا)، وعملوا الفضيلة في الخفاء، أمام أبيهم السماوي الذي يرى في الخفاء، وسيجازيهم علانية (مت ٦). وأيضاً أولئك الذين استخدموا عبارة (لا أنا) وما يشابهها .

لا أنا :

مثال ذلك القديس بولس الرسول الذي قال عن خدمته الناجحة: "ولكن بنعمة الله، أنا ما أنا. وبنعمته المعطاة لي لم تكن باطلة. بل أنا تعبت أكثر من جميعهم. ولكن لا أنا بل نعمة الله التي معي" (١كو ١٥: ١٠). وهنا نركز على عبارة: "لا أنا، بل نعمة الله التي معي" .

ويكرر بولس الرسول نفس المعنى، فيقول "مع المسيح صُلبت. فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا في" (غل ٢: ٢٠). لا أنا الذي يعمل، بل المسيح الذي فيّ يعمل كل شيء. أما فقد صُلبت معه. لقد صُلبت كلمة (أنا) فما عادت تظهر .

✱ ✱ ✱

وهكذا كل الخدام، لا تريد أن (الأنا) تتال مجداً، بل يقولون:

"ليس لنا يارب ليس لنا. لكن لاسمك القدوس أعطي مجداً" (مز ١١٥: ١).

نعم، في مجال التمجيد يقول كل منا: لا انا، ليس لنا .

وهذا هو التدبير الذي سار عليه القديس يوحنا المعمدان. فكان يرفض كل تمجيد موجه إليه، إلى "الأنا" ويحوّله إلى السيد المسيح قائلاً عبارته الخالدة :

"ينبغي أن ذاك يزيد، وأنى أنا أنقص" (يو ٣: ٣٠).

ما أكثر ترديد المعمدان لعبارة لا أنا، أو لست أنا...

أما أنا فمجرد "صديق للعريس، يقف ويسمعه فيفرح فرحاً من أجل صوت العريس. إذن فرحي هذا قد كمل" (يو ٣: ٢٩).

✱ ✱ ✱

وعبارة (لا أنا) نقولها ليس فقط من جهة علاقتنا بالله، بل أيضاً من جهة علاقتنا

ببعضنا البعض...

فمن جهة الكرامة، يقول كل منا: لا أنا، عملاً بوصية الرسول: "مقدمين بعضكم بعضاً في الكرامة" (رو ١٢: ١٠).

ومن جهة الرئاسة يقول أيضاً كل منا لا أنا، عملاً بوصية الرب الذي قال: "من أراد أن يكون فيكم عظيماً، فليكن لكم خادماً. ومن أراد أن يكون فيكم أولاً، فليكن لكم عبداً" (مت ٢٠: ٢٦، ٢٧).

✱ ✱ ✱

وفي عبارة (لا أنا) نتبع وصية الرب في المتكأ الأخير .

نترك المتكآت الأولى للكتابة والفريسيين الذين يشتهونها (مت ٢٣: ٦). وإن عرضت علينا يقول كل منا: لا أنا. بل أخي أفضل مني وأولى. وهكذا نحيا حياة الاتضاع ...

كيف نتخلص من الذات (من الأونا)

يمكننا أن نتخلص من سيطرة الذات بالأمور الآتية :

١ - قهر الذات :

الصوم والعفة يدخلان في قهر الذات، من جهة ضبط طلبات الجسد وشهواته. وهناك قهر آخر للذات من جهة شهوات النفس.

فقد تشهت النفس حب الظهور، وأن تعلن عن ذاتها وتسعى وراء العظمة. وفي هذا كله ينبغي أن نقاومها. وسعيد هو الإنسان الذي يراقب نفسه ويمنعها كلما تشرد وراء التمتع العالمية. ويقنعها بأن التمتع بالله أفضل.

إن مالت نفسك أو مال جسدك إلى متع هذا العالم، إمنعها بشدة: لا قسوة عليهما، إنما ضمناً لأبديتك. لأن الذي يدل نفسه هنا يهلكها...

✱ ✱ ✱

والذي يتراخي في ضبط ذاته، تقوى ذاته عليه، وتتمرد على سلوكه الروحي. بعكس الذي يدرب ذاته ويروضها في دروب الرب.

إن الوسيلة التي تبنى بها ذاتك، هي أن تقهر ذاتك وتغلبها. لأنك بقهر الذات وتغلبك عليها، تصل إلى المجد الحقيقي للذات، الذي هو غير المظاهر الخارجية من العظمة واللذة والشهرة.. كل هذه الأمور البرانية. بينما ينشد المرتل قائلاً في المزمور "كل مجد ابنة الملك من داخل" (مز ٤٥).

✱ ✱ ✱

ثق أن في قهر الذات لذة روحية، لا تعادلها كل ملاذ الجسد. لذلك إن أردت أن تبني ذاتك، أقهرها من جهة تطعاتها الخارجية، لكي تبنيها من الداخل. وحينئذ تجدها في الله، وتجد الله فيها. وتبصرها صاعدة نحو الأبدية.

✽ ✽ ✽

ومن هنا كان الزهد من وسائل علاج الأنا .

وفي الزهد تبني ذاتك - لا في هذا العالم الحاضر - إنما في العالم الآتي. وكما كان يوسف الصديق يخزن قمحاً للسنوات المقبلة، كذلك أنت إخزن ما ينفعك يوم تقف أمام الديان العادل. وكما خزنت العذارى الحكيمات زيتاً لحين مجئ العريس (مت ٢٥). كذلك إخزن أنت زيتاً من عمل الروح القدس فيك...

أقهر ذاتك في أمور العالم، لأن العالم يبید وشهوته معه (ايو ٢: ١٧).

✽ ✽ ✽

إن أرادت نفسك أن تنتصر على الغير، أقهرها. فالانتصار الحقيقي هو الانتصار على الذات.

أما الغير: فبدلاً من أن تنتصر عليهم، إكسبهم. لأن الكتاب يقول "رابح النفوس حكيم" (أم ١١: ٣٠)... إن الانتصار على الناس سهل. ولكن كسب الناس هو الذي يحتاج إلى مجهود، إن كنت فيه تقهر ذاتك...

✽ نقطة أخرى في علاج الأنا . وهي محبة الآخرين وخدمتهم .

مَحَبَّة الْآخَرِينَ وَخَدْمَتِهِمْ ،

أخرج من حبس ذاتك داخل نفسك، إلى نطاق الآخرين .

يقول المزمور "إخرج من الحبس نفسي" (مز ١٤٢: ٧). وأى حبس هو أقوى من أن تحبس نفسك داخل هذه الأنا؟! اخرج منها إذن، واندمج في العالم الخارجى، مع الآخرين تحبهم وتخدمهم وتتعاون معهم.

قطعا ، الشخص الذى يحب ذاته ، لا تهمة محبة الآخرين .

حاول إذن أن تخرج من التركيز على الاهتمام بنفسك، إلى الاهتمام بالآخرين. وثق أنك ستجد في هذا لذة. وسوف يبادلونك حباً بحب، وتجد في محبتهم ما يشبع نفسك.

✽ ✽ ✽

انتقل من مجال الأخذ إلى مجال العطاء .
تدرب على أن تعطى الغير، تعطيتهم خدمة، تعطيتهم وقتاً، تعطيتهم حباً وجهداً
ومساعدة.. وإذا نما الإنسان في تدريب العطاء، فإنه يعطى حتى نفسه. وهذا أسمى ما
يصل إليه في الإنطلاق خارج الذات...

وإن كان من أخطاء (الأنا) : البخل. فالعلاج هو العطاء .

حيث يتدرب الإنسان على اليد المفتوحة باستمرار، الممدودة بالعطاء إلى الغير، في
سعة، وفي رفق وحنان .. شكرهم سوف يشبعه. ومساعدتهم ستغير قلبه وتملؤه بمشاعر
نبيلة، فيعطى أكثر، ويزداد في خدمة الآخرين وفي إسعادهم.

✽ ✽ ✽

ويتعود أن يتعب لأجل الآخرين .

لا يهتم براحة نفسه، إنما براحة غيره. على عكس الأناي الذي يجعل راحته على
تعب الآخرين. وكلما ينمو الإنسان الروحي في الاهتمام براحة الآخرين، قد يصل إلى
حياة التكريس. لأن المكرس هو الذي يجعل حياته كلها لأجل الآخرين.

✽ ✽ ✽

✽ نقطة أخرى في معالجة (الأنا)، هي التواضع .

التواضع :

الإنسان الذي يعيش في محبة (الأنا)، يهمله أن تكبر ذاته باستمرار، وفي المقارنة
يريد أن تكون أعلى من غيره. وعلاج ذلك أن يضع أمامه قول الرسول:
"مقدمين بعضكم بعضاً في الكرامة" (رو ١٢: ١٠).

وعن ذلك يقول الشيخ الروحاني "في كل موضع تحلّ فيه، كن صغير أخوتك
وخديمتهم". بل إن السيد الرب يقول "إن أراد أحد أن يكون أولاً، فليكن آخر الكل وخادماً
للـكل" (مر ٩: ٣٥). وهكذا يمارس فضيلة (المتكأ الأخير) .

✽ ✽ ✽

والمقصود بالمتكأ الأخير، أن يكون الأخير لا من حيث المكان، بل من حيث المكاتة.
فلا تحسب نفسك أهم الموجودين في المكان الذي تحلّ فيه. ولا أن رأيك هو أهم

الأراء، وقرارك هو أهم القرارات، ومركزك هو الأهم!! ولا تفكر في أنه ينبغي أن تكون أنت المطاع والمحترم بين الكل!

* * *

لا تعط نفسك كرامة وتفرضها على الآخرين .

إنما اترك الناس يكرمونك من أجل ما يرونه من تواضعك ووداعتك.. لا ترغم الناس على احترامك. فالاحترام شعور ينبع من داخل القلب. لا يفرض بالإرغام، إنما بالتقدير الشخصي..

قد ترغم إنساناً على طاعتك، ولكن لا تستطيع أن ترغمه على احترامك.

* * *

وفي معاملتك مع الناس، كن نسيماً لا عاصفة .

كثيرون يحبون صفة العاصفة، لأنها تحمل معنى القوة. أما النسيم فيمثل الوداعة واللفظ، اللذين ينبغي أن يتصف بهما من ينكر ذاته.

وفي تواضعك لا تفضل نفسك على غيرك. على أن يكون ذلك بعمق الحب وعمق الاتضاع، وبغير رياء..

* * *

في اتضاعك ، قل أنا . من أنا؟ أنا مجرد تراب ورماد .

بل قبل أن أكون تراباً، كنت عدماً. خلق الله التراب قبلاً مني، ثم صنعني من هذا التراب... وهنا يختفي منك الاعتداد بالذات.

وفي اتضاعك أيضاً ، تصل إلى فضيلة (إدانة الذات) .

إدانة الذات :

الإنسان المصاب بالأنان، يكون باستمرار باراً في عيني نفسه .

إذا أخطأ لا يعتذر، لأنه يظن أنه على حق ولم يخطئ! وإذا حدث سوء تفاهم بينه وبين أحد من الناس، لا يذهب إليه ليصالحه. لأنه يأمل أن طلب الصلح لا بد أن يأتي من الطرف الآخر، باعتبار أن الخطأ قد صدر من ذلك وليس منه!

بل حتى مع الله ، قد لا يعترف بأخطائه، لأن ذاته تقنعه أنه لم يخطئ!

* * *

العلاج إذن أن يحاسب الإنسان نفسه بغير تحيز، وبيديها .

يدين ذاته فى داخل نفسه. وبيديها أمام الله وأمام أب اعتراف. وبيديها أمام الغير حينما يلزم ذلك.

بيديها فى اتضاع. ولا يجلب اللوم على غيرها، كما فعل أبونا آدم وأمنا حواء (تك ٣). ولا يبرر ذاته من جهة أسباب الخطأ وظروفه. فكل دواعى التبرير سببها الذات وتمسكها ببيها الذاتى...

إن الإنسان الذى لا يعكف على تمجيد ذاته وتكبيرها، بل يهدف باستمرار إلى تنقية ذاته مما يشوبها من أخطاء ونقائص.. تراه يلوم نفسه وبيديها، لأنه بهذا يمكنه تقويمها وتصحيح مسارها.

✽ ✽ ✽

فى إحدى المرات زار البابا ثاوفيلس منطقة القلاى، وسأل الأب المرشد فى ذلك الجبل عن الفضائل التى أتقنها، فأجابته:

"صدقتى يا أبى، لا يوجد أفضل من أن يأتى الإنسان بالملامة على نفسه فى كل شئ".

هذا هو الأسلوب الروحى الذى يسعى به الإنسان إلى تقويم ذاته: يأتى بالملامة على نفسه، وليس على غيره، وليس على الظروف المحيطة. وليس على الله!! ظاناً أن الله لم يقدم له المعونة اللازمة!

✽ ✽ ✽

ليتنا ندين أنفسنا ههنا، حتى نتجو من الدينونة فى اليوم الأخير.

لأننا بإدانتنا لأنفسنا، نقترّب إلى التوبة. وبالتوبة يغفر لنا الرب خطايانا. أما الذى لا يدين ذاته، بسبب اعتزازه بهذه الذات، فإنه يستمر فى خطايها، ولا يتغير إلى أفضل. ويكون تحت الدينونة. وصدق القديس الأبا أنطونيوس حينما قال:

"إن دينا أنفسنا ، رضى الديان عنا"

"إن نكرنا خطايانا ، ينساها لنا الله"

"وإن نسينا خطايانا، يذكرها لنا الله"

✽ ✽ ✽

كذلك فإن إدانتنا لأنفسنا، تساعدنا على المصالحة بيننا وبين الناس، يكفى أن يعتذر

الشخص ويقول لأخيه "لك حق. أنا قد أخطأت في هذا الأمر"، لكي يضع بهذا حداً لغضب
المُساء إليه، ويتم الصلح معه. أما إذا استمر المخطئ في تبرير موقفه، فإن الخصم يشتد
بالأكثر في إدانته. وما أجمل قول القديس مكاريوس الكبير:

"احكم يا أخى على نفسك، قبل أن يحكموا عليك".

✽ ✽ ✽

★ نقطة أخرى تساعدك على علاج الذات وهى :

ضع أمامك مثال المسيح :

إن كان الإنسان الأول قد انهزم فى حرب الذات، واشتهى أن يصير مثل الله (تك ٣: ٥)، فإن السيد المسيح الذى بارك طبيعتنا فيه، صحح هذه النقطة. وكيف ذلك؟ يقول
الرسول عنه إنه :

"أخلى ذاته، وأخذ شكل العبد، صائراً فى شبه الناس" (فى ٢: ٧).

✽ ✽ ✽

وعاش على الأرض فقيراً، ليس له أين يسند رأسه (لو ٩: ٥٨) بلا وظيفة رسمية فى
المجتمع. وتنازل عن كرامته "ظلم". أما هو قتل ولم يفتح فاه "وأحصى مع أئمة"
(أش ٥٣: ٧، ١٢). ولم يدافع عن نفسه.

أنكر ذاته من أجلنا. ووضع ذاته لكي يرفعنا نحن. ووقف كمتنب لكي نتبرر نحن.
ذاته لم يضعها أمامه، بل وضعنا نحن..

أليس هذا درساً لنا من هذا الذى عظمته لا تحد.. درساً لنا نحن المحاربين بالأنا، بينما
نحن لا شيء.

✽ ✽ ✽

السيد المسيح أخلى ذاته من المجد الحقيقى .

أما أنت ، فتخلى ذاتك من كل مجد باطل .

إن إخلاء المسيح لذاته موضوع واسع، ليس الآن مجاله.. يمكنك أن تقرأ عنه مقالاً
طويلاً فى كتابنا (تأملات فى الميلاد) من ص ٧ إلى ص ٢٨ .

✽ ✽ ✽

★ نقطة أخرى فى علاج (الأنا) وهى :

تدريب الميل الثاني :

قال السيد الرب "من سخرك ميلاً، فاذهب معه إثنين. من أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك، فاترك له الرداء أيضاً" (مت ٥ : ٤٠ ، ٤١).

وبنفس الوضع تحدث الرب عن الخد الآخر، فقال "من لطمك على خدك الأيمن، فحول له الآخر أيضاً" (مت ٥ : ٣٩).

وكانه أراد أن يقول : كن مظلوماً لا ظالماً. وكن مصلوباً لا صالِباً. لا تنتقم لنفسك. إن الذات تريد أن تأخذ حقها، وتأخذها بنفسها، وهنا على الأرض، وبسرعة على قدر الإيمان. أما تعليم الرب لنا في إنكار الذات فهو: "لا تقاوموا الشر" (مت ٥ : ٣٩).

* * *

لا تجعل ذاتك تتدخل ، لتتال حقوقك أو لتنتقم .

واذكر قول الكتاب "لى النعمة. أنا أجازى، يقول الرب" (رو ١٢ : ١٩). ومع أن النعمة

للرب، لكن لا تطلبها أنت منه لنفسك. بل الكتاب يقول:

"المحبة لا تطلب ما لنفسها" (١كو ١٣ : ٥).

ولماذا لا تطلب ما لنفسها ؟

لأنها بعيدة عن الذات، بعيدة عن الأنا التي تطلب..

تدريب آخر فى التخلص من الذات، وهو قول الرسول :

"لأحيا لا أنا.. " (غل ٢ : ٢٠).

الباب الخامس :

المجد الباطل ومحبة المديح والكرامة

- البر الذاتي .
- محبة المديح - وأنواعها .
- خطايا تنتج عن محبة المديح .
- كيف تهرب من محبة المديح ؟
- إخفاء الفضائل .
- البعد عن الرئاسات .
- الامتكا الأخير .

الكبرياء تله المجد الباطل

والبر الذاتي

المجد الباطل Vain Glory هو المجد المتعلق بأمور المادة والعالميات، وليس المجد الخاص بالروح ومركزها في الأبدية. والمنشغل بالمجد الباطل يسره مديح الناس له، أو مديح نفسه له.

البر الذاتي :

وأخطر ما يتعب الإنسان روحياً، أن تمدحه نفسه من الداخل .
ويظن في نفسه أنه قد وصل، أو أن فيه شيئاً يستحق الإعجاب من الآخرين. حتى من غير أن يمدحه أحد من الخارج، تكبر نفسه في عينيه من الداخل. ويكون حكيماً في عيني نفسه" (أم ٢٦: ٥) أو "باراً في عيني نفسه" (أى ٣٢: ١)، وهذا ما يسمى بالبر الذاتي. وفيه "يرتئى الإنسان فوق ما ينبغى له أن يرتئى" (رو ١٢: ٣).

✱ ✱ ✱

ومديح النفس قد تكون له أسباب دنيوية أو أسباب روحية:

فالسبب الدنيوية هي أن تمدحك ذاتك من أجل مركز عالمي وصلت إليه، أو من أجل غنى أو جاه، أو جمال جسدي، أو شهرة، أو ذكاء، أو قدرات معينة في العمل أو في الترفيه عن الآخرين، أو في الحيلة، أو الدهاء، أو القدرة على قهر الآخرين، وما إلى ذلك من أسباب.

أما عن مدح النفس لأسباب روحية :

فكان تمدحك نفسك بسبب صلواتك أو أصوامك أو مطاياتك، أو خدمتك الروحية
لآخرين، أو قدرتك على التأمل، وفهم الكتاب وحفظه واستخدامه، أو بسبب توبتك أو
بوك الروحي، أو بسبب بعض الفضائل التي تظن أنك قد وصلت إليها...

✱ ✱ ✱

وتزداد خطورة مدح النفس، إن ارتبطت بالمقارنة أيضاً .

فلا تظن فقط أنك بار، وإنما أكثر برأ من الآخرين. أو تظن أن خدمتك أنجح من خدمة
بغيرك. وأن تأملاتك أعمق، ومستواك الروحي أعلى...! وبالتالي ترى باستمرار أن غيرك
ل منك...

✱ ✱ ✱

وتزداد خطورة إن أقرنت بإحتقار الآخرين أو الإقلال من شأنهم .

أو إدانة الناس، والحديث عن مستواهم الضعيف وفهمهم الضئيل، والمقارنة بين
جاهك وفشلهم.. وقد يصل الأمر إلى حد مواجهة الآخرين، وتوبيخهم على أعمالهم
أخطائهم. وربما تنسب إليهم ما ليس فيهم من الضعفات والنقائص والأخطاء. وتقرض
بليهم مستواك، أو ما تظن أنك قد وصلت إليه من مستوى ومن فهم.

✱ ✱ ✱

أو أن تقرض رأيك على غيرك، موقناً أنه الرأي الوحيد السليم، بعكس ما يقوله
غيره. وهكذا تكون "حكيماً في عيني نفسك" (أم ٣ : ٧).

ويدفعك الإحساس بالحكمة والفهم، إلى التشبث برأيك أو موقفك مهما كان خاطئاً وإلى
جدل والمناقشة حتى إلى درجة العناد.. ومقاطعة الآخرين لكي تتكلم أنت.. ومعارضة
ل من لا يوافقك فهمه...

وربما في كل هذا تفقد صداقة الناس ومودتهم، أو أنك تفقد الروح الإجتماعية،
التعاون مع الآخرين واحترام الغير...

✱ ✱ ✱

والإنسان الذي تمدحه نفسه، من الصعب أن يعترف بأخطائه.

ربما لأنه لا يجد لنفسه أخطاء يعترف بها! أو لأن الكبرياء الداخلية تدفعه إلى تبرير
عمله أيأ كانت، أو التماس الأعذار لها...

هو لا يرى نفسه مخطئاً. ولا يقبل من غيره أن يراه مخطئاً.. وهكذا يكون "باراً في

عيني نفسه" (أى ٣٢: ١).

ومادام هو بارأ فى نظرتة إلى نفسه، فبأى شئ يعترف!؟

✽ ✽ ✽

الإعتراف هو أولاً إدانة النفس من الداخل. ثم إعلان ذلك .

والمتكبر لا يدين ذاته.. لا يرى أنه قد أخطأ. وإن وُجد خطأ، ينسبه إلى الظروف المحيطة به، أو يلقي التبعية فيه على غيره. أو يسمى أخطاهه بأسماء روحية، ويحاول أن يلبسها ثياب الحملان" (مت ٧: ١٥). ويضع وراءها نيات طيبة ومقاصد روحية، تجعلها تبدو على غير حقيقتها سليمة لا عيب فيها!

✽ ✽ ✽

وإن كان لا يعترف بخطئه، فبالتالى لا يعترف لغيره .

فى كل خصومة بينه وبين أحد من الناس، يعتبر أن الطرف الآخر هو المخطئ. والطرف الآخر هو الذى يجب أن يعترف، وهو الذى يجب أن يسعى إلى المصالحة! ومادام لا يعترف فى داخله أنه قد أخطأ، فبالتالى لا يعترف بخطأ أمام الكاهن، ولا يذهب لمصالحة الطرف الآخر قبل الذهاب إلى التناول من الأسرار المقدسة. لأنه "لا يتذكر أن لأخيه شيئاً عليه" (مت ٥: ٢٣، ٢٤).

وإن حاول أحد أن يقنعه بأنه مخطئ، يدخل فى متاهة لا تنتهى من المناقشات وقلب الحقائق. ويجد أمامه ميزاناً خاصاً تقيم به الأمور ويحكم عليها حسب مفهوم خاص غير مفهوم للأخرين!

✽ ✽ ✽

إن البار فى عيني نفسه ، يود أن يكون بارأ أيضاً فى أعين الناس.

فهو إما أن يعلن عن هذا البر ويحكى عنه للأخرين، وإما أن يدافع بكل جهده عما يشين هذا البر من نظرات الناس إليه. وإما أن يأخذ مظهرأ معينأ يقنع الناس ببره، مهما كانت داخلياته! وإما أن يحيط نفسه بأصدقاء ومريدين يتحدثون عنه بالصالح كل حين. ويمدحونه.. أو أن يحيط نفسه باستمرار بمن هم أقل منه سناً أو معرفة أو مركز أو درجة روحية، حتى يبدو الأكبر أمامهم فى كل وقت. ولا يعطى فرصة لأى نقد يوجه إليه. لأن كل المحيطين به يمدحونه ويمدحونه، وربما يستشيرونه فى كل شئ أو يتتلمذون عليه...

✽ ✽ ✽

أما المتواضع فهو يقارن نفسه باستمرار بمستويات أعلى منه .

وأمام هذه المستويات الأعلى، تصغر نفسه في عينيه، ويرى أنه لا شيء.. وهو يبحث باستمرار عما هو أكمل وأعلى، شاعراً أنه لم يصل بعد إلى المستوى المطلوب منه.. إنه يضع أمامه قول الرب "كونوا قديسين لأنى أنا قدوس" (بطا: ١٦). وأيضاً قوله "كونوا أنتم أيضاً كاملين، كما أن أباكم الذى فى السماوات هو كامل" (مت: ٥: ٤٨).

والمستويات العليا التى ينظر إليها، قد تكون من الأمثلة الحية أمامه. أو يجدها فى تاريخ القديسين وفى شخصيات الكتاب المقدس. بل حتى فى مثاليات من العلمانيين الفاضلين.. وكما قال القديس بولس الرسول "أنسى ما هو وراء، وأمتد إلى ما هو قدام. أسعى نحو الغرض" (فى: ٣: ١٣، ١٤). وكلما امتد إلى قدام، ينظر إلى الكمال الموضوع أمامه، فيقول "أيها الأخوة، أنا لست أحسب نفسى أنى قد أدركت" ولكنى أسعى لعلى أدرك" (فى: ٣).

كان أحد الرهبان كلما حارب بالمجد الباطل بسبب جهاده الروحى، يقول لنفسه: "العلی قد بلغت إلى درجة الأنبا أنطونيوس أو الأنبا بولاً ١٣"

✱ ✱ ✱

الإسنان المتواضع إذا حارب بالبر الذاتى، يتذكر خطاياہ ..

يتذكر ماضيه السابق وكل ضعفاته وكل سقطاته وكل خطاياہ. وحينئذ تخف عليه الحرب فلا يتكبر. إن القديس بولس الرسول الذى تعب أكثر من جميع الرسل (١كو ١٥: ١٠)، والذى صعد إلى السماء الثالثة (٢كو ١٢: ٢، ٤) كان يقول "أنا الذى لست مستحقاً أن أدعى رسولاً، لأنى أضطهدت كنيسة الله" (١كو ١٥: ٩). مع أن ذلك حدث فى ماضٍ قد انتهى وغره له الله، ودخل بعده فى عهد جديد مع الرب "كإناء مختار يحمل اسمه أمام أمم وملوك" (اع: ٩: ١٥). ولكنه يذكر نفسه بذلك الماضى فيحيا فى إتضاع..

وبالمثل كان داود النبى يقول "خطيئى أمامى فى كل حين" (مز: ٥٠).

✱ ✱ ✱

إن أنتك أفكار البر الذاتى، اذكر نعمة الله العاملة معك .

تذكر أن كل خير فيك، لست أنت سببه أو مصدره. إنما هى نعمة الله التى عملت فيك، وقوة الله التى سندهك. وأنتك بدون الله ما كنت تستطيع أن تفعل شيئاً (يو: ١٥: ٥). فلا يلىق أن تأخذ عمل الله وتنسبه إلى نفسك، وتنسى عمل النعمة.

لأنك إن نسبت عمل النعمة إلى نفسك، قد تتخلى عنك النعمة فتسقط .
وذلك لكى تعرف ضعفك، ولكى تعترف بضعفك. ولكى تخاف من البر الذاتى،
وتحترس من الافتخار الردى. وقد تسقط فى الخطايا التى انتقدت الناس عليها، وظننت
أنك أقوى منهم فى مواجهتها.

حقاً إن البار فى عينى نفسه، يتخيل أنه قوى وأنه يستطيع!

✱ ✱ ✱

أيضاً لكى تتخلص من البر الذاتى ، انظر باستمرار إلى الأبدية .
لا تحاول أن تبنى مجدك على الأرض، فالمجد الأرضى مجد باطل. ولا تحاول أن
تقال أجرك هنا، فكله أجر زائل. إنما باستمرار اعمل من أجل أبديتك. وقل لنفسك لا أريد
هنا شيئاً...

حاول أن تزهد فى كل كرامة دنيوية وكل كرامة بين الناس. واطلب شهادة الرب لك،
لا شهادة البشر، ولا شهادة نفسك لنفسك .

ليكن كنزك فى السماء، وليس على الأرض (مت ٦ : ١٩). ولا تجعل المجد الأرضى
يفقدك المجد السمائى. وإلا تكون أنت الخاسر .

✱ ✱ ✱

اذكر أيضاً طبيعتك الضعيفة القابلة للميل والقابلة للتغير .

هذه الطبيعة القابلة أيضاً للسقوط . واعرف أنك لست أقوى من الأكوياء الذين سقطوا.
فقد كُتِبَ عن الخطية أنها "طرحت كثيرين جرحى. وكل قتلها أكوياء" (أم ٧ : ٢٦). لذلك
اذكر أنك إن تهاونت ولو قليلاً، أو إن تخلت النعمة عنك ولو قليلاً، ما أسهل أن يتغلب
العدو عليك...

✱ ✱ ✱

إن احفظ نقاوة قلبك بالاتضاع .

لأنه بالاتضاع تلتصق بك النعمة (يع ٤ : ٦). فتستطيع بها أن تغلب. قل لنفسك: أنا
مازلت سائراً فى الطريق، ولم أصل إلى نهايته بعد، والعبرة كلها بالنهاية. فلاكن إذن
محترساً، ومتذكراً قول الرسول:

"من يظن أنه قائم، فلينظر لئلا يسقط" (١ كو ١٠ : ١٢).

وإله السماء قادر أن يحفظك بالاتضاع ، ويعطيك النصره من عنده .

الكبرياء تلد المجد الباطل

والمجد الباطل يلد محبة المديح والكرامة

محبة المديح :

المديح شيء ، ومحبة المديح شيء آخر . وقد يمدح الإنسان ولا يخطئ، ولكنه لو أحب المديح يكون قد أخطأ .
أباؤنا الرسل مُدحوا، والقديسون والشهداء مُدحوا أيضاً . ولكن كل هؤلاء لم يخطئوا . فليس الخطأ في أن يسمع الإنسان مديحاً، إنما الخطأ في أن يحب هذا المديح ويسرّ به حينما يسمعه .

هناك نوعان من الناس لا يهون المديح :

أولهما: نوع يهرب من المديح الذي يأتي إليه . سواء كان مديحاً من الناس، أو مديحاً من الشياطين، أو من نفسه .
والنوع الثاني يتمادى في الهروب من المديح والكرامة، حتى أنه ينسب لنفسه عيوباً كثيرة . وحتى يُظهر عن نفسه جهالات ونقائص تحط من قدره . ولو أدى الأمر أن يقال فيه ما ليس فيه . وهذا النوع توجد عنه قصص كثيرة في سير الرهبان والراهبات .

الذين يحبون المديح

الذين يحبون المديح درجات متفاوتة في الخطأ .

النوع الأول :

إنسان يأتيه المديح دون أن يسعى إليه. وعندما يسمع المديح، يسرّ به ويبتهج، على الرغم من أنه لم يسعَ إليه. وهذا الصنف من محبي المديح على درجات وأنواع :

أ - إنسان يسرّ بالمديح، ويسمعه في صمت، وهو قابع في مكانه: صامتاً ومسروراً في داخله، دون أن يشعر به أحد.

ب - إنسان آخر يسمع المديح، ويتسبب في الإستزاده منه. أى يظل يقول بعض عبارات تجعل الذي يمدحه يزيد في مديحه. كأن يجره من موضوع المديح إلى موضع آخر يُمدح منه، أو نقطة أخرى في نفس الموضوع تستحق المديح. أو يلجأ إلى أية وسيلة تجعل مادحه يزيد المديح.

ج - هناك إنسان يحب المديح وهو مسرور. ويتظاهر بعدم السرور بالمديح أو يرفضه، مع أنه مسرور من الداخل. ويظل يتمنع فيزيد الآخر في مدحه. أو يذكر عن نفسه نقائص وهو لا يقصد أن يعيبها أو يشينها. بل في قرارة نفسه يريد أن يسمع المزيد من المديح.

النوع الثاني :

أصعب من النوع السابق قليلاً: إنسان لم يأت به المديح، ولكنه يشتهي أن يسمعه. وفي إشتهائه يسلك أحد طريقتين :

أ - يشتهي المديح، ويظل صامتاً حتى يصله، متحليلاً أسباب يسمع بها المديح. كأن يبدأ موضوعاً معيناً، يشمل عملاً قد عمله يستحق فيه مديحاً. أو يجز الكلام خطوة خطوة، حتى يصل إلى النقطة التي لا بد أن يسرّ بها الناس ويمتدحونها، ويمدحونه بسببها.

ب - أو أنه يشتهي المديح، فيعمل أعمالاً صالحة أمام الناس، لكي ينظروه فيمدحوه. كما قال الرب عن الذين استوفوا أجرهم على الأرض (مت ٦).

النوع الثالث :

وهو أصعب من النوعين السابقين. وفيه إنسان يحب المديح ويشتهيه. لكن المديح لم يأت به بعد، على الرغم من أنه ينتظره ويتحلى له أسباباً...

فماذا يكون رد فعله على انتظاره المديح بلا نتيجة؟
 إنه يصل إلى درجة أخرى. فيها يكره من لا يمدحه ويعتبره عدواً، ويكون بينهما سوء تفاهم. ذلك لأنه لم يلاحظ بعد ما فيه من صفات فاضلة تستحق المديح، وما قام به من أعمال توجب له تقدير الناس...

نعم إن هذا الإنسان لم يضره في شيء حتى يصير عدواً. إنما يكفي أنه لم يمدحه ببعض الكلام الطيب. لم يقابله مقابلة لطيفة، ولم يقدم له احتراماً زائداً، ولم يكرمه إكراماً من نوع خاص! مثل هذا الإنسان الذي يكره من لا يمدحه، ماذا يفعل إذن بالذي ينتقده؟! إن كان الساكت فقط عن مدحه، أصبح موضع كراهيته، فكم إذن يكون شعوره من جهة ناقديه؟!!

النوع الرابع :

هناك نوع آخر يشتهي المديح، ويسرّ عندما يسمعه، ويكره من لا يمدحه. ولكنه لا يكتفى بذلك. بل هو يمدح نفسه إذا لم يجد أحداً يمدحه. فيتكلم عن أعماله الفاضلة التي عملها وتستحق المديح. وفي نفس الوقت يخفي خطاياها الشخصية.
 هذا الإنسان هو الذي يتحدث كثيراً بالخير عن نفسه .

النوع الخامس :

إنه أصعب من ذلك النوع السابق الذي يمدح نفسه .
 ذلك لأن مديح النفس من صنفين: واحد منهما -الذي ذكرناه- وهو الذي يمدح نفسه بما فيه. فيظل يتكلم عن أفعاله المجيدة التي عملها، وما توجد فيه من صفات حسنة.
 أما الصنف الثاني - الذي نذكره حالياً - فهو حالة إنسان يمدح نفسه بما ليس فيه. وينسب إلى نفسه فضائل ليست عنده، بل يدعيها ويتخيلها.

أو يذكر صفات حسنة عنده، ولكنه يبالغ في الحديث عنها ويكبرها...
 أو أنه ينسب فضيلة غيره إلى نفسه! فإن كان مشتركاً في عمل، قد تم نجاحه بمجهود مجموعة من الناس.. فإنه حينما يحكى عن هذا العمل، يركّز على نفسه فقط كما لو كان هو وحده السبب في نجاح العمل، وليس مجرد مشترك فيه، لكي يكون المديح له وحده. متجاهلاً كل الذين اشتركوا في العمل وساهموا في نجاحه، وكأنهم لم يكن لهم وجود ولا مجهود!!

بل قد يحدث في بعض الأوقات ما هو أسوأ من هذا: أن ينسب إلى زملائه في العمل كمية كبيرة من العيوب، ويتهمهم بالتقصير أو الضعف، ويخفي حقهم ودورهم. كأن يقول عن واحد منهم -على غير حق- أنه لم يستطع أن يتكلم، وكان متلعثماً حتى تضايق الناس منه.. إلى أن تدخل هو وقال الرد الصحيح. أى أنه كان بطل الموقف بينما أخطأ غيره!!
مثل هذا الإنسان لم يمدح ذاته فقط، بل أضاف إلى امتداح نفسه، أنه ذم الآخرين وشهر بهم. وبنى كرامته على إمتهان الآخرين!

✱ ✱ ✱

وعن التواضع الذى هو عكس هذا النوع من مديح النفس:

أذكر قصة راهب فاضل كان ينكر ذاته جداً. فحينما كان يعمل فى خدمة الدير عملاً حسناً، ويدرك أنه لا بد سينال مديحاً بسببه، كان يشرك معه راهباً آخر فى جزء ضئيل جداً من العمل. أو فى نهاية العمل يطلب من أحد الرهبان أن يساعده. فإن مُدح على ذلك العمل بعد إتمامه، يقول "بارك الله أبانا فلان الذى تم العمل على يديه".. وهكذا ينسب إليه الفضل، حتى يُبعد المديح عن نفسه.

هناك مثل آخر واضح فى لعبة كرة القدم. فلو كان كل لاعب فى الفريق يبحث عن مدح نفسه، سيفشل الجميع. لأن كلاً منهم يريد أن يكون الهدف بواسطة وحده! ولكن بروح الفريق يلعب الجميع. وقد يسير أحدهم بالكرة حتى يصل إلى قرب المرمى، ثم يمرر الكرة لغيره فيكسب زميله الهدف ويمتدحونه. المهم هو إنتصار الفريق وليس فرداً معيناً منه.

فإن كان هذا فى الروح الرياضية، فكم بالأكثر تكون الحياة الروحية.

إن الإنسان الذى يسعى إلى مدح ذاته، متجاهلاً باقى الناس والظروف المحيطة، وقد يتجاهل عمل نعمة الله معه، إنما يمدح نفسه بما لا يستحق ..

النوع السادس :

وهو يمثل أردأ نوع من محبى المديح. إذ قد تصل محبة المديح بشخص إلى الدرجة التى فيها يحب أن يكون المديح له وحده. ويتضايق إذا مُدح شخص آخر غيره. أو يغتاظ إن شاركه أحد فى المديح. فهو يريد أن يُمدح وحده وليس غير. وإن مُدح آخر يغار ويحسده، ويحقد عليه ويتكلم عنه بالسوء .

الخطايا التي تنتج عن محبة المديح والكرامة

ما أكثر الخطايا التي تنتج عن محبة المديح والكرامة. نذكر من بينها:

١ - الرياء :

محب المديح قد يصير إنساناً مرئياً، لا يعطى صورة حقيقية عن نفسه. فهو يخفي النقط السوداء التي فيه، ويُظهر فقط النقط البيضاء التي تجلب له المديح. وإخفاء النقط السوداء يتدرج فيه إلى نواح كثيرة. وكذلك إظهار النقط البيضاء يتدرج فيه إلى نقط خطيرة. وبهذا يقع في عيوب لا تُحصى.

✱ ✱ ✱

٢ - الغضب وعدم الاحتمال :

مادام محب المديح يخفي عيوبه، وبالتالي لا يقبل أن يوجه إليه أي عيب. فيكون إنساناً يكره الانتقاد. وإذا انتقده أحد، فإنه لا يحتمل. وربما لا يقف فقط عند حدّ عدم الاحتمال، بل قد يتطور به الأمر إلى الغضب والنرفزة والثورة إلى آخر هذا الطريق.

فكيف ينقده شخص ويقول عنه كلمة سيئة؟! وكيف يذكر له عيباً معيناً؟! لهذا فإنه يثور ويضج، ويتعب من الداخل ومن الخارج. كما يُتعب معه الآخرين أيضاً. وكل هذا بسبب محبته للمديح والكرامة.

وهنا يجب أن نعلم أن علاج أنواع كثيرة من الغضب، هو ألا يكون الإنسان محباً للمديح ولا للكرامة. لأن كثيراً من غضبنا يكون مصدره هو محبة المديح، إذ لا يحتمل

محب المديح قد يكره من لا يمدحه. ويكره أيضاً بالأكثر من ينتقده. كما يكره من يمدح غيره أمامه. لأنه يريد المديح له وحده!

* * *

٤ - الحسد :

محبة المديح والكرامة هي من الأسباب الأساسية للحسد. فالحاسد يريد أن يأخذ مركز غيره ومكانته عند الناس. ولا يريد أن يكون غيره أفضل منه. فهذا يحسد كل من يراه موضع التقدير والإعجاب!

* * *

٥ - النقد والإدانة والتشنيع والسب للغير :

يقع محب المديح في هذه الأخطاء. ذلك لأنه يحب أن يكون جميع الناس أقل منه. لذلك فهو يشوه أعمال الغير، لكي يكون هو وحده الذي بلا عيب. ولهذا فإنه يقع في إدانة الآخرين، وفي التشهير بهم. كما يقع في السب، وما إلى ذلك من انتقاص حقوق الآخرين .

* * *

٦ - وبذلك يخسر محبة الناس :

يخسر محبة الذين ينتقدهم، ومحبة أصدقائهم وأقاربهم. ويخسر محبة من لا يعجبه هذا الأسلوب في تشويه الآخرين .

* * *

٧ - هو أيضاً يحب المتكآت الأولى :

ولأنه يحب العظمة، فإنه يتنازع مع الناس على المتكآت الأولى، ويدخل في خصومات وفي مشاكل مع من يجلس في المتكآت الأولى، كما لو كان ذلك الشخص يغتصب حقاً من حقوقه، أو لا يعترف بمكانته وأولويته!

إنه يريد باستمرار أن يكون هو الأول والمتقدم والبارز والظاهر، والمختص بالاحترام والهيبة. وكل من يناقسه في هذا، لابد أن يسئ إليه، ويتكلم عنه ردياً.

* * *

٨ - ومحبة المديح تنفعه إلى الكذب والإدعاء :

إن كان الإدعاء يوصله إلى مركز مرموق بين الناس، فلا مانع عنده أن يكذب ويدعى ما ليس فيه من مواهب وصفات. وربما يخلق قصصاً وأحداثاً لإثبات ذلك.

✽ ✽ ✽

٩ - وقد يصل به الأمر إلى تبدير سانس :

يتمكن بها من أن ينزع بها الظاهرين من مراكزهم، لكي يبقى هو وحده في الصورة، بلا مناقس وبلا شريك في العظمة وفي إعجاب الناس.

✽ ✽ ✽

١٠ - ومحبة المديح تؤدي إلى أكثر من هذا :

فقد تؤدي بمحب المديح إلى اشتهاه موت الآخرين لكي يأخذ مكانهم، أو على الأكل يشتهى فشلهم وعزلهم، لكي ينال موضعهم. فإن كان وكيلاً، وله رئيس، فإنه يتطلع إلى منصب هذا الرئيس، ويشتهى وظيفته بأية وسيلة! ويطلب أن يزاح من مكانه، لكي يجلس هو على كرسيه. ويتخيل خيالات توصله إلى ذلك، كأن تقدم شكاوى ضد هذا الرئيس، ويحقق معه، وتثبت إدانته ويعزل، ويصبح الجو ممهداً أمامه هو، ويخلو له المكان.

وربما لا يسمح له ضميره أن يقول كلمة سوء عن رئيسه. ولكنه ينتظر بفارغ صبر أن تُقال تلك الكلمة من غيره، فيفرح بها ويسر، ولا يدافع عنه مع معرفته الأكيدة بأنه برئ. ولكنه لا يشهد بشهادة في صالحه!

فلننظر كم من الخطايا قد وقع فيها مثل هذا الشخص، لفساد قلبه!

✽ ✽ ✽

١١ - ومحبة المديح والكرامة، تجعل الإنسان ليس فقط لا يحتمل التأديب ولا التوبيخ.

بل لا يحتمل مجرد كلمة نصح!

فكيف ينصحه غيره؟ هل هذا الغير أفضل منه، أو يفهم أكثر منه؟! بينما هو العارف والفاهم والعالم، والناصح والموجه والمرشد!

بل قد يتطور الأمر معه، فلا يحتمل إنساناً ينصح آخر أمامه. لأن النصح والإرشاد هما له فقط! هو الذي ينصح. وهكذا يتضايق دون أن يدرك أحد لماذا تضايق! إنه يغلى من الداخل. وإذا ما سئل عن سبب ضيقه، لا يستطيع أن يقول السبب .

✽ ✽ ✽

١٢ - وبذلك يصبح مشكلة لنفسه، ومشكلة للآخرين .

وربما إذا سئل غيره في وجوده، أو احترم الناس غيره في وجوده، لدرجة شعر بها أنه كان الأحق بهذا الاحترام، أو أن الاحترام الذي قد وُجّه لغيره كان أكثر مما وُجّه إليه، يتضايق ويتعب في الداخل.. ولو من أجل سبب بسيط. كأن يدخل إنسان، ويسلم على غيره باشتياق أكثر أو باحترام أكثر! فهذا الإنسان المحب للمديح يصبح متعباً. فهو لا يحتمل الناس. كما أن الناس أيضاً في مثل هذه الحالة لا يحتملونه...

✽ ✽ ✽

١٣ - محبة المديح والكرامة تجعل الإنسان في موضع متردد غير ثابت .

لأنه لا يسير على مبدأ واحد، وليست له خطة واضحة. وإنما إن كان هذا الأمر يسبب له المديح فإنه يفعله. وإن كان عكسه يأتي بالمديح، فإنه يفعل العكس! إنه يتلون مع الناس كيفما كانت صورهم وأساليبيهم واتجاهاتهم: مع الوقور يكون وقوراً ومترناً. ومع المهزار يكون مهزراً!!

"ولكل شئ تحت السماوات وقت". والوقت عنده هو مجال المديح: مع محب الكلام يكلمه كثيراً لكي يُمدح على قدرته على الكلام. ومع الذي يحب الصمت، يصمت هو أيضاً لكي يُمدح على صمته. إن كان الدفاع عن الحق يجلب له المديح، فإنه يدافع عنه. لا حباً في الحق، وإنما حباً في المديح! وإن كان الدفاع سيغضب البعض منه، فإنه لا يقول الحق لئلا يفضيهم. وبذلك يخسر مديحهم له!!

إنه يريد المديح وكفى، بأية طريقة وبأية وسيلة. ولا مانع من التلون مع الناس، لكي يصل إلى مديحهم له!

يلبس لكل حالة لبوسها - ويتخذ أمام كل إنسان صورة وشكلاً وتصرفاً ليكسب رضاه ومديحه: أمام إنسان يحب الإلتضاع، يجلس بوقار في ألتضاع، ويعمل الأعمال التي يُمدح عليها كمتضع. ومع المتكبر يكون في صورة من العظمة التي يحبها.

✽ ✽ ✽

١٤ - هو إنسان ملون، لا يثبت على وضع، لكي ينال المديح.

يعيش في شقاء وتعاسة. يفقد سلامه الداخلي: يشنق إلى الكرامة. فإن لم تأت، يتعب ويشقى. وإن أتته يفرح ويسر. ولكنه يفرح وقتياً، ويلزمه الشقاء: إما لخوفه من ضياع تلك الكرامة، أو لإشتياقه إلى كرامة أفضل. ويعيش في تعب، لأن الكرامة الأفضل لم

١٥ - محبة المديح يقع فى الغطرسة والكبرياء :

وهذه تقوده إلى باقى الشرور . الكبرياء تدفعه إلى محبة المديح. وإن نال هذا المديح يزيد مقدار الكبرياء عنده. ويتحول إلى الغطرسة .

✽ ✽ ✽

١٦ - وأخيراً فإن محب المديح يخسر حياته الروحية خسراً كاملاً .

لأن كل الفضائل التى يجهد ذاته فى عملها، تشوه تشويهاً شاملاً إذ يدخلها حب المديح فيفسدها، أو يكون حب المديح هو هدفها، وليس حب الخير! فلا تصبح له فضيلة على الإطلاق، لأن كل فضائله قد تشوهت بسبب فساد الهدف والدافع إليها.

✽ ✽ ✽

١٧ - هذا الإنسان - مهما تعب ومهما عمل، يقف أمام الله صفر اليدين .

ولا جزاء له عند الله، لأنه أخذ أجرته على الأرض. إذ يقول له الرب فى اليوم الأخير إنك استوفيت خيراتك على الأرض مديحاً وكرامة وعظمة. ولا تستحق شيئاً عندي فى السماء (مت ٦: ٢، ٥، ١٦). إنك - لست من أجل الرب - عملت الفضائل بل من أجل كرامة تتألفها من الناس، وقد نلتها وانتهى الأمر. فضائلك كانت من أجل ذاتك لكى ترتفع هذه الذات أمام الآخرين، وقد حصلت على ما تريد. فماذا بعد؟!

وهكذا يخسر هذا الإنسان الملكوت الأبدى والعشرة مع الله وقديسه. وبسبب نزاعه مع الناس فى محبته للكرامة، يخسر الناس أيضاً، لأنهم لا يحبون المتغطرس والمتكبر، ويشمئزون من سعيه وراء المديح. فيتعرض بهذا إلى ازدرائهم واحتقارهم، كما يمتدح نفسه أمامهم.

✽ ✽ ✽

وصدق ما اسحق حينما قال :

من سعى وراء الكرامة، هربت منه. ومن هرب منها بمعرفة، سعت إليه.
 إن كان الأمر هكذا، فكيف ينجو الإنسان إذن من محبة المديح والكرامة؟

الهروب من المديح والكرامة

يمكن الهرب منهما بإخفاء الفضائل والبعد عن الرئاسة

إخفاء الفضائل :

طالما فضائلك ظاهرة أمام الناس، فأنت عرضة للمديح.. فإن أردت أن تهرب من مديحهم، عليك بقدر إمكانك أن تخفي فضائلك وأعمالك الحسنة. ليس معنى هذا أنك لا تعمل شيئاً حسناً أمام الناس. وإنما لا تعمل أمامهم بهدف أن تتال مديحهم. فإن كان العمل ضرورياً ولا يمكنك إخفاءه عن الناس، فعلى الأقل لا يكون هدفك وقصدك هو محبة المديح، بل عمل الخير ذاته.

✱ ✱ ✱

وقد تعرض القديس أوغسطينوس لهذه المسألة في تفسيره للعظة على الجبل :

يقول الرب "احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكي ينظروكم، وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السموات" (مت: ٦: ١). ويقول أيضاً "فليضئ نوركم هكذا قدام الناس، لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السموات" (مت: ٥: ١٦). فهل يوجد تناقض بين القولين؟ وكيف نوفق بينهما؟

يقول القديس أوغسطينوس في هذا الموضوع "ليس هناك تناقض. لأن العيب ليس في أن ينظر الناس أعمالكم الحسنة. إنما العيب هو أن تعملوا الأعمال الحسنة لكي ينظروكم. فينبغي عليك أن تعمل الخير سواء نظرك الناس أو لم ينظروك. لا يكن هدفك أن يراك

الناس وأنت تعمل الخير، ولا أن يمدحوك. بل إعمل العمل الصالح، لا لكي تتمجد أنت به، بل لكي يتمجد الله لكي يمجدوا أباكم الذي في السموات".
يقول البعض إنهم يعملون الصلاح لكي يكونوا قُدوة أمام الناس.

ولكن علينا أن نفهم أن للقُدوة مواضع، وأناس مفروض فيهم بحكم موضعهم أن يكونوا قُدوة. مثل رجال الإكليروس والقادة والمسؤولين والرسل والأنبياء والرعاة. فهؤلاء إن لم يكونوا قُدوة، سيعثرون الآخرين.

أما الإنسان المتواضع، فإنه لا يرى في نفسه شيئاً يُقْتدى به الناس . ويحاول أن يهرب من مواقف القُدوة بحجة أنه خاطئ وضعيف. وعلى عكس هذا يُظهر نقائصه وضعفاته. ومع ذلك قد يصبح قُدوة باتضاعه..

✱ ✱ ✱

وكلما حاربه الفكر أن يكون قُدوة، يقول لنفسه: لا أستطيع أن أكون مرانياً، أظهر بغير حقيقتي. ويصرخ أمام الله قائلاً: أنت تعرف يارب ما بداخل القبور المبيضة من عظام نتنة. إن كنت أنت برحمتك قد سترتني، وأخفيت عيوبى عن الآخرين، هل استغل أنا هذا الستر، لأمثل دور القُدوة؟! بينما أنا إنسان خاطئ بعيد عن حياة البر!!
أما الذى يريد أن يصير قُدوة، فلكى يظهر أمام الناس حسناً يجوز أن يقع فى الكبرياء والرياء. فيجب أن نرضى الله لا الناس.

✱ ✱ ✱

فلا يكن هدفنا أن نكون قُدوة، حتى لو صرنا قُدوة بتدبير من الله.

هكذا كان الآباء القديسون يتركون تدبير أمر معين فى الفضيلة إذا اشتهر عنهم ويعملون غيره، إذ كانوا يهربون جداً من المديح. ولكن ليس معنى هذا أن تترك كل تدبير حسن تسير فيه لنلا يأتيك المديح بسببه، بل أثبت فى كل تدريب صالح من أجل نموك الروحي، وليس لكى ينظرك الناس.

البعد عن الرئاسات :

★ الإنسان المتواضع لا يسعى وراء المناصب والرئاسات. بل فى حكمة يهرب منها. وقد نبغ فى ذلك كثير من آباء الرهبنة ومنهم القديس بينوفوريوس الذى عرفنا قصته من يوحنا كاسيان مؤسس الرهبنة فى فرنسا.

كان القديس بينوفوريوس رئيساً على دير يضم أكثر من مائتي راهباً فى منطقة
البرلس. وكان متضعباً جداً ومهاباً، وله مكانة عند الكثيرين.

إذ كانوا يحبونه بسبب قداسته وحياته الفاضلة، ولمواهبه العظيمة التى منحه الله
إياها، وأيضاً بسبب كهنوته، ولأنه شيخ وقور .

جلس هذا القديس ذات يوم إلى نفسه وقال: ماذا تكون نتيجة هذا الوضع الذى أنا فيه؟
كل يوم مديح وكرامة واحترام وتوقير!! إننى أخاف أن يقول لى الرب فى اليوم الأخير
"إنك قد أستوفيت خيرائك على الأرض" (لو ١٦ : ٢٥). فأين منى الطريق الضيق والكرب
الذى أوصى به الرب، وقال إنه المؤدى إلى الحياة (مت ٧ : ١٤). وأين منى قول الكتاب:
"إنه بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله" (أع ١٤ : ٢٢)؟ وهوذا أنا رجل متمتع
باحترام وتوقير وكرامة ورئاسة!

لذلك هرب القديس بينوفوريوس ذات يوم من الدير دون أن يشعر به أحد.

وتنكر فى زى علمانى، وسار جنوباً حتى وصل إلى أحد أديرة القديس باخوميوس
الكبير فى إسنا. وطرق الباب طالباً أن يقبلوه فى الدير. فنظروا إليه متعجبين من أمر هذا
الشيخ الذى أتى ليترهب! وقالوا له "هل أتيت بعد أن شبتت من العالم، وشبع العالم منك؟"
أتريد أن تأخذ مظهر القداسة فى أواخر أيامك؟ إنك لا تصلح، فأرحل عنا".

فألح القديس بينوفوريوس عليهم فرفضوا. وقالوا له "أنت رجل شيخ، ولا تحتمل الرهينة
وجهاداتها". فظل يلح عليهم وهم يرفضونه. ووقف عند الباب مدة على الرغم من
رفضهم، دون أكل أو شرب. فلما رأوا احتمالاه وصبره، أدخلوه الدير على شرط ألا يرسم
راهباً، ويكون فى زى العلمانيين يخدم فى الدير. وأسندوا إليه مساعدة الراهب الشاب
المسنول عن حديقة الدير، ليكون كصبي عنده. فلم يمانع. وكان الشاب يوجه إليه أوامر
يعمل بها، فكان مطيعاً له وخاضعاً.

وتحوّل القديس الذى كان يحترمه الناس ويطيعونه إلى تلميذ. وكانت هذه أمنيته أن
تتغير حياته، ويكون خاضعاً لغيره بدلاً من خضوع الغير له.

وكان معلمه الشاب شديداً عليه جداً. يريد أن يربى الشيخ تربية صحيحة، لأن الرهينة
ليست كسلاً! وصار القديس يطيعه طاعة كاملة، وينفذ أوامره بكل دقة، لا يجادل ولا
يناقش. وسار على هذا المبدأ مدة وسر به الشاب.

وأيضاً كان يقوم في ساعة متأخرة من الليل - والراهبان نيام - ويعمل الأعمال التي يشمئز منها الآخرون لقفاريتها. فإذا ما استيقظوا في الصباح، يجدون كل شئ قد تم دون أن يعرفوا من الفاعل، فيبتهجون ويباركون الرب من أجل ذلك. أما هو فكان مسروراً بهذا العمل. وظل على هذا الطقس ثلاث سنوات وهو يقول "أشكرك يارب من أجل عطايك ونعمك العظيمة، إذ خلصتني من الاحترام والتوقير، ونقلتني إلى حياة الطاعة والخضوع".

حدث بعد ذلك أن أتى لزيارة هذا الدير راهب من أديرة البرلس .

ورأى القديس بينوفوريوس يحمل السباخ ويضعه حول الشجر. فشك في الأمر ولم يصدق أنه هو! وأخيراً سمعه يرتل المزامير بصوته المعهود، فعرفه وسجد له، وكشف أمره للرهبان. فأخذوه بمجد عظيم وأعادوه إلى ديره.

وبعد ذلك هرب أيضاً إلى بيت لحم، وعمل خادماً في قلاية يوحنا كاسيان.

وتصادف أن ذهب راهب آخر إلى زيارة الأراضي المقدسة، فرآه وعرفه. وأعادوه مرة ثانية باحترام إلى ديره. وزاره يوحنا كاسيان عند مجيئه إلى مصر، وكتب عنه في مؤلفاته أنه مثال حي للهرب من الرئاسات...

فالذى يريد أن يخلص من مديح الناس والكرامة، عليه أن يهرب من محبة الرئاسات والمناصب.. لأنه إن نجح في تلك المناصب، تشعره بأنه قد صار موضعاً للكرامة. وإن فشل فيها، وقع في دينونة عظيمة.

✱ ✱ ✱

✱ إن أحلام الرئاسة تعب داخلي :

لأنه أحياناً يخلو الإنسان إلى نفسه. وفي أحلام اليقظة يتصور أنه في مركز هام، وأنه يعمل ويعمل.. وتدور في ذهنه مشروعات كبيرة وأمور خطيرة. ويظن أنه لو أعطى السلطان، لسوف يعمل ما لم يستطع غيره أن يعمله!

وهذه تخیلات المجد الباطل، وكبرياته موجودة في الداخل تُشعر الإنسان بأنه يستطيع الشئ الكثير. وقد يسمح الله أن تُسند إلى هذا الشخص مسئولية، فيفشل فيها لكي يعرف مدى ضعفه.

✱ ✱ ✱

ذهب أحد الشيوخ ليزور راهباً شاباً في قلايته الخاصة. وعندما همّ بقرع الباب، سمع صوتاً في الداخل، فانتظر قليلاً حتى لا يعطل الراهب الشاب. فسمعه يعظ من الداخل.

فانتظره حتى انتهى من العظة وصرف الموعوظين قائلاً "أمضوا بسلام". ثم قرع الباب، وفتح الراهب الشاب، وفوجئ بالشيخ أمامه. فحجل وفكر ما عسى أن يقول عنه الشيخ إذا كان قد سمعه يعظ بمفرده دون موعوظين! فقال "إني آسف يا أبا، لئلا تكون قد جئت من زمن وتعطلت على الباب". فابتسم الشيخ وقال له "جئت يا بنى وأنت تصرف الموعوظين". وعرف الشيخ أن هذا الراهب محارب بالمجد الباطل، إذ يتصور أنه قد صار معلماً وواعظاً...

فأحذر أن تتخيل أنك قد صرت رئيساً أو قائداً أو مشيراً. قل لنفسك إنك لم تصل إلى هذا المستوى بعد. ويكفى أن تكون أميناً للوضع الذي أنت فيه.

★ إن الرئاسات ضارة لغير الناضجين :

قال القديس أروسيوس أحد خلفاء القديس باخوميوس الكبير :

"إن الرئاسة مضرّة للأشخاص الذين لم ينضجوا بعد". وضرب مثلاً لذلك فقال: "إذا أحضرت لبنة لم تحترق بعد بالنار وألقيتها في الماء، فإنها تذب. أما إذا احترقت بالنار، فإن ألقيت في الماء، فإنها تبقى وتشتد".

كذلك الشخص الذي يصل إلى الرئاسة قبل أن ينضج، وقبلما يمحص بالنار، أي باختبارات الحياة، وقبلما تزول منه محبة المجد الباطل، فإنه معرض للهلاك. كذلك مساكين هم الناس الذين يخضعون لرئيس محب للمجد الباطل. فإنه يضيع نفسه، ويضيع الناس معه، بسبب المجد الذي يطلبه منهم.

لماذا يهرب المتواضع

من حب الرئاسة والرعاية؟

إنه يهرب من الرئاسة حرصاً على خلاص نفسه، وهروباً من العظمة والكبرياء،
حسبما وعظ القديس يوحنا الأسيوطي:

سئل هذا القديس: "هل يليق بالإنسان أن يطلب رتبة وسلطاناً، بقصد تقويم المعوجين
وإبطال الشرور؟". فأجاب:

كلا، لأنه إن كان الإنسان - وهو بعيد عن الدرجة - يريد أن يكون عظيماً، فماذا
يفعل عندما يصل إلى الرئاسة والعظمة ذاتها؟!

فإنذى وهو فى ضالة شأنه لم يعرف الإلتضاع، ماذا يفعل وهو فى العظمة؟! وإن سعى
إلى الارتفاع - وهو بعيد عن المناصب - فأى ارتفاع يكون له عندما ينال تلك المناصب؟!
إذ حينما لم يكن لديه سبب للعظمة، كان يطيش بها فى ضميره، فكم يكون بالحرى
عندما ينال سبباً للافتخار؟!

* * *

إن كنت لا تشتهى الإلتضاع، فلا تطلب درجة الرعاية. ولا تشتهِ درجة الكهنوت لكى
تعتنى بالناس. وأعلم أن الله يعتنى بشعبه أكثر منك. أشتبه أن تكون حملاً فى القطيع
يرعاك غيرك، لا أن تكون راعياً مسئولاً عن رعية يطلب الله دمها من يدك.

احترس من شهوة التسلط. واذكر أنك مهما صرت اليوم مكرماً بالعظمة، فغداً ستكون
مثل سائر الناس محبوباً في القبر.

✱ ✱ ✱

يهرب المتواضع من الرئاسة والرعاية، شاعراً بأنه أضعف من القيام بها .

قال القديس يوحنا الأسيوطي أيضاً: "إن كنت الآن لا تقدر أن تريح نفسك، فكيف تقدر
أن تريح نفوساً كثيرة؟!.. إن كنت في الوقت الذي ليس عليك فيه أثقال، لم تستطع أن
تحبى ذاتك، فكيف تقدر أن تخلص شعباً كبيراً من شر هذا العالم؟! إن كنت الآن بلا
مسئوليات كثيرة، ولم تقدر أن تخلص هذه النفس الواحدة التي هي نفسك، فكيف تقدر على
نفوس الناس؟!"

وينفس منطق القديس يوحنا الأسيوطي، أقول لكل من يشتهى الرعاية ليخلص
نفوس الآخرين: اهتم يا أخى بخلص نفسك أولاً. فإن لم تستطع، فلن تقدر على تخلص
غيرك مهما أخذت من مناصب..

نفسك التي تعرف عنها كل شيء: تعرف جميع أسرارها، وتاريخها كله، وضعفاتها،
وأسباب ما فيها من ضعفات وعيوب وأمراض روحية.. إذا لم تستطع أن تخلص هذه
النفس المعروفة جداً لديك، فكيف تقدر على خلاص نفوس الناس الذين تجلس معهم فترات
قليلة، ولا تعرف عنهم إلا القليل جداً؟!"

ونفسك التي إذا وبختها، تقبل منك التوبيخ واللوم والزر، ومع ذلك لم تقوَ على
ردعها! فكيف تقدر على نفوس إن وبختها تغضب منك؟!"

نفسك التي تتق بك، والتي هي مستعدة أن تسمع لك، لست قادراً عليها، فكيف تعمل
مع الناس الذين قد لا يسمعون منك. وإن سمعوا ربما لا يتقون بما تقول!!
فاهتم أولاً بخلص نفسك، لأن تخلص الغير ليس أمراً سهلاً..

✱ ✱ ✱

الذى يهرب من الرئاسات والمناصب، يحب المتكأ الأخير .

لأنه يشعر أن هذا هو وضعه الطبيعي، وهذا هو استحقاقه. إذ قال القديسون "اعتبر
نفسك أقل من الكل وآخر الكل، لكي تستريح. قال القديس برصنوقوريوس: "لا تحسب نفسك
فى شئ من الأمور، ولا يحسبك أحد شيئاً، وأنت تتنيج (أى تستريح)..."

فالشخص الذى لا يحب المديح والكرامة، يهرب من الرئاسة، ويهرب من المتكآت

الأولى، ويشتهي أن يكون خادماً لغيره، لا أن يخدمه غيره. يشتهي أن يتلمذ على المرشدين وينتفع بأقوالهم، لا أن يكون مرشداً لآخرين.

قال الشيخ الروحاني "في أي مكان وجدت فيه، كن صغير أخوتك وخدمهم".

✽ ✽ ✽

في مرة طلب مني أحد الآباء الكهنة الجدد - بعد رسامته - أن أقول له كلمة أو نصيحة، فقلت له "كن ابناً وسط أخوتك، وأخاً وسط أولادك". فالذي ينزل درجة يرتفع درجات.. وهذا هو الذي يستريح في أي منصب يُوضع فيه. أما إن كان يريد أن يتمتع بكل كرامة هذا المنصب، ويملاً كرسيه أو ينتفخ، فهذا إنسان مسكين أسقطته المناصب..

أما أنت فكن آخر الكل "صغير أخوتك وخدمهم" في كل مكان تحل فيه. وإن كان السيد المسيح قد غسل أرجل تلاميذه" (يو ١٣)، ولم يستح أن يدعوهم أخوة له (عب ٢: ١١)، بينما هو المعلم والسيد، فهل تكون أنت رئيساً على أحد؟!

✽ ✽ ✽

الإنسان المتواضع - إن صار رئيساً - يعتبر نفسه رئيساً فقط على العمل وليس على الناس. ويعتبر رؤوسيه زملاء له...

إنه يهرب من الرئاسة والترأس، ومن السلطة والتسلط. أما إن أمسكه الله بإرادته التي لا تقاوم، وجعله رئيساً أو راعياً، فإنه عندئذ يطلب منه قوة يعمل بها، لأنه بنفسه لا يستطيع أن يعمل شيئاً (يو ١٥: ٥). والذي يثق بقدرته الخاصة على تخليص الآخرين، لابد أن يكون مغروراً.

✽ ✽ ✽

إنه لا يرفض الرئاسة إن أتت إليه، دون سعي منه إليها. فليس الضرر في الرئاسة، إنما الضرر في محبة الرئاسة وفي الارتفاع بسببها.

ليس الضرر أن تبقى رئيساً. ولكن الضرر هو أن تتسلط على غيرك. فقد يوجد رئيس وصاحب المتكأ الأول، وفي نفس الوقت يكون إنساناً متضعاً. يعامل رؤوسيه برفق كأنه واحد منهم. فالرئيس والمرؤوس سواء عند الله. بل قد تكون للمرؤوس منزلة أكبر حسب برّه.

✽ ✽ ✽

والرئيس المتواضع هو الذي يفاهم مع رؤوسيه بروح المحبة والبساطة شاعراً أن السلطة إنما تمنح للرؤساء من أجل إدارة العمل، وليس من أجل الكرامة الشخصية. وهكذا

أيضاً درجات الكهنوت مهما علت، هي للتدبير والرعاية والخدمة، وليست للرفعة والتسامخ. وعلى ذلك فإن كل سلطة لا يجوز أن تتحرفا عن معناها الأصلي كمجرد وسيلة لتدبير العمل، لتصبح وسيلة إلى تكبير الذات وإظهارها..!

يحكى عن القديس الأنبا باخوميوس أب الشركة: إنه كان يسير مرة مع مجموعة من الرهبان، وكل واحد يحمل حاجياته. فتقدم أحد الرهبان لكي يحمل حاجيات القديس باخوميوس، فرفض ذلك وقال له: إذا كان المسيح له المجد دعا نفسه أخاً لتلاميذه، فهل استخدمكم أنا في حمل حاجياتي؟! لا يصير هذا الأمر أبداً. من أجل هذا فإن بعض الأديرة كانت في انحلال، لأن صغارهم مستعدون لكبارهم!"

✱ ✱ ✱

والقديس بولس الرسول يقول عن نفسه "إن حاجاتي وحاجات الذين معي، خدمتها هاتان اليدان" (أع ٢٠: ٣٤).

إن الرئيس المتواضع هو الذي يحترم الكل، ويعامل الكل بلياقة. حقاً ما أعظم محبة وتواضع الذين يعاملون من هم أقل منهم باحترام وتوقير..

إنك بسهولة تحترم الشخص الأكبر منك. فهذا واجب وضرورة، وأنت مرغم على ذلك ومضطر أن تحترمه. لكن من يحترم من هو أقل منه، يكون متضعاً.

الذي يحترم من هم أصغر منه في المنصب، أو العلم، أو السن، أو في المقام، ويحفظ حقوقهم ويشعرهم بشخصياتهم، فهو إنسان متواضع يستحق محبة وتقدير الكل. وأعلم أن كرامتك ليست في أن يخضع الناس لك بحكم القانون. إنما الاحترام الحقيقي، هو تقدير وتوقير ينبع من القلب، لمن هو مستحق لذلك. ولا يكون من الظاهر فقط.

✱ ✱ ✱

★ الرئيس المتواضع يكون رئيساً على ذاته أولاً .

فهو يضبط نفسه أولاً، ويحسن تدبيرها، قبل أن يتولى تدبير الغير. قال الشيخ الروحاني، وهو ينصح الرهبان الصغار ألا يشتهوا رئاسة مجمع الرهبان: "إن حوربت بهذا الفكر، فقل لنفسك: إن مجمعي هو مجمع أفكارى التى أقامنى الله عليها رئيساً، لكى أدبر أهل بيتى حسناً".

فكن إذن رئيساً على أفكارك ومشاعرك، واضبطها حسناً. فلا تطيش شرقاً أو غرباً. كن رئيساً على حواسك، على نظرك وسمعك. كن رئيساً على شهوات قلبك واضبطها..

وإن تمكنت من أن تكون رئيساً على نفسك وتضبطها، فأنت الشخص الذى قد تصلح أن تكون رئيساً.



وإذا كنت لم تعرف أن تحكم نفسك، ولا لسانك ولا فكرك، ولا قلبك من الداخل، فكيف تصلح أن تكون رئيساً على غيرك؟! إن لم تكن أميناً على القليل، لا يمكن أن تكون أميناً على الكثير (مت ٢٥: ٢١).

* * *

*يمكنك أيضاً أن تهرب من محبة الرئاسة والكرامة، إن كنت تزهد فى الأمجاد الخارجية.

لأن كل ما يتعلق بالوظائف والمناصب هو عَرَض خارجى لا يتعلق بذاتك فى الداخل. فالكرامة التى يقدمونها الناس لك، هى فى الواقع كرامة يقدمونها للمنصب الذى أنت فيه، وللوظيفة التى تشغلها، وليس لك شخصياً. بحيث إن ابتعدت عنك الوظيفة، ابتعدت عنك كرامتها. ولكن المزمور يقول "كل مجد ابنة الملك من داخل" (مز ٤٥) على الرغم من أنها "مشملة بأطراف موشاة بالذهب، ومزينة بأنواع كثيرة".

مجدك إذن فى شخصيتك، لا فى وظيفتك أو رئاستك.

مجدك فى جوهرك: فى روحياتك، فى طبيعتك، فى عقلك، فى حكمتك، فى كل ما يوجد داخل قلبك من الفضائل والصفات الطيبة.

إن عرفت هذا تزهد فى المناصب والوظائف. وتقول مع السيد الرب: "مجداً من الناس، لست أقبل" (يو ٥: ٤١)، مريداً المجد الذى يكللك به الله، وليس المجد الذى يمنحك الناس إياه. نعم، مجدك هو فى حكم الله عليك، وليس فى حكم الناس.

كيف تهرب

من محبة المديح والكرامة

إن هروبك من محبة المديح والكرامة ومن محبة الرئاسة يستدعي الآتي :

١ - ينبغي أن تعرف أن المجد الذي تأخذه من الناس هو مجد زائف .

وربما يكون عن جهل. لأن الذين يمدحونك لا يعرفون حقيقتك. لأنهم يحكمون حسب الظاهر. لا يقرأون أفكارك، ولا يعرفون مشاعرك وإحساساتك الداخلية، ولا خطاياك الخفية وسقطاتك.

وبعض الناس قد يمدح على سبيل المجاملة، أو بسبب التشجيع، والبعض يمدح بسبب أدبه الخاص، أو بسبب التملق، أو لغرض معين في نفسه. ومدح الناس قد يضر الكثيرين ويضللهم، ويبعدهم عن معرفة النفس، وعن تقويمها.

والمسكين الذي يحب المديح بهمه أن يُمدح كيفما كان الأمر، وينذره أن يصدق كل ما يقال فيه خير، سواء عن حق أو عن باطل!

❖ ❖ ❖

٢ - أما أنت فاعرف أن مديح الناس لا يوصلك إلى ملكوت الله .

لأن الله هو فاحص القلوب والكلى (رؤ ٢: ٢٣)، وهو العارف الخبايا والأسرار. وفي حكمه عليك، لا يعتمد على كلام الناس عنك.

لذلك ينبغي لك أن تصادق من يوجهك ويوبخك. أما إذا مدحك الناس، فتذكر خطاياك

ونفانصك، واعترافاتك التي تخجلك، والأخطاء البشعة التي وقعت فيها في حياتك. وبذلك يخف عليك ألم المديح.

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QURANIC THOUGHT

❖ ❖ ❖

٣ - قل لنفسك : أنا مازلت سائراً في الطريق، ولا أعرف كيف سأنتهي؟

والكتاب يقول "أنظروا إلى نهاية سيرتهم" (عب ١٣: ٧). فكثيرون بدأوا بالروح، وكملوا بالجسد" (غل ٣: ٣). والكتاب يقول أيضاً "من يظن أنه قائم، فلينظر أن لا يسقط" (١كو ١٠: ١٢). وما أكثر حروب الشيطان، وما أشد حيله وخداع مكره، فاحفظني يارب، لأن "الخطية طرحت كثيرين جرحى، وكل قتلها أقوىاء" (أم ٧: ٢٦)، وأنا لا أحسب نفسي أقوى من الذين سقطوا...

❖ ❖ ❖

٤ - للهروب من المديح، سواء مديح الناس، أو مديح نفسك لك، انظر إلى المستويات التي هي أعلى منك بكثير. فتصغر نفسك في عينيك.

إنك إن نظرت إلى الخطاة والضعفاء في مستواهم الروحي، أو إلى من هم أقل منك فضيلة وبراً، ربما بالمقارنة تجد أنك "بار في عيني نفسك" (أى ٣٢: ١). وإن نظرت إلى من هم أقل منك فهماً وعلماً ربما بالمقارنة تصبح "حكيماً في عيني نفسك" (أم ٣: ٧).

إن أولاد الله صاروا متواضعين، لأنهم كانوا باستمرار ينظرون إلى الكمال المطلوب منهم، حسب قول الرب "كونوا أنتم كاملين، كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل" (مت ٥: ٤٨)، وأيضاً إلى قول الرب "كونوا قديسين، لأنى أنا قدوس" (ابط ١: ١٦).

وبنظرتهم إلى القداسة والكمال، كانوا يرون أنهم "فى الموازين إلى فوق" (مز ٦٢: ٩). فيقول كل منهم لنفسه "وَزُنْتُ بالموازين فَوُجِدْتُ ناقصاً" (سلا ٥: ٢٧).

كانوا يصلون إلى درجات عظيمة فى الصوم والصلاة والنسك وإنكار الذات وفى كل فضيلة يجاهدون للوصول إليها، كانوا فى نظر أنفسهم ضعفاء ومساكين، لأن المستوى العالى الذى كانوا يتطلعون إليه، مازال بعيداً عنهم. وهناك درجات لم يصلوا إليها! إذا مدحتك نفسك على فضيلة معينة قد وصلت إليها، فتذكر ما قد وصل إليه الآباء فى هذه الفضيلة بالذات، حينئذ تدرك أنك لا شئ..

❖ ❖ ❖

إذا مدحتك نفسك مثلاً لمواظبتك على صلاة الأجيبة، تذكر أنك تصلى بعض المزامير.

وهناك آباء كانوا يصلون كل المزامير. ومنهم من كان يقضى الليل كله فى الصلاة. ومن كان يمارس الصلاة الدائمة. ومن كان يصلب فكره فى الصلاة حتى ما يخطر عليه فكر آخر كالترتيب الذى تدرب عليه القديس مكاريوس الاسكندراني. وتذكر أيضاً الصلاة بخشوع، والصلاة بدموع، والصلاة بحرارة وحب وإيمان.. حينئذ تجد أنك مجرد مبتدئ فى عمل الصلاة. وربما لم تصل بعد إلى درجة مبتدئ؟
وبالمثل قارن نفسك بالدرجات العليا لباقي الفضائل ..

✱ ✱ ✱

فهل يحاربك المجد الباطل، لأنك مدقق فى دفع العشور؟ فهل أنت أيضاً تدفع البكور؟ وإن كنت كذلك، فاعرف أن المسيحية ارتفعت فوق هذا المبدأ فى العطاء، إذ قال الرب "من سألك فاعطه" (مت ٥: ٤٢). وقال أيضاً "إن أردت أن تكون كاملاً، فاذهب وبع كل مالك، وأعط الفقراء، فيكون لك كنز فى السماء، وتعال اتبعنى" (مت ١٩: ٢١). وإن وصلت إلى هذا، فأمامك قصة لأحد القديسين كان متتاهياً فى عمل الرحمة: فباع كل ما يملك وأعطى الفقراء. وإن لم يبق له شئ ليعطيه، باع نفسه عبداً، وأعطى ثمن نفسه للفقراء! أقول لك هذا، لا لتفعل مثله، فهذا غير ممكن الآن. وإنما لكى تتضع ...

✱ ✱ ✱

٥ - لكى تهرب من الكرامة، اعرف المعنى الحقيقى للمتكأ الأخير .

فليس المتكأ الأخير. أن تجلس فى المكان الأخير. فهناك من يتصرف هكذا لكى يقال عنه إنه متضع. وقد يتخذ المتكأ الأخير من الظاهر، بينما محبة المجد الباطل تقتله من الداخل. فالمتكأ الأخير حقاً، هو أن تشعر فى أعماقك أنك حقاً فى المتكأ الأخير، من جهة المكانة، وليس من جهة المكان. قال أحد الرهبان للقديس تيموثاوس "يا أبى، إنى أرى فكراً مع الله دائماً" فأجابه القديس "الأفضل لك يا ابنى: أن ترى نفسك تحت كل الخليفة".

✱ ✱ ✱

قيل عن إثنين من الرهبان الشبان إنهما دخلا إلى مائدة الدير. وكانت ذلك الحين مقسمة إلى موائد للشيوخ وأخرى للشبان. فدعا الشيوخ واحداً منهما أن يجلس معهم فجلس. وأما الآخر فذهب إلى مائدة الشبان. وعند الإنصراف قال هذا الأخير لزميله "كيف تجرأت - وأنت شاب - أن تجلس مع الشيوخ؟" فأجابه "إنى لو جلست على مائدة الشبان، ربما كانوا يقدموننى على أنفسهم فى كل شئ، لأننى أقدم منهم. ولكننى عندما جلست على

مائدة الشيوخ، كنت أشعر بضآلتى وعدم استحقاقى، وبأنى لا استحق الكلام. وجلست فى استحياء مطرفاً كل الوقت. وكنت فى المتكأ الأخير.

✽ ✽ ✽

إذن فحتى لو أجلسك الناس فى المتكأ الأول، قل لنفسك: إن كل هؤلاء الناس أفضل منى. إن وقتت مثلاً تدرس الأطفال فى مدارس الأحد، اعتبر أنهم ملائكة أفضل منك. واطلب من الله أن تكون فى بساطتهم ونقاوتهم وكرامتهم عند الله...

كان أحد مدرسى مدارس الأحد إذا وقع فى مشكلة، يطلب من أطفال فصله أن يصلوا من أجله فى ضيقته. وكان يقول: إننى جرّبت صلواتهم فى مشاكل حياتى. وكنت أشعر إنها قوية ولها مفعول كبير، أكثر من صلواتى الخاصة.

✽ ✽ ✽

٦ - وإن أردت الهروب من محبة المديح، إهرب من محبة الرؤى والمعجزات.

لئلا يعرف الشياطين عنك هذا، فيضلوك بروى كاذبة من عندهم. ويقول الرسول "إن الشيطان نفسه يغير شكله إلى شبه ملاك نور" (٢كو ١١: ١٤). ظهر الشيطان مرة لأحد القديسين وقال له "أنا جبرائيل الملاك وقد أرسلنى الله إليك". فردّ عليه القديس "لعلك أرسلت إلى غيرى وأخطأت الطريق. أما أنا، فبأنى إنسان خاطئ لا أستحق أن يظهر لى ملاك". قال ماراسحق "إن الذى يرى خطاياهم، أفضل ممن يرى ملائكة".

✽ ✽ ✽

حقاً إن الرؤى لا تخلص نفسك فى اليوم الأخير، فلا تطلبها. إنما معرفتك بخطاياك، فهى التى تقودك إلى التوبة وخلص نفسك.

يدخل فى هذا المجال أيضاً من يسعون إلى التكلم بالسنة، لا لتبشير الغرباء عن لغتهم، إنما بسبب الإدعاء إنهم قد وصلوا إلى الملء!! والبعض منهم يقول لغيره: تعال لى أمنحك الروح والملء، فتنكلم بالسنة!!..

✽ ✽ ✽

٧ - إن أردت أن تهرب من المديح، ينبغى أن تخفى أعمالك القاضلة عن الناس.

لأنك إن كنت تعمل الخير من أجل الله، وليس من أجل كرامة من الناس، فماذا يهملك إن كان الناس يرون هذا الخير منك أو لا يرونه. بل إن إظهار فضائلك لهم، قد يفقدك أجرك عند الله، إذ تكون قد أستوفيت خيرائك على الأرض (مت ٦).

فى إحدى المرات، تقابل بعض رهبان شيهيت مع الأم ساره، وكشفوا لها أفكارهم.

فقال لهم: بالحقيقة إنكم إسقيطيون. الذى لكم من الفضائل تخفونه. وما ليس فيكم من النقائص، تنسبونه إلى أنفسكم...

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QURĀNIC THOUGHT



وفى مرة أخرى، كان يعيش فى بركة شيهيت راهب سورى الأصل. هذا جاء إلى القديس مكاريوس الكبير وقال له "لى سؤال يا أبى: عندما كنت فى سورية، كنت أستطيع أن أصوم كثيراً، وأطوى الأيام صوماً. أما الآن فى مصر فلا أستطيع أن أكمل اليوم صوماً. فلماذا؟". وحيث أن الأديرة فى سورية كانت فى المدن فى وسط الناس، لذلك ردّ عليه القديس مكاريوس قائلاً "لقد كنت تطوى الأيام صوماً، لأنك كنت تتغذى على المجد الباطل، الذى هو مديح الناس لك أثناء الصوم والإنقطاع عن الطعام. أما فى البرية فلا يراك أحد، ولذلك تجوع بسرعة!"



لذلك قال القديسون: إن الفضائل إذا عُرُفت، تبيد وتنتهى. وبسبب هذا، كانوا يخفون فضائلهم ومعرفتهم وحكمتهم .

أما إن أراد الله أن يظهر فضائلك وحكمتك، فلنكن مشيئته. ولكن لا يكن ذلك منك أنت. فحاذر أن تفتخر بنفسك، أو أن تجلب لنفسك صيباً حسناً .

الباب السادس:

علاقة الإرضاع بِالفضائل والمزايا

- النعمة .
- التوبة والاعتراف .
- الشفقة عَلَى المخطئين .
- الإيمان والبساطة .
- التعليم .
- الصلاة .
- احترام الآخرين .
- الانتهاز والتوبيخ والمعاقبة .

هناك ثلاث فضائل لابد أن تدخل في كل فضيلة، كما يدخل الخيط في حبات السبحة، وبدونها لا تعتبر الفضيلة فضيلة. هذه الثلاث هي الحكمة، والمحبة، والتواضع. فكل فضيلة لابد أن تُمارس بحكمة. وبدون حكمة قد تتحول إلى اسم آخر غير الفضيلة، أو تتشوه صورتها. وكل فضيلة لابد أن يدخل فيها عنصر المحبة: محبة الله، ومحبة الخير، وأحياناً محبة الناس. وبدون المحبة تفقد الفضيلة قيمتها.

كذلك لابد أن تمارس كل فضيلة في تواضع قلب، وإلا صارت طعاماً للمجد الباطل كما قال القديسون. ونود في موضوعنا هذا، أن نتعرض لعلاقة التواضع ببعض الفضائل كمثال، وأيضاً لعلاقته بالموهب. ولنبدأ بعلاقة التواضع بالنعمة.

النعمة :

يقول الكتاب "يقاوم الله المستكبرين. أما المتواضعون فيعطيههم نعمة" (يع: ٤ : ٦). النعمة تمنح الموهب. ولكن المتكبر يفتخر بالموهب، ويرتفع قلبه بها. لذلك يأتمن الرب المتواضعين على نعمته وعلى مواهبه، لأنهم يقولون باستمرار "ليس لنا يارب ليس لنا. لكن لاسمك القدوس أعظم مجداً" (مز ١١٥ : ١). وهناك كلمة جميلة قالها ماراسحق وهي :

"إذا منحك الله موهبة، فاطلب منه أن يعطيك تواضعاً ليحميها".

ذلك لأن التواضع يحمي الموهب من الافتخار والمجد الباطل..

لهذا نحن نعجب من الذين يطلبون من الله أن يمنحهم موهبة التكلم بالأسنة، بينما لا يوجد غرباء لهم لغة مجهولة تحتاج إلى موهبة أسنة لتبشيرهم. وهكذا يستخدمون الأسنة للمجد الباطل، والإدعاء بأنهم وصلوا إلى "ملاء الروح"!!

ما أخطر المواهب على الذين لم يصلوا إلى الاتضاع بعد. إنهم يفرحون بتلك المواهب بسبب (الذات) وارتفاعها! وهنا نتذكر إن السبعين الذين أرسلهم الرب للتبشير، ومنحهم موهبة إخراج الشياطين "رجعوا بفرح قائلين: يارب، حتى الشياطين تخضع لنا باسمك". فوبخهم الرب قائلاً "لا تفرحوا بهذا أن الأرواح تخضع لكم. بل افرحوا بالحرى أن اسماءكم قد كتبت في السموات" (لو ١٠: ١٧، ٢٠).

✱ ✱ ✱

ونفس الوضع حينما تساعد النعمة إنساناً على اكتساب فضيلة:

إن كان متواضعاً، ينسب الفضل لله وليس لنفسه. ويقول كما قال القديس بولس الرسول "ولكن بنعمة الله أنا ما أنا" (١كو ١٥: ١٠). ويخشى أن يفتخر أو يتكبر، فتسحب النعمة عملها منه فيسقط. بل هو بالأكثر ينكر ذاته، ويحاول أن يخفى فضائله: لا على الناس فقط، بل حتى على نفسه. ولا يتأمل ما هو فيه من فضيلة. بل يحاول أن ينساها. ويتحول شعوره إلى الشكر، لا إلى الفخر...

أما الفضيلة عند المتكبر، فهي عرضة للضياع. ولا تكون فضيلة حقيقية. بل لا يتبر بها، كما حدث في قصة الفريسي والعشار (لو ١٨: ٩-١٤).

ذلك الفريسي وقف في الهيكل مفتخراً بفضائله، حتى أمام الله! فقال "أشكرك يارب أنى لست مثل باقى الناس الخاطفين الظالمين الزناة، ولا مثل هذا العشار. أنا أصوم مرتين في الأسبوع، وأعشر كل ما أقتنيه" (لو ١٠: ١١، ١٢). هذا الفريسي لم يذكر عمل النعمة معه. ولم ينفعه صومه ولا عشوره، ولا بعده عن بعض الخطايا. لذلك لم يخرج من الهيكل مبرراً (لو ١٠: ١٤).

ننتقل إلى نقطة أخرى. وهى علاقة التواضع بالتوبة:

التوبة:

المتواضع هو الذى يصل إلى التوبة. أما المتكبر فلا يقدر. المتكبر لا يشعر أن له عيوباً تحتاج إلى إصلاح. أو أنه واقع فى خطايا تحتاج إلى توبة. ذلك لأنه "بار فى عينى نفسه". والذى يكشف له ضعفاته وأخطائه وينصحه بالتوبة، لا يقبل ذلك منه، بل يعتبره عدواً... فكيف يتوب هذا المتكبر، وهو لا يعرف عن نفسه

أيضاً للمتكبر يظن أنه أكبر من أن يخطئ، فلا يحترس . فيسقط .

ويسبب أذعائه القوة، قد يعرض نفسه إلى مواقع الزلل، في غير مبالاة ولا حرص، فيضربه الشيطان في مقتل. وهكذا قال الكتاب عن الخطية إنها "طرحت كثيرين جرحى، وكل قتلها أقرىاء" (أم: ٧: ٢٦). والمقصود بكلمة (أقرىاء) هنا: من يظنون في أنفسهم أنهم أقرىاء... وقد نكر ماراسحق أن العجرفة تسبب السقوط فقال إن "المتعجرف بالفضلة يسقط في الخطية، والمتعجرف بالعلم والمعرفة يسقط في البدعة والهرطقة"..

والكتاب يقول "قبل الكسر الكبرياء. وقبل السقوط تشامخ الروح" (أم: ١٦: ١٨).

✽ ✽ ✽

نقطة أخرى وهي أنه : حتى لو اعترف المتكبر بأنه خاطئ، وسعى إلى التوبة، فإنه يعتمد على قوته وإرادته وتدابيره الروحية.

يظن أنه قادر على ضبطه لنفسه. ثم يكتشف عملياً أن نفسه ليست بالقدره التي تستطيع أن تقاوم كل حين العدو، وأنها لا تقدر أن تطفئ جميع سهام الشرير الملتهبة" (أف: ١٦). وعلى الرغم من ذلك يتشبث بإدعاء القدرة والصمود!

✽ ✽ ✽

أما المتواضع فيعترف بأنه خاطئ وأنه ضعيف، وأنه محتاج إلى قوة من فوق تساعد على التوبة. ويردد تلك العبارة العميقة:
"توبنى يارب فأتوب" (أر: ٣١: ١٨).

المتواضع لا يعتمد على نفسه في التوبة. بل من أعماقه يردد قول المزمور: "إنضح على بزوفاك فأطهر. أغسلنى فأبيض أكثر من الثلج" "قلباً نقياً إخلق فىّ يا الله، وروحاً مستقيماً جده فى أحشائى" (مز: ٥١: ٧، ١٠).

ويقول كما فى صلاة الساعة الثالثة "تقى من دنس الجسد والروح".

وحينما ينعم الله عليه بالتوبة، لا ينسب ذلك إلى جهاده الروحى، بل إلى نعمة الله التى أنقذته من الخطية. فيشكر ولا يفخر.

✽ ✽ ✽

والمتواضع - إذ يشعر بضعفه - يحترس من أبسط الحروب الروحية.

يحترس من أقل عثرة، ومن الحروب التي تحارب المبتدئين. ويردد ما قاله القديس الأنبا أنطونيوس - في اتضاعه - للشيطان "أنا أضعف من أن أقاتل أصغركم!"
وإذ يتوب المتواضع، لا ينسى خطاياها السابقة وضعفاته. بل ينسحق قلبه بسببها، وتمتلئ عيناه بالدموع. كما حدث مع داود في توبته (مز ٦).

✳ ✳ ✳

إن هناك علاقة متبادلة بين التوبة واتضاع القلب .

التواضع يقود إلى التوبة. والتوبة تقود إلى الإلتضاع .

إنها تقود التائب إلى القلب المتخشع والمتواضع الذي لا يرذله الله (مز ٥٠).

ولنأخذ داود كمثال في توبته واتضاعه وانسحاقه ودموعه، حيث يقول للرب في مزاميره "لصقت بالتراب نفسي، فأحيين ككلمتك" (مز ١١٩: ٢٥) "ضللت مثل الخروف الضال، فاطلب عبدك" (مز ١١٩: ١٧٦) "خير لى أنك أذللتنى، حتى أتعلم حقوقك" (مز ١١٩: ٧١). ويقول أيضاً "تعبت فى تنهدى. أعوم كل ليلة سريرى، ودموعى أبلت فراشى" "ارحمنى يارب فإنى ضعيف" (مز ٦).

نقطة أخرى تتعلق بالإلتضاع . وهى الإعتراف وكشف الأفكار .

الإعتراف :

تواضع الإنسان يساعده على الاعتراف بخطاياها، وكشف أفكاره وحروبه.

أما المنكبر فلا يكشف حروبه وضعفاته. ولذلك تبقى بدون علاج.

المتواضع فى اعترافه يذل نفسه. ويرى أن هذا نافع له حتى لا يرجع إلى الخطأ مرة أخرى. أو يهرب من ذلك بحجة أنه لا يريد أن يكون عثرة. أو يمنعه الخجل.

الشيطان يبعد الخجل عن الإنسان أثناء ارتكاب الخطية. ويضع أمامه الخجل فى وقت الاعتراف. أما المتواضع فينتصر على خجله باتضاعه .

ومعرفة المتواضع بضعفاته وسقطاته تقوده إلى نقطة أخرى وهى :

الشفقة على المخطئين

إنه يشفق على الخطاة ويقابلهم بحنو، لأنه عارف بضعف البشرية وقوة حروب الشيطان. ويضع أمامه قول القديس بولس الرسول:

"أذكروا المقيد، كأنتم مقيدون معهم. واذكروا المذلين كأنتم أيضاً في الجسد" (عب: ١٣: ٣).

ويذكر قول الرسول أيضاً "ناظراً إلى نفسك لئلا تجرب أنت أيضاً" (غل: ٦: ١). المتواضع إن رأى خاطئاً، يقول في نفسه "كلنا تحت الضعف". ويذكر أنه قد قيل عن إيليا النبي "إيليا كان إنساناً تحت الآلام مثلنا" (يع: ٥: ١٧)، مع أنه بصلاته أغلق السماء فلم تمطر، ثم صلى فأمرت.

✱ ✱ ✱

المتواضع يستر على الخطاة، لشعوره أنه محتاج إلى الستر مثلهم.

إنه يرحمهم في سقوطهم، حسب قول الأباء "من يرحم، باب الرحمة مفتوح أمامه" وكما يقول الرب "طوبى للرحماء، فإنهم يُرحمون" (مت: ٥: ٧). ويقول في قلبه "أرحم غيري لكي يرحمني الله. وأنا مثلهم خاطئ محتاج إلى الرحمة. وما يزرعه الإنسان، إياه يحصد. والرب يقول "بالكيل الذي به تكيلون، يكال لكم" (مت: ٧: ٢).

✱ ✱ ✱

المتواضع في رحمته على الخطاة والضعفاء، لا يفرز المستحق من غير مستحق..

إذ يقول: لو كانت الرحمة للمستحقين فقط، فأنا غير مستحق.

والرب إلهنا الحنون، قد قيل عنه إنه "يشرق شمس على الأشرار والصالحين. ويمطر على الأبرار والظالمين" (مت: ٥: ٤٥). لذلك فالمتواضع لا يتشامخ على أحد، ولا يحتد ولا يدين. بل يعامل الكل بشفقة وحنان وحب. حتى الذين يؤذونه، يرحمهم أيضاً. ينظر إلى احتياجاتهم، وليس إلى انتقام نفسه لنفسه.

أما المتكبر فهو غير ذلك. قد ينظر إلى الخطاة في اشمزاز وتعال كما تنظر قمة الجبل إلى المستقع في أسفل الوادي. وكأن هذا المتكبر لم يخطئ ولن يخطئ!! لذلك فهو يدين الخطاة ويزدرى بهم. وقد يشهر بهم أيضاً.

الإيمان والبساطة :

★ المتواضع له بساطة القلب التي تقبل من الله كل شيء، دون مجادلة ودون شك. مثل بساطة الأطفال الذين ينتقون قواعد الإيمان، فيقبلونها دون مجادلة. ولهذا قال الرب "إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأطفال، فلن تدخلوا ملكوت السموات" (مت ١٨ : ٣).

على أن كثيراً من الناس كلما تنمو عقولهم، تقف عقولهم ضد بساطة الإيمان، ولا يقبلون إلا ما تستطيع عقولهم أن تستوعبه عن الله وعن حكمته ووصاياه! بينما عقولهم محدودة، والله غير محدود. ولا يستطيع المحدود أن يستوعب غير المحدود.

✽ ✽ ✽

★ وهكذا فإن بعض الفلاسفة اتحدروا إلى الإلحاد، إذ أنهم في كبرياء المعرفة اعتزوا بعقولهم، ورفضوا الله الذي لا يروونه ولا يلمسونه.

يُروى عن أحد الفلاسفة أنه مرّ في طريقه على أحد الحقول، ورأى فيه فلاحاً راکعاً يصلى. فوقف يتأمله في تعجب. وقال في نفسه "أنا مستعد أن أتنازل عن نصف فلسفتي، إذ مُنحت بساطة هذا الفلاح الذي بكل ثقة يتكلم في صلاته مع كائن لا يراه!!"

ونرى في هذه القصة مثلاً عن تواضع البساطة التي تقود إلى الإيمان، إلى جوار "المعرفة التي تنفخ" (١كو ٨ : ١)، وتقود إلى الكبرياء الذي ينكر وجود الله! عجيب هذا الأمر جداً: أن العقل وهو هبة من الله للإنسان، يستخدمه الإنسان لينكر الله الذي وهبه إياه. وإذ بالفيلسوف الذي قد يكون أكبر الناس عقلاً، يتحول في كبرياء العقل إلى الجهل بالله. وصدق المرثم حينما قال في المزمور "قال الجاهل في قلبه ليس إله" (مز ١٤ : ١).

✽ ✽ ✽

★ في كبرياء العقل أيضاً ينكر المعجزة .

ينكرها لأنه لم يفهمها، فيدعي أن المعجزة ضد العقل!

والواقع أن المعجزة ليست ضد العقل، إنما هي مستوى أعلى من العقل. يقبلها إيمان المتواضع، ويرفضها العقل المتكبر. ولهذا فإن المتواضعين يطلبون من الله المعجزة وقد يهجم إياها إن كانت توافق مشيئته. بينما المتكبر لا يطلب المعجزة. وإن حدثت أمامه، يحاول أن يرجعها إلى أسباب طبيعية، أو يقابلها بتعجب دون أن يرجعها إلى الله..

✽ ✽ ✽

★ ومن المعجزات التي ينكرها العقل المتكبر : الخلق والقيامة .

بينما كل المؤمنين بالله في العالم أجمع يؤمنون بالخلق من العدم، ويؤمنون بالقيامة من الموت. ويصدقون - في اتضاع وبساطة - ما قالته كتب الوحي الإلهي عنهما. في إنكار الخلق، قال الغنوسيون إن المادة أزلية، بينما لا يوجد أزلي إلا الله وحده...

وماذا أيضاً عن الحياة؟ لا يمكن أن تكون الحياة الأرضية أزلية. لأنه مرّ وقت كانت فيه الأرض قطعة ملتهبة، حينما انفصلت عن المجموعة الشمسية. وكانت حرارتها لا تسمح بوجود حياة لبشر أو حيوان أو إنسان. فمن أين إذن أتت الحياة؟ لاشك من الله. وهنا يتفق العقل مع الإيمان. ولكن المتكبرين يرفضون قبول الله، لأن عقولهم ترفض أن تتنازل عن كبريائها، وتريد أن تستوعب فكرة وجود الله..!

وغالبية الفلاسفة ترفض عقولهم فكرة القيامة بسبب الكبرياء التي ترفض كل ما لا تفهمه! ألسنا بالنسبة إلى كثير من المخترعات الحديثة: نقبلها دون أن نفهمها؟! ولا يفهمها إلا المتخصصون في العلم الخاص بها..!

✽ ✽ ✽

الرؤى أيضاً والظهورات الروحية، يراها المتواضعون ببساطة قلوبهم ...

يقبلونها ، ويفرحون بها، بل وينتظرونها ويتهللون برويتها. بينما المتكبرون قد لا يرون لأن قلوبهم غير مستعدة، أو لأن الكبرياء تعوق الإيمان. أو لأنهم حتى إن رأوا نوراً إلهياً، يحاولون أن يرفضوا مصدره الإلهي، زاعمين تخمينات لا يسندها العقل ولا الواقع، مثل الليزر والأطباق الطائرة!! وتسألهم عن مصدر ذلك الليزر وتلك الأطباق الطائرة، وعلاقتها بتلك الرؤى، فلا يجيبون.. مجرد الرفض هو الأساس في تفكيرهم، ويخونهم العقل، وينقصهم الإيمان، بسبب الكبرياء ...

✽ ✽ ✽

✽ نفس الوضع بالنسبة إلى الكتب المقدسة: يقبلها المتواضعون بإيمان وفرح. بينما

الكبرياء تقود البعض إلى النقد الكتابي **Biblical Criticism**.

يجعلون عقولهم مشرفة على الكتاب المقدس. تحلله وتتفده، وتقبل فقط ما تقبله عقولهم، وترفض الباقي. وأيضاً تضع الكتاب المقدس خاضعاً لأهواء الناس، يرفضون منه ما لا يوافق أهواءهم. مثل المؤيدين للشواذ جنسياً أو الخائفين منهم، أو المشجعين للشذوذ الجنسي Homosexuality، هؤلاء يرفضون آيات الكتاب التي تدين هذا الشذوذ.

ليس لهم التواضع الذي يقبل كلام الله ويطيعه. بل في كبرياء لا يقبلون ما لا

يستطيعون طاعته بسبب شهوات قلوبهم! وهناك ما ترفضه عقولهم، لا لأنه ضد العقل. وإنما لأن عقولهم ليست حرة، بل هي مقيدة بقيود أهوائهم وشهواتهم.

✱ ✱ ✱

✱ والمتكبرون لهم أيضاً أسلوبهم في ترجمة الكتاب المقدس وفي تفسيره .

فالبعض قد يترجم الكتاب ترجمة توافق معتقداته، فيحرف فيه ويغير . مثلما فعل شهود يهوه في ترجمتهم التي أسموها (ترجمة العالم الجديد للكتاب):

. New World Translation of The Scripture

ففيها آيات كثيرة محرفة في مدلولها وألفاظها لتثبت ما ينادون به من بدع وهرطقات. يستخدمون هذه الترجمة في كتبهم ويضلون بها الناس.

والمتكبرون أيضاً يفسرون حسب هواهم وفهمهم ونوع عقلياتهم، ولو أدى الأمر أن ينشئوا مذهباً جديداً. ولهذا السبب كثرت المذاهب في بلاد الغرب، وتعددت طوائفهم.

أما المتواضعون فليسوا كذلك. إنهم يقبلون الكتاب كما هو، ولا يخلطونه بنوعية عقولهم في الترجمة أو التفسير. ويعتمدون في معناه ومفهومه على ما وصل إليهم من التقليد Tradition ومن أقوال الآباء وتفسيراتهم . كل هذا يقودنا إلى نقطة أخرى هي علاقة التواضع بالتعليم .

التعليم :

✱ ونود أن نطرق هذه النقطة من ناحيتين هما :

تعليم الإنسان لغيره، وقبول الإنسان للتعليم من غيره .

فالمتكبر يحب أن يأخذ صفة المعلم، ويرى في نفسه الكفاءة أن يعلم غيره. أما المتواضع فإنه يفضل باستمرار أن يتعلم، لكي ينال معرفة، أو لكي يزداد في المعرفة. وهو مستعد أن يتلقى العلم ويقبله، حتى لو أتاه في صورة توبيخ، أو إن أتاه ممن هو أصغر منه. بل هو بنفسه يطلب العلم.

✱ ✱ ✱

وأمامنا قصص من سير القديسين في قبول التعليم وفي طلبه:

✱ القديس الأنبا أنطونيوس في بدء رهبنته، كان يجلس على حافة القرية يتعلم الفضيلة من النساء هناك. وفي أحد الأيام أتت امرأة لكي تستحم في النهر، وبدأت تخلع ملابسها

أمامه. فقال لها "يا امرأة، أما تستحين أن تتعري أمامي وأنا راهب؟" فقالت له في استهزاء "من قال إنك راهب؟ لو كنت راهباً، لدخلت إلى البرية الجوانية. لأن هذا المكان لا يصلح لسكنى الرهبان". فاستمع الأنبا أنطونيوس إلى اجابته في اتضاع شديد، واعتبر أنها رسالة من الله إليه على فمها. وفعلًا ترك المكان ودخل إلى البرية الجوانية.

✽ ✽ ✽

والقدّيس أنبا مقار الكبير، أخذ نصيحة من صبي راعي بقر .
والقدّيس الأنبا موسى الأسود، سأل زكريا الصبي كلمة منفعة. فلما قال له الصبي "أنت عمود البرية ومنارتها وتطلب مني؟" أجابه القدّيس "أنا واثق يا ابني، بالروح الذي فيك، أن عندك كلاماً ينقصني معرفته".

والبابا ثاوفيلس ، الثالث والعشرون في عداد البطاركة، كان يذهب أحياناً إلى البرية ليطلب كلمة منفعة من أحد المتوحدين مثل الأنبا أرسانيوس والأنبا بفنوتيوس. حتى حينما كان يعتذر البعض منهم عن لقائه، كان يمضى منتقماً!

✽ ✽ ✽

★ **والمتكبر "حكيم في عيني نفسه" يتباهى بمعرفته. لذلك لا يطلب المعرفة من غيره!**
وفي كبرياته، لا يجد أحداً أكثر منه معرفة حتى يطلب منه مزيداً من العلم. بعكس المتواضع الذي لا مانع عنده من أن يسأل. ولا مانع من أن يقول عن أحد الأمور "لا أعرف". وهو يستمع إلى كلام غيره ليستفيد. أما المتكبر فإنه يقاطع غيره إذا تكلم، لكي يثبت رأيه هو وكلمته. وهو كثير الجدل والنقاش.

✽ ✽ ✽

★ **المتواضع يضع أمامه قول الرسول: لا تكونوا معلمين كثيرين يا أخوتي، عالمين أننا نأخذ دينونة أعظم، لأننا في أشياء كثيرة نعتز جميعاً" (يع ٣: ١، ٢).**

لذلك فهو يحترس جداً في مسائل التعليم لئلا يخطئ. ولا مانع لديه من أن يستشير ليتأكد، أو يرجع إلى المصادر الرئيسية ليرى أن تعليمه موافق لعقيدة الكنيسة وأقوال الآباء، وبخاصة لو كان بصدد فكر جديد.

✽ ✽ ✽

أما المتكبر فبكل جرأة يقدم تعليماً جديداً. وقد يقع بذلك في بدعة .
إنه يفرح بأن يطرق أموراً عويصة قد تكون فوق مستواه "ويرتقى فوق ما ينبغي" (رو ١٢: ١٣). ويبدى الرأي كأنه عقيدة جديدة محاولاً إثباتها! وإن عارضته الكنيسة

يتشبت بفكره، وتمنعه كبرياؤه من التنازل عما علم به. وهكذا يقع في الهرطقة. وقد حدث ذلك مع ترتليانوس، وأوريجانوس، وأريوس، ونسطور". وفي هذا المجال أتذكر أنني كتبت بضع مقالات بعنوان :

"البدعة كالكبرياء . كل قتلها أقوياء" .

لذلك ما أجمل قول السيد الرب "أحمدك أيها الأب رب السماء والأرض، لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهاء وأعلنتها للأطفال" (مت ١١ : ٢٥).

نعم، إن المتواضعين هم الذين ينالون حكمة من فوق، لأنهم يطلبونها. أما المتكبرون فتخفى عنهم الحكمة الإلهية، لأنهم مكتفون بحكمتهم البشرية. وهكذا رفض الله حكمة هذا العالم المغرور بحكمته (١كو ١ : ٢٠). وأصبحت كثير من فلسفات العالم تقود إلى الشك واليأس .

علاقة التواضع بالصلاة

حاجته إلى الصلاة :

الإنسان المتواضع هو إنسان شاعر بضعفه وباحتياجه إلى قوة تسنده، لذلك فهو دائماً يصلي، طالباً هذه القوة.

إنه يتذكر دائماً قول الرب "بدوني لا تقدر أن تعملوا شيئاً" (يو ١٥ : ٥). لذلك فهو دائماً يتطلع إلى الله، ويقول له: أنت معيني يارب، منك استمد المشورة والقوة التي بها أعمل عملاً. بل منك استمد حتى مجرد الرغبة في عمل الخير. أليس الرسول يقول "الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا لأجل المسرة" (في ٢ : ١٣). إذن إعمل في يارب لكي أريد...

وأحياناً يارب أريد "الإرادة حاضرة عندي. ولكن أن أفعل الحسني، فلست أجد. لأنني لست أفعل الصالح الذي أريده. بل الشر الذي لست أريده، إياه أفعل!" (رو ٧ : ١٨، ١٩). حياتي الروحية هي بين يديك: أنت تعطيني الرغبة، وتعطيني القوة للعمل.

وَأنت أيضاً تعطيني الاستمرارية في عمل ما يرضيك، وعدم النكسة في الرجوع إلى الوراء، أو في الفتور ...

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QURĀNIC THOUGHT



✽ ✽ ✽

أما المتكبر ، فهو واثق بنفسه وبقدرته، لذلك فهو لا يطلب. إنه نادراً ما يصلى، لأنه لا يشعر بالاحتياج إلى الصلاة!! إنه يعتمد على ذراعه البشرية وليس على ذراع الله! حتى إن كان خادماً في الكنيسة، يندر أن يصلى لأجل ذلك لأنه "حكيم في عيني نفسه". يعرف جيداً ما سوف يقول، ويفهم ما يريد أن يقوله. ناسياً قول الكتاب "توكل على الرب بكل قلبك، وعلى فهمك لا تعتمد" "لا تكن حكيماً في عيني نفسك" (أم ٣: ٥، ٧).

المتكبر يشعر بقوته الذاتية، فلا يصلى طالباً قوة. تكفيه قوته!

لهذا كتبت مرة في مذكرتي الخاصة هذه العبارة :

قال الشيطان لله: "أترك لى الأقوياء، فإنى كفيل بهم. أما الضعفاء فإذ يشعرون بضعفهم، يطلبون القوة منك، فتعطيهم ، فلا أقدر عليهم".

نعم المتواضع الشاعر بضعفه، إنما يحارب العدو بقوة الله التى يحصل عليها بالصلاة، وبها ينتصر. فيسبح الله ويقول "قوتى وتسبحتى هو الرب، وقد صار لى خلاصاً" (مز ١١٨: ١٤).

طريقة الصلاة :

المتواضع أيضاً يتميز بالخشوع فى صلاته.. إنه يشعر بضآلته، وهو يكلم ملك الملوك ورب الأرباب (رؤ ١٩: ١٦) خالق السموات والأرض.

وهكذا يقول له: من أنا يارب حتى أتحدث إليك؟! ومن أنا حتى تميل بإذنك وتسمعنى؟! إن كان ابراهيم أبو الآباء والانبيا - حينما تحدث إليك - قال "عزمت أن أكلم المولى، وأنا تراب ورماد" (تك ١٨: ٢٧)، فماذا أقول أنا؟! أنا الذى نست شيئاً...

من أنا حتى أكلمك، أنت الذى يقف أمامك الملائكة ورؤساء الملائكة، الشاروبيم والسارافيم. "ألوف ألوف وقوف قدامك، وربوات ربوات يقدمون لك الخدمة". كيف أحشر نفسى وسط طغمات القديسين وأتحدث إليك?!

✽ ✽ ✽

المتواضع يبدأ صلاته بالسجود والركوع، ويتمجيد الله.

وإن وقف يصلى ، يرفع يديه إلى فوق ، ويحفظ حواسه جيداً حتى لا تتشغل بشئ أثناء صلاته، مما يتعارض مع مهابته لله.

إن سفر الرؤيا يرينا صورة عجيبة من المهابة والخشوع. فيها يخرّ الأربعة والعشرون قسيساً قدام الجالس على العرش، ويسجدون للحى إلى أبد الأبدين. ويطرحون أكفاليهم قائلين: أنت مستحق أيها الرب أن تأخذ المجد والكرامة والقدرة.. (رؤ: ١٠، ١١).
فإن كان أولئك السماويون لابسو الأكاليل التى من ذهب يقطعون هكذا فى خشوعهم أمام الله، فكم خشوع يجب علينا نحن الأرضيين!؟

حقاً، إنه تنازل من الله أن يقبلنا مصلين، وأن ينصت إلينا ونحن نصلى. لذلك فالمتواضع يقول فى صلاته: "تدخل طلبتى إلى حضرتك" (مز ١١٩)...

مجرد دخول صلواتنا إلى حضرة الله، أمر لا نستحقه. ففى اتضاع قلب، نطلب من الله أن يقبل صلواتنا، وأن يسمعنا.. لأنه ليست كل الصلوات مقبولة. كصلاة الفريسي التى كانت بكبرياء قلب، وكصلوات أولئك الذين قال لهم الرب فى سفر أشعياء النبى "حين تبتسطون أيديكم، أستر وجهى عنكم. وإن أكثرتم الصلاة لا أسمع. أيديكم ملأه دماً" (إش ١: ١٥).

عَدَمُ الْإِسْتِحْقَاقِ :

والإنسان المتواضع، يذكر فى صلاته أنه غير مستحق، معترفاً بخطاياهم. كما فى صلاة الاستعداد التى يصليها الأب الكاهن قبل القداس:

ويقول فيها : أيها الرب العارف قلب كل أحد، القُدوس المستريح فى قدسيه. الذى بلا خطية وحده، القادر على مغفرة الخطايا.. أنت يارب تعلم أنى غير مستحق ولا مستعد ولا مستوجب. وليس لى وجه أن أقترّب وأفتح فإى أمام مجدك الأقدس.

ثم يقول "بل ككثرة رافائك اغفر لى أنا الخاطئ. وامنحنى أن أجد نعمة فى هذه الساعة. وارسل لى قوة من العلاء، لى ابتدئ وأهيب وأكمل خدمتك المقدسة كما يرضيك".
ثم يقول أيضاً "أنت دعوتنا نحن عبيدك الأذلاء غير المستحقين لتكون خداماً لمذبحك المقدس.. أعط يارب أن تكون مقبولة أمامك ذبيحتنا عن خطايى وجهالات شعبك..".

إنها صلاة كلها اتضاع. لئيتنا نتأمل معها تواضع القديسين فى صلواتهم.

وهذا موضوع طويل، لست أرى هذا المقال يتسع له. بل لبيتنا أيضاً نتأمل التواضع في باقى صلوات القدس الإلهي، وفي صلوات الأجيبة... لنرى ليس فقط العلاقة بين التواضع والصلاة، بل بالحرى التواضع في الصلاة...

التواضع في الطلب :

إذا وصل الإنسان إلى التواضع في عمقه، لا يجد شيئاً يطلبه... يقول للرب: ماذا أطلب، وأنت لم تدعني معوزاً شيئاً من أعمال كرامتك. أنت يارب ترعاني، فلا يعوزني شيء.. (مز ٢٣: ١). كل ما قد أعطيتني حتى الآن هو كثير علي. أعطيتني فوق ما أطلب، وفوق ما استحق، بحيث أشعر بفيض منك، لا ينقصه شيء يزداد عليه.

ثم أثنى يارب لا أعرف ما هو الصالح لي لأطلبه..

أنت الذي تعرف ما أحتاج أنا إليه. تعرف ما ينفعني إليه، وتعطيني إياه دون أن أطلب. جراءة منى أن أذكرك بما يحسن في عينيك أن تعمله لأجلي، جسب وفررة حنان أبوتك. كل ما أطلبه هو أن تغفر لي خطاياي، كذلك أطلب ملكوتك في حياتي، كما سبق أن علمتنا "لا تهتموا بما للغد" "أطلبوا أولاً ملكوت الله وبره، وهذه كلها تزداد لكم" (مت ٦: ٣٤، ٣٣).

كذلك أنا يارب في خجل أن أطلب، على الرغم مما أقرفته من خطايا!

استحي من الطلب، وقد خالفت الكثير من وصاياك، وقصرت في واجباتي من نحوك. ولم تعد لي دالة أطلب بها شيئاً. الخجل يغطي وجهي، وتذكر خطاياي يعقد لساني عن الطلب. أنت تعرف يارب كل شيء.

وأيضاً كيف أطلب شيئاً جديداً، وأنا لم أشكر على عطايك السابقة؟!

أقول "باركك يا نفسي الرب، وكل ما في باطني ليباركك اسمه القدوس. باركك يا نفسي الرب، ولا تنسى كل احساناته" (مز ١٠٣: ١، ٢). أنت يارب قد أعطيتني الكثير والكثير، ولم أشكر بعد على كل ما غرقتني به من كرمك. فليتني أحيا حياة الشكر لا الطلب. أقول مع المزمور في المزمور: "بماذا أكافئ الرب عن كل ما أعطانيه؟! كأس الخلاص آخذ،

إن وضعنا أمامنا كل هذا، يستحيل على المتواضع أن يطلب العظام!

إن كان ما معه كثيراً عليه، فكيف يُعقل أن يطلب عظام الأمور؟! لهذا فإن المتواضع لا يطلب المواهب العالية. لا يطلب أن يصنع القوات والعجائب، ولا أن يتكلم بالسنة (١كو ١٢). يقول لنفسه: إن كنت لم أسلك في المستوى الطبيعي العادي الذي يليق بأولاد الله، فكيف أطلب من الله ما هو فوق الطبيعة؟! وهل أنا أستطيع أن أحتمل تلك المواهب، أم تقودني إلى الكبرياء والمجد الباطل، إن حدثت وثلت شيئاً منها!..

لذلك فالمتواضع "لا يرتئى فوق ما ينبغي أن يرتئى" (رو ١٢: ٣). ولا يطلب نصيباً من الإيمان غير ما قسمه الرب له... لاشك أن الشخص الذي في صلواته يطلب العظام والمواهب الفائقة، هذا يوجد في قلبه شيء من حب العظمة، شعر بذلك أو لم يشعر!

يطلب الصلاة لأجله :

والمتواضع أيضاً - إذ يشعر بضعف صلواته، وقلة دالته عند الله - فهو لا يكف

عن طلب صلوات الناس من أجله، وشفاعة القديسين..

إن القديس بولس العظيم، كان يقول "صلوا لأجلنا" (١تس ٥: ٢٥) (عب ١٣: ١٨). بل حتى في خدمته ومن جهة عظاته، نراه يقول في رسالته إلى أهل أفسس "مصلين بكل صلاة وطلب، كل وقت في الروح.. لأجل جميع القديسين ولأجلي، لكي يُعطى لي كلام عند افتتاح فمي، لأعلم جهراً بسرّ الإنجيل" (أف ٦: ١٨، ١٩). فإن كان القديس بولس الذي اختطف إلى السماء الثالثة (٢كو ١٢: ٤).. يطلب في تواضعه الصلاة من أجله، فماذا نفعل نحن الضعفاء؟! ألسنا نسدن بضعفنا بطلب الصلاة لأجلنا، من أخوتنا الأحياء معنا على الأرض، ومن الذين انتقلوا.. بغير غرور أن صلواتنا فيها الكفاية!

✱ ✱ ✱

نقطة أخيرة أقولها في خجل: إن المتكبر قد يدعى أنه ليس لديه وقت للصلاة!

كما لو كان غير محتاج إلى الصلاة! أو أنه في صلواته يعطى وقتاً لله!! أما المتواضع فيصلى لأنه محتاج إلى الله في كل شيء، وفي كل وقت. ويرى الصلاة عوناً له، وأيضاً بركة له، إذ يتكلم مع الله، ويقف في حضرته...

التواضع واحترام الآخرين

الإنسان المتواضع يحترم غيره، كبيراً كان أم صغيراً. أما المتكبر فإنه يتعالى على من هو أصغر منه، ولا يحترم الكبار سواء في الكلام أو التصرف.

مثال المسيح

إن ربنا يسوع المسيح، رب المجد، في كل عظمته وفي لاهوته غير المحدود، يقدم لنا مثالاً في ذهابه ليعتمد من يوحنا. ولما قال له يوحنا "أنا المحتاج أن أعتمد منك"، نراه يجيبه بعبارة كلها اتضاع "اسمح الآن" (مت ٣: ١٤، ١٥).

ما أعجب هذا السيد، يقول لأحد عبده: اسمح الآن!!
 * * *

وفي احترام الآخرين، نراه خاضعاً للناموس في كل شيء: عندما شفى الرجل الأبرص، قال له: "إذهب أر نفسك للكاهن، وقدم القربان الذي أمر به موسى شهادة لهم" (مت ٨: ٤). عجيب أن رئيس الكهنة الأعظم يقول له "إذهب أر نفسك للكاهن"!! إنه يعطى لكل ذي حق حقه.. كذلك عندما دعا شاول الطرسوسي، أرسله إلى حنانيا (أع ٩). ولما قبل إليه كرنيليوس الأممي، أرسله إلى بطرس الرسول.

* * *

بل الأعجب من هذا كله، أنه حينما جاء يهوذا الخائن ليسلمه بقبلة، قال له "يا صاحب لماذا جئت؟" (مت ٢٦: ٥٠).

يقول للخائن "يا صاحب"، لأنه لا يريد أن يخذل شعوره!!

نفس الوضع في تعامله مع المرأة السامرية: لم يوبخها على خطاياها، ولم يحدثها عن التوبة والندم، بل كلمها إيجابياً عن الماء الحي، وعن السجود لله بالروح والحق. ولما بدأ يمس حياتها الخاصة، قال لها "كان لك خمسة أزواج" (يو ٤: ١٨). وفي الواقع لم يكونوا أزواجاً لها، ولكنه تحاشى الوصف الجارح لعلاقتها بهم، حرصاً على شعورها. وحتى هذه العبارة بدأها بقوله لها "حسناً قلت" وختمها بقوله "هذا قلت بالصدق..".

بنفس هذا الأسلوب الرقيق، لم يخذش شعور المرأة "المضبوطة في ذات الفعل" بل أنقذها من الذين يطلبون رجماً ولما مشوا، قال لها "ولا أنا أدينك. اذهبي ولا تخطئي أيضاً" (يو ٨: ٢-١١).

* * *

وفي احترامه للأمومة، كان خاضعاً لأمه مريم ونيوسف (لو ٢: ٥١).

ولما طلبت منه إجراء معجزة في عرس قانا الجليل - مع أن ساعته لم تكن قد أتت بعد - (يو ٢: ٤)، استجاب لطلبتها، ونفذ لها ما أرادت.

وفي احترامه لتلاميذه، ولو أنه لا أريد لاهوتياً أن استخدم هنا كلمة احترام، ولكن عذري أن اللغة عاجزة عن التعبير، نراه يقول لهم:

"لا أعود أسميكم عبداً.. لكني قد سميتكم أحبباء" (يو ١٥: ١٥).

بل أكثر من هذا سماهم أخوة لها. وقال للمجدلية بعد القيامة "اذهبي إلى أخوتي وقولي لهم..". (يو ٢٠: ١٧). إنه لم يستح أن يدعوهم أخوة (عب ٢: ١١) بل أكثر من هذا أيضاً، قال عنهم للأب "المجد الذي أعطيتني، قد أعطيتهم" (يو ١٧: ٢٢). وأعطاهم احتراماً في نظر الناس بالمواهب التي منحهم إياها..

إحترام الكبار :

الإنسان المتواضع يتكلم عن كل شخص باحترام، ويتصف باللطف في حديثه مع كل أحد، وبخاصة مع كبار السن. كما يقول القديس بولس الرسول لتيموثاوس الأسقف:

لا تنتهر شيخاً، بل عظه كأب، والأحداث كأخوة، والعجائز كأمهات" (١ تي ٥: ١).

مع أن القديس تيموثاوس كان أسقفاً، وكل هؤلاء يعتبرون أبناء له من جهة كهنوتية، ولكنه يجب أن يعاملهم باحترام معين كأباء وأمهات وأخوة. والقديس بولس الرسول نفسه

اتبع نفس هذا الأسلوب، فقال فى رسالته إلى روميه "سلموا على روفس المختار فى الرب، وعلى أمه أمى" (رو ١٦: ١٣).

ليس فقط فى احترام كبار السن، كآباء وأمهات، بل حتى فى التعامل مع الصغار "الأحداث كأخوة، والحداث كأخوات (١تى ٥: ١).

✽ ✽ ✽

واحترام الشيوخ والآباء، نجده واضحاً جداً فى "بستان الرهبان".

وكذلك فى جميع سير القديسين: فالقديس بولس البسيط حينما كان يتكلم عن معلمه الأنبا أنطونيوس، كان يقول "أبى القديس الأنبا أنطونيوس". ولما أحضروا إليه شخصاً عليه شيطان ليخرجه منه، قال للشيطان: "أبى القديس الأنبا أنطونيوس يقول لك أخرج منه. بصلاة أبى القديس أخرج منه". تعبير جميل..

✽ ✽ ✽

يذكرنا هذا بقصة عن القديس يوحنا القصير حينما أرسله أبوه الروحى القديس الأنبا بموا ليحضر له ضبعة من مكان معين. فذهب إلى هناك ولم يخف. ولما رأى الضبعة، جرى وراءها، وقال لها: أبى القديس الأنبا بموا يقول لك تعالى...

وما أكثر ما كان أحد الرهبان يقع فى ضيقة، فيقول للرب "بصلاة أبى، يارب نجنى"..
حقاً إن الاستشفاع بالقديسين فيه لون من الاتضاع..

✽ ✽ ✽

إن أول وصية فى العلاقات البشرية هى: أكرم أباك وأمك (خر ٢٠: ١٢).

سواء الروحانيين منهم أو الجسديين. ومن مظاهر هذا الإكرام، الاحترام.
قال القديس الأنبا بيجيمى السائح: فى بدء رهنبتى، قضيت سنوات مع آباء شيوخ أبرار، لم أرفع عينى لأرى وجه واحد منهم.

كان الرهبان عندهم هذا اللون من الحياء، الذى يدل على أدب فى التعامل فما كان أحدهم يملأ عينيه من وجه إنسان، كما ينصح الشيخ الروحانى.

✽ ✽ ✽

ومن احترام الكبار، ذلك المبدأ الرهبانى الذى يقول:

إذا جلست وسط الشيوخ فكن صامتاً. وإن سألتك عن شئ، فقل لا أعرف.

يقصد: لا أعرف المعرفة التى أستطيع أن أتكلم بها أمام الكبار. فإن جلسنا مع الكبار،

أصحاب أيوب الصديق تبادلوا الكلام معه في ٢٨ إصحاحاً من سفر أيوب. وكان معهم رابع هو اليهو، ظل صامتاً طول ذلك الوقت كله. ولما حانت الفرصة له أن يتكلم، قال: "أنا صغير في الأيام، وأنتم شيوخ. لأجل ذلك خفت وخشيت أن أبدي لكم رأيي. قلت الأيام تتكلم، وكثرة السنين تظهر حكمة" (أى ٣٢: ٦، ٧).

حقاً، كان الصغير لا يتكلم في حضرة الكبار، إنما ينصت ويتعلم. يأخذ من الكبار خبرة الأيام، وحكمة التجارب التي مرت عليهم.. ويحترم سنهم..

وكان هذا الأمر في الرتب الكهنوتية: في وجود أحد الآباء الأساقفة، لا يستطيع كاهن أو شماس أن يلبس التونية لخدمة المذبح، إن لم يقدمها للآب الأسقف ليرشمها له.. وإن احتاج أسقف إلى تحليل، وقال لأحد الآباء القسوس "حاللني"، يرد عليه قائلاً "من فمك الجل يا سيدنا"..

من احترام الكهنوت الذي تعلمه لنا الكنيسة، أن نقول للآب الكاهن يا أبانا، ونقول للآب الأسقف يا سيدنا. ونقبل يد كل منهما. وقديماً، وفي الريف، كان الشخص يقبل يد أبيه، ويد أمه، ويد جده، ويطلب بركتهم. إنه لون من احترام الكبار.

في الاتضاع، يوجد احترام الأبوة، واحترام الكبار، واحترام الكهنوت .

يقول الكتاب "الخوف لمن له الخوف، والإكرام لمن له الإكرام، (رو ١٣: ٧). إن داود النبي كان يحترم شاول الملك احتراماً فائقاً، على الرغم من أن شاول قد فارقه روح الرب، وبعثته روح ردي من قبيل الرب" (اصم ١٦: ٤). وكان داود يقول "حاشا لي أن أمد يدي إلى مسيح الرب. إنه مسيح الرب هو" (اصم ٢٤: ٦). وكان يخاطبه بعبارة أبى، وسيدى (اصم ٢٤: ١٠، ١١).

والقوانين الكنسية تقول: إن كان من يقول لأخيه يا أحمق يستحق نار جهنم (مت ٥: ٢٢) فكم بالأكثر من يقول كلمة سوء على أسقفه، الذي بوضع يده ينال الروح القدس. ويعطينا الكتاب المقدس مثلاً عن احترام (مسيح الرب):

★ وفي احترام الكبار نذكر احترام الممسوحين من الرب كما فعلت أهبجايل .

كان داود قد قرر قتل زوجها نابال الكرملى بسبب بخله وتغييره لداود. فأخذت أهبجايل هدية من الأطعمة التي كان يحتاجها داود ورجاله وحملتها إليه "ولما رأت أهبجايل داود، أسرعت ونزلت عن الحمار، وسقطت أمام داود على وجهها، وسجدت إلى الأرض. وخطبت داود بعبارة سيدي، وعن نفسها بكلمة أمتك. وقدمت له الهدية قائلة له "والآن هذه البركة التي أتت بها جاريتك إلى سيدي، فلتعطَ للفقراء السائرين وراء سيدي" (اصم ٢٥: ٢٣-٢٧).

ولما كانت في موقف تشعره فيه بخطأ إتيانه للدماء وانتقام يده لنفسه، مزجت ذلك بالمديح والاحترام اللائقين، وقالت له: "إن سيدي يحارب حروب الرب، ولم يوجد فيك شرّ كل أيامك.. ويكون عندما يصنع الرب لسيدي حسب كل ما تكلم به من الخير من أجلك، ويقيمك رئيساً على إسرائيل، أنه لا تكون لك هذه مصدمة ومعثرة قلب لسيدي، أنك قد سفتك دماً عفواً، أو أن سيدي قد انتقم لنفسه. وإذا أحسن الرب إلى سيدي، فاذكر أمتك" (اصم ٢٥: ٢٨-٣١).

وأحدث هذا الحديث المتضع أثره في نفس داود، وأزال غضبه، فقال لها "مبارك عقلك ومباركة أنت، ولأنك منعتني اليوم عن إتيان الدماء، وانتقام يدي لنفسى" وصرفها بسلام.

ويظهر احترامنا للكبار أيضاً في حديثنا عن الرسل والقديسين .

فلا نقول: كما يقول بولس أو بطرس أو أثناسيوس. إنما نقول القديس بولس الرسول، والقديس بطرس الرسول، والقديس أثناسيوس الرسولى.

بل قد يتناول البعض، ويتحدث عن الرب "يسوع" باسمه المجرد!! بينما نحن في قراءة الانجيل نقول "ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكتنا كلنا، ربنا يسوع المسيح الذى له المجد الدائم إلى الأبد أمين.

ونقول القديسين مارجرس، ومارمينا. وكلمة (مار) معناها سيد. ونقول سيدي الملك جوارجيوس. وسيدتنا وملكتنا كلنا العذراء الطاهرة مريم...

ليتنا نتعود الاحترام في حديثنا عن الآباء القديسين، متذكّرين قول الرب "من يكرمكم يكرمنى". ولا نتعود نطق اسمائهم مجردة، كما يفعل علماء الغرب في حديثهم عن الآباء،

فيقولون جهاد أثاسيوس، وتأملات أوغسطينوس، ورسائل أنطونيوس، وحرومات كيرلس.. كل ذلك بدون ألقاب!!

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QURĀNIC THOUGHT



★ ومن جهة احترام الكبار، احترام الأنبياء:

★ إن أليشع النبي كان يحترم معلمه إيليا النبي. ولما رآه صاعداً في مركبة نارية إلى السماء، قال "يا أبي، يا أبي، يا مركبة إسرائيل وفرسانها" (٢مل٢: ١٢).

★ نذكر حديث قائد الخمسين الثالث مع إيليا النبي، بعد أن أمر إيليا، فنزلت نار من السماء وأكلت قائد الخمسين الأول وقائد الخمسين الثاني، لأنهما تكلمتا مع النبي العظيم بكبرياء، بعبارة: يا رجل الله، الملك يقول لك انزل (٢مل١: ٩، ١١).

★ أما رئيس الخمسين الثالث، فإنه - في تواضع - صعد إلى حيث كان إيليا، وجثا على ركبتيه أمام إيليا، وتضرع إليه وقال له: يا رجل الله، لتكرم نفسي وأنفس عبيدك هؤلاء الخمسين في عينيك. هوذا قد نزلت نار من السماء وأكلت رئيسي الخمسين الأولين وخمسينيهما. والآن لتكرم نفسي في عينيك" (٢مل٥: ١٣، ١٤).

وأمر ملاك الرب إيليا أن ينزل معه. ولم يمت رئيس الخمسين الثالث لإتضاعه.

والشخص المتواضع كما يحترم الله وقديسيه، يحترم كل ما يتعلق بالله.

يحترم بيت الله، وهيكل الله، ومذبح الله. فيدخل بيت الله في مخافة. ويقول للرب كما في المزمور "أما أنا فبكثرة رحمتك أدخل إلى بيتك، واسجد قدام هيكل قدسك بمخافتك" (مز٥). ويحترم الكتاب المقدس ويقبله، ولا يضع شيئاً فوقه في مكتبته. ويحترم اسم الله ولا ينطق به باطلاً (خر٢٠: ٧). ويحترم رجال الله وخدامه.



إننا نحترم الرهبان وندعوهم آباء، حتى ولو لم يكونوا كهنة.

ونحترم الراهبات وندعوهن أمهات. ونلتمس بركة هؤلاء وأولئك. ونحترم مواضعهم المقدسة وأديرتهم. ونحترم رفاتهم ونضمخها بالأطياب.

ومن احترامنا لهم، نذكرهم في الذكصولوجيات والألحان، ونطلب صلواتهم وشفاعتهم فينا. ونقيم لهم التذكارات والأعياد.



والمواضع يتطور من احترام الآباء والقديسين إلى احترام كل الكبار.

فيحترم التلميذ مدرسه واستاذه، ويحترم الموظف رئيسه، ويحترم الجميع قوانين الدولة وانظمتها. ويذكرون قول الكتاب "اخضعوا لكل ترتيب بشئى من أجل الرب" (ابط٥: ١٣). "اكرموا الجميع.. اكرموا الملك" (ابط٥: ١٧). "أيها الأحداث اخضعوا للشيوخ" (ابط٥: ٥).



*** ومن جهة احترام السادة :**

نذكر قول الملاك لهاجر وهى هاربة من سيدتها "يا هاجر جارية ساراي، ارجعى إلى مولاتك، واخضعى تحت يديها" (تك١٦: ٨، ٩).

إحترام الأبوة والأمومة

*** أول احترام نقدمه هو احترام الأبوة والأمومة بكل تفاصيلها ...**
*** والأبوة تشمل أبوة الله لنا، وأيضاً أبوة البشر لنا بما فى ذلك الأبوة الجسدية والروحية، ومن هم فى مركز الأب. وكذلك أبوة السن.**

إحترام أبوة الله :

الله - تبارك اسمه - ندعوه "أبانا الذى فى السموات" فى كل صلواتنا اليومية (مت٦: ٩). وفى العهد القديم قال له اشعياى النبى "أنت يا رب أبونا.. (أش٦٤: ٨). واحترامنا له هو لون من الخشوع أمام عزته الإلهية. وهو - بالنسبة إلينا - لا يدخل فى باب التواضع، بل فى مجال العبادة. ويعتبر التواضع هو من جانب الله الذى يقبل صلواتنا، والذى من تواضعه شرفنا بأن ندعى أبناء له (١يو٣: ١).



*** واحترامنا لله يدعونا إلى احترام كتابه المقدس .**

هذا الذى قبل قراءته فى الكنيسة، يقول الأب الكاهن للرب "أجعلنا مستحقين أن نسمع ونعمل بأناجيلك المقدسة بطنبات قديسيك". ويصيح الشماس "قفوا بخوف من الله لسماع الإنجيل المقدس"...

★ واحترامنا للكتاب المقدس يدعونا إلى الإيمان به كله، مع العمل به.

لا نكون مثل الذين يقبلون أسفاراً من الكتاب ويرفضون أسفاراً أخرى ... أو الذين يقيمون أنفسهم رقباء على الكتاب لا يطيعون منه إلا ما يوافق هواهم! ولا يقابلون كلمات الرسل بنفس الاحترام اللائق بمن ينطق الروح على أسنتهم!

في إحدى المرات زارني في الدير أحد رؤساء الكنائس الكبرى. وفي حوارنا معاً حول مشكلة قبول كهنوت المرأة، سردت عليه آيات من رسائل القديس بولس الرسول. فقال لي "ولكن هذا ما يقوله بولس".. فقلت له وهل ما يقوله القديس بولس موحي به من الله أم لا؟ فصمت لحظة ثم قال "نعم موحي به". فقلت إذن لماذا لا نقبله؟ لأن "كل الكتاب موحي به من الله ونافع للتعليم.." (٢تى ٣: ١٦).

★ واحترام الكتاب المقدس يعني أيضاً عدم ترجمته ترجمة محرفة .

كما يفعل شهود يهوه لكي يثبتوا ما ينادون به من عقائد لا تقبلها الغالبية العظمى من المسيحيين..! أو تفسير الكتاب حسب الهوى الخاص وضد الحق الإلهي.

في كل هذه الأمثلة يختفى الكتاب ويختفى الوحي، وتظهر الذات البشرية .



★ واحترامنا لله يدعونا أن نطيع وصاياه، وأن نعيش في مخافة الله.

نهاية هذا الذي يقف أمامه الملائكة ورؤساء الملائكة في هيبة ووقار .

نهاية أيضاً هيكله المقدس، فلا ندخله بأحذيتنا حسب وصية الله لعبده موسى (خر ٣: ٥). بل نسجد أمام هذا الهيكل، ونقبل المذبح المقدس في خشوع وتوقير. كذلك نصلى إلى الله في مهابة، ولا نفعل كالذين يصلون على موائدهم وهم جلوس!

إحترام الأبوة الجسدية ٢

★ احترام الأبوة الجسدية (والأمومة أيضاً) تشمل وصية الرب القائلة "أكرم أبائك وأمك" (خر ٢٠: ١٢)، وتشمل الخضوع لتعليم الآباء وتأديبهم (عب ١٢: ٧، ٨). أنظروا كيف كان أبونا اسحق خاضعاً لأبيه، وقد وضعه على المذبح وربطه ووضع على المذبح لكي يقدمه محرقة للرب (تك ٢٢).. واحترام الأبوة الجسدية يشمل أيضاً كل الأقارب الذين هم في مركز الأب أيضاً، كالعم والخال والجد....

وتشمل أيضاً احترام الكبار في السن الذين هم في مستوى الأب كقول الكتاب: "أمام الأسيب تقوم، وتحترم وجه الشيخ" (لا ١٩٦: ٣٣).

إحترام الأبوة الروحية :

★ أما الأبوة الروحية فتشمل احترام رجال الكهنوت والمرشدين الروحيين .

نحترم الكهنة في الكنيسة والآباء الأساقفة والمطارنة لأنهم آباء في الكنيسة، ولأجل كهنوتهم. ولأنهم وكلاء لله (تى ١: ٧) ووكلاء سرائر الله (اكو ١: ٤) ولأجل مركزهم، كما ورد في سفر ملاخي أن الكاهن رسول رب الجنود، ومن فمه يطلبون الشريعة، ونحترمهم أيضاً لأجل سنهم، وخدمتهم للأسرار الإلهية، وأنتمان الرب لهم على خدمة التعليم (اتى ٥: ١٧). وكما يقول الكتاب "أطيعوا مرشديكم واخضعوا، لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم كأنهم سوف يعطون حساباً..". (عب ١٣: ١٧).

إن احترام رجال الكهنوت يدخل ضمن احترام الرب نفسه، لأنهم رجال الله، وهم سفراؤه ووكلاؤه. وعندهم قال "من يكرمكم يكرمنى".

✽ ✽ ✽

أما عدم احترام الكهنوت والتطاول على كل رتبة، فيدل على كبرياء في القلب، وعلى أن من ينتقد هؤلاء، إنما "يرتضى فوق ما ينبغى أن يرتضى" (رو ١٢: ٣). فقد يحدث أن فتى صغيراً، أو خادماً مبتدئاً، قد قرأ كتاباً أو كتابين، وربما لم يستطع أن يضمن مفهومها كما ينبغى، يبدأ في انتقاد بعض الآباء الكهنة، أو الآباء الأساقفة، كأنه يفهم ما لا يفهمون. ويقول هذا خطأ وهذا لا يجوز!! وليس في فكره فقط يسرى هذا المفهوم، بل يشهر بهم علناً أمام الناس!!

✽ ✽ ✽

★ يظهر احترام الكهنوت أيضاً بعضهم لبعض .

كل رتبة تحترم الرتب التي تعلوها، أو التي هي أكبر منها سناً، أو أقدم منها في السيادة. وسنضرب مثلاً لاحترام أحد الآباء الأساقفة للبابا البطريرك.

حدث في أيام محمد على الكبير حاكم مصر، أنه كان على ابنته (زهرة) شيطان يصرعها ويتعبها. ونصحه البعض أن يحولها على البابا البطريرك (وكان وقتذاك الأنبا بطرس الجاولى) لكي يصلى عليها ويشفيها. فلما أوصلوها إليه، قال في اتضاع ليست لى

هذه الموهبة. وطلب من الأنبا صرابامون أبو طرحة أسقف المنوفية أن يصلى لها إذ له هذه الموهبة. وحاول القديس الأنبا صرابامون أن يعفى من هذا الأمر فلم يستطع. فقال لقداسة البطيريك "اعطنى صليبك يا سيدنا لكى أرشمها به وأنا أصلى، لكى تشفى" .. فعل ذلك حتى فى شفائها ينسب ذلك إلى صليب البابا، وليس إلى صلاته هو .. ما أعجب ذلك الاتضاع!

✱ ✱ ✱

✱ واحترام الكهنوت يعنى أيضاً احترام المجامع المقدسة، وما أصدرته من قرارات. تلك المجامع - المسكونية والأقليمية والمكانية التى كان يجتمع فيها مجموعة من الآباء الأساقفة، ويصدرون قوانين تلتزم بها الكنيسة الجامعة. وبذلك القوانين أمكن تنظيم الكنيسة من الداخل. بل أمكن أيضاً وضع قواعد الإيمان السليم، وإرساء التقاليد الثابتة التى سارت عليها الكنيسة من جيل إلى جيل..

إحترام الأمموة :

✱ أما عن احترام الأمموة فتشمل الأم بالجسد، والقديسة العذراء، والكنيسة. يحترم الإنسان أمه التى ولدته وأرضعته وربته، وكانت أشبينته فى المعمودية. ويحترم القديسة العذراء مريم، فهى أمنا وملكتنا كنا .

هذه التى استقبلتها القديسة الیصابات (الأكبر سنا)، بكل اتضاع وتوقير، قائلة "من أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلى" (لو ١: ٤٣). وهى التى كانت أمأ روحية للرسول. وعنها قال الرب وهو على الصليب لتلميذه القديس يوحنا الرسول "هذه أمك" (يو ١٩: ٢٧). هذه التى جميع الأجيال تطوبها (لو ١: ٤٨). وهى التى تطوبها الكنيسة قائلة لها فى تسابيحها "علوت يا مريم فوق الشاروبيم، وسموت يا مريم فوق السارافيم".

✱ ✱ ✱

✱ وفى احترام الأمموة، نحترم الكنيسة التى ولدتنا فى جرن المعمودية . ولدتنا فى الإيمان وفى التعليم والتوبة، وفى الأسرار المقدسة. التى لولاها ما كنا مسيحيين. وإنما صرنا هكذا بكرزتها وجهادها.

إننا نحترم الكنيسة ونحترم عقيدتها وإيمانها، ونحترم مجامعها وآباءها، وقديسيها وتعاليمهم، ونحترم تاريخها وطقوسها. ونقف بكل اتضاع أمام تقاليدها، وندافع عنها،

ونفخر بالانتساب إليها. ونذكر جهاد الكنيسة حتى حفظت لنا الإيمان سليماً، وقدمت في سبيل ذلك آلاماً من الشهداء..

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QURANIC THOUGHT

ونقف بكل اتضاع أمام تعليم آبائنا .

نعتبرهم مراجع لنا في الإيمان وفي التفسير، وفي التأملات الروحية. ولا نعتبر كتاباتهم مجرد آراء كما تفعل بعض الطوائف.

وفي احترامنا لأباء الكنيسة نحترم أبطال الإيمان معلمى البيعة، ونحترم الشهداء الذين سفكوا دماءهم لأجل الإيمان، ونحترم الرعاة وآباء البرية. ونشفع بكل هؤلاء في قداساتنا وصلواتنا، ونقيم لهم الأعياد، ونضع الشموع أمام أيقوناتهم، ونقدس رفاتهم.

إنه ميزة في اتضاع الكنيسة الأرثوذكسية في توقيرها لأبائها .

* وفي احترام الزوج، نذكر أن سارة كانت تدعو زوجها ابراهيم: سيدى (تك ١٨: ١٢). كذلك قول الكتاب "أيها النساء أخضعن لرجالكن كما للرب. لأن الرجل هو رأس المرأة، كما أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة" (أف ٥: ٢٢، ٢٣).

إحترام الصغار :

إن احترام الكبار واجب، تدرّب الكثيرون عليه .

أما احترام الكبير للصغير، فهو تواضع من الكبير، ونبل منه .

إن الله - تبارك اسمه - هو المثل الأعلى في التواضع، وقدوتنا في كل تصرف. وفي هذه النقطة بالذات، لا نقول إنه يحترم عبده، مخلوقاته.. فربما هذا التعبير غير مقبول لاهوتياً. وإنما نقول: إنه في معاملته لهم، يحتفظ لهم بكرامتهم، ويرفع من قدرهم، ويعطيهم احتراماً في نظر الآخرين. ولا يدعوهم عبداً بل أصدقاء" (يو ١٥: ١٥).

ولا يتخطى وكلاءه، كما قال للأبرص بعد أن شفاه "اذهب أر نفسك للكاهن" (مت ٨: ٤).

وعجيب أن الله - في بعض الأحيان - يعرض قراراته على بعض عبده أو وكلاءه، قبل تنفيذها. ويأخذ رأيهم وينفذه!

* مثال ذلك قبل أن يحرق سادوم، قال "هل أخفى عن عبدى ابراهيم ما أنا فاعله؟"

(تك: ١٨: ١٧). وعرض الأمر عليه. ورضى أن يقول له إبراهيم: أديان الأرض كلها لا يصنع عدلاً! أهلك البار مع الأثيم؟ فيكون البار كالأثيم! حاشاً" (تك: ١٨: ٢٥). وفي اتضاع شديد، يدخل الرب في حوار مع إبراهيم، ويقبل فكره نقطة نقطة، إلى أن يصل إلى المستوى الذي إن وجد فيه عشرة أبرار في المدينة، لا يهلك المدينة من أجل العشرة (تك: ١٨: ٣٢).

★ مثال آخر إنه لما عبد بنو اسرائيل العجل الذهبى، وأراد الرب افناءهم، نراه يكلم موسى أولاً، ويقول له "أتركنى لأفنى هذا الشعب..". (خر: ٣٢: ١٠). كما لو كان موسى ممسكاً به. فلا يفعل، إن لم يتركه موسى يفعل!!

ورفض موسى أن يترك الرب يفنى الشعب، وشرح وجهة نظره. وقال له في جراءة أو في دالة "إرجع يارب عن حمو غضبك، واندم على الشر" (خر: ٣٢: ١٢). والعجيب هنا في تواضع الرب أنه استجاب لموسى فيما طلبه. وهكذا يقول الكتاب "فرجع الرب عن حمو غضبه، وندم على الشر" (خر: ٣٢: ١٤).

★ الله أيضاً في إكرامه لداود النبي - حتى بعد موته - لما أخطأ إليه سليمان بن داود خطية كبيرة، وأوقع عليه عقوبة، لم يشأ أن تكون تلك العقوبة في أيام سليمان، وإنما بعده، قائلاً "من أجل داود عبدى..". (امل: ١١: ١٢، ١٣).

★ ونجد في قصة الابن الضال (لوقا ١٥) مثلاً آخر من تواضع الأب السماوى:

أتاه الابن نادماً ومنسحقاً، يقول له "أخطأت إلى السموات وقدامك، ولست مستحقاً أن ادعى لك ابناً..". ولكن الأب في حنوه، وحرصه على أن يحفظ كرامة ابنه، منعه في حنوه أن يكمل انسحاقه بعبارة "اجعلنى كأحد أجرائك" التى كان قد عزم أن يقولها (لوقا: ١٥: ١٩، ٢١). بل بالأكثر أكرمه ورفع شأنه جداً فى توبته، وأمر أن يذبحوا له العجل المسمن، وأن يضعوا خاتماً فى يده..

وأيضاً الابن الكبير لما رفض أن يحضر الوليمة التى صنعت لأخيه، لم يهمله الأب، بل خرج إليه ليصالحه. ولما اشتط هذا الابن فى الكلام وتناول على أبيه قائلاً "ها أنا أخدمك سنين هذا عددها، ولم تعطني قط جدياً لأفرح مع أصدقائى. ولما جاء ابنك هذا الذى صرف معيشتك على الزواني، ذبحت له العجل المسمن!..". لم يرد الأب على تناول ابنه وغضبه، بل قال له فى اتضاع: "يا ابنى، أنت معى، وكل مالى فهو لك. ولكن كان

ينبغي أن نفرح ونسرّ لأن أخاك هذا كان ضالاً فوجد، وكان ميتاً فعاش" (لو ١٥: ٢٨-٣٢).

✱ ✱ ✱

✱ نلمح اتضاع الكبار أيضاً في سير الآباء وأقوالهم :

نرى ذلك في اتضاع القديس أوغسطينوس في صلاته لأجل شعبه.

إذ يقول "أطلب إليك يارب من أجل سادتي عبيدك". فيعتبرهم سادته!

ويقول: "أنا بالنسبة إليهم راع لهم. ولكنني أمامك - معهم - خروف في قطيعك:

ترعاني وترعاهم".. وهكذا - على هذا النمط - فإن بعض الآباء الأساقفة في اتضاعهم، يقول كل منهم عن نفسه "خادم إبيارشية (كذا)..".

✱ ويقول الآباء في بستان الرهبان: "ليكن كل إنسان كبيراً في عينيك" "أطلب بركة كل

أحد" "اجعل كل أحد يباركك".

✱ ✱ ✱

✱ ومن أمثلة الكبار الذين يرفعون من قدر أبنائهم: القديس بولس الرسول :

✱ ويظهر هذا في رسالته إلى فلاديمون من أجل عبده أنسيموس .

فعلى الرغم من أن فلاديمون كان أحد تلاميذه، إلا أنه كان يكلمه برجاء وباحترام. ومع

أن أنسيموس كان عبداً، إلا أن بولس الرسول يذكره بتوقير شديد، فيقول لفلاديمون:

"أطلب إليك لأجل ابني أنسيموس الذي ولدته في قيودي.. الذي هو أحشائي. الذي كنت

أشاء أن أمسكه عندي لكي يخدمني عوضاً عنك في قيود الانجيل. ولكن بدون رأيك لم أرد

أن أفعل شيئاً" "لا كعبد في ما بعد، بل أفضل من عبد: أخاً محبوباً، ولاسيما إلى". ثم يقول

لفلاديمون أيضاً "إن كنت تحسبني شريكاً، فاقبله نظيرى. ثم إن كان ظلمك بشئ، أو لك عليه

دين، فاحسب ذلك على.. أنا أوفى.. أرح أحشائي في الرب" (فل ١٠-٢٠).

إنه أدب عجيب في التخاطب يصدر من رسول قديس ومعلم كبير لتلميذه: يقول له "إن

كنت تحسبني شريكاً" ويرجوه قائلاً "لم أرد أن أفعل شيئاً بدون رأيك". ويقول عن العبد

"أقبله نظيرى" "لا كعبد بل أخاً محبوباً" ويقول عنه "ابني" "أحشائي". أليس هذا درساً لنا في

احترام الصغار!؟

✱ ✱ ✱

✱ وبنفس الأسلوب في توقير تلاميذه، يكتب في آخر رسالته إلى رومية:

فيقول عن أكيللا وبريسكلا "الذين لست أنا وحدي أشكرهما، بل أيضاً جميع كنائس الأمم". ويقول "سلموا على أندرونيكوس ويونياس اللذين هما مشهوران بين الرسل، وقد كانا في المسيح قبلي" (رو ١٦: ٧). بينما كثيرون جداً من المسيحيين لا يعرفون عنهما شيئاً! ويقول أيضاً "سلموا على روفس المختار في الرب، وعلى أمه أمي" (رو ١٦: ١٣). وفي إرسال سلامه يسجل تعب العاملين معه في الخدمة. ومن أولئك يذكر "تريفينا وتريفوسا التاعبتين في الرب" و"برسيس المحبوبة التي تعبت كثيراً في الرب" (رو ١٦: ١٢). بل في المقدمة وقبل الكل يذكر فيبي خادمة الكنيسة التي في كنخريا "كي تقبلوها في الرب كما يحق للقديسين" (رو ١٦: ١). إنه يمتدح تلاميذه ويرفع ذكرهم. ويقول مثلاً "سلموا على أبلّس المزكي في المسيح" (رو ١٦: ١٠). و"ابينتوس حبيبي الذي هو باكورة أخائية للمسيح" (رو ١٦: ٥).

بعد كل ما ذكرناه من التواضع في معاملة الصغار ، نسأل :

هل يُمكن للمتضع أن

ينتهر ويوبخ ويعاقب؟

★ نعم ، يمكن هذا ، فإن القديس بولس هذا، قد وبخ وعاقب .

وبخ أهل غلاطية مثلاً وقال لهم "هكذا أنتم أغبياء. ابعده ما ابتدأتم بالروح، تكملون بالجسد؟! (غل ٣: ٣). وقال لتلميذه تيموثاوس الأسقف: "وبخ. انتهر. عظ، بكل أناة وتعليم" (٢تى ٤: ٢). وقد عاقب خاطئ كورنثوس وأمر "أن يسلم مثل هذا للشيطان لإهلاك الجسد، لكي تخلص الروح في يوم الرب" (١كو ٥: ٥). وأمر أهل كورنثوس قائلاً "اعزلوا الخبيث من بينكم" (١كو ٥: ١٣).

والقديس بولس وبخ القديس بطرس أيضاً قائلاً له "إن كنت وأنت يهودي تعيش أممياً، فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا" (غل ٢: ١٤).

ومع كل ذلك، كان القديس بولس متواضعاً. ويكفي قوله عن ظهورات السيد المسيح

بعد القيامة "وأخر الكل، كأنه للسقط ظهر لى أنا، لأنى أصغر الرسل، أنا الذى لست أهلاً لأن أدعى رسولاً، لأنى أضطهدت كنيسة الله" (١كو ١٥: ٨، ٩).

✽ ✽ ✽

والقدیس یوحنا المعمدان وبخ الفریسیین والصدوقین الآتین إلى معمودیته.

وقال لهم "یا أولاد الأفاعى، من أراکم أن تهربوا من الغضب الآتى. فاصنعوا ثماراً تلیق بالتوبة. ولا تفنکروا أن تقولوا فى أنفسکم لنا ابراهیم أباً..". (مت ١٣: ٧، ٨). ولا ینکر أحد تواضع القدیس یوحنا المعمدان.

✽ وإیلیا النبی وبخ آخاب الملك لسیره وراء البعلیم (١مل ١٨: ١٨).

وعاقب أنبیاء البعل والسورای (١مل ١٨: ٤٠)، كما عاقب قائدی الخمسین الأول والخمسين الثانى (١مل ٢: ١٠، ١٢).

✽ ويعقوب أبو الآباء وبخ ابنیه قائلاً "سمعون ولاوى أخوان. آلات ظلم سیوفهما. فى مجلسهما لا تدخل نفسى. بمجمعهما لا تتحد کرامتى..". (تك ٤٨: ٤، ٥، ٦).

وكتثیر من الأنبیاء وبخوا أفراداً وجماعات، بل أرسلهم الله لیوبخوا.

✽ ✽ ✽

✽ بل السید المسیح نفسه انتهر ووبخ، وهو الودیع المتواضع القلب (مت ١١: ٢٩).

وبخ المدن التى صنعت فیها أكثر قواته لأنها لم تنب (مت ١١: ٢٠). وقال "ویل لك یا كوزین. ویل لك یا بیت صیدا.. وأنت یا كفر ناحوم المرتفعة إلى السماء، ستهبطین إلى الهاویة..". (مت ١١: ٢١-٢٣). ووبخ الكتبة والفریسیین المرائین (مت ٢٣).. ووبخ تلمیذه بطرس الرسول قائلاً له "اذهب عنى یا شیطان، أنت معثرة لى. لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس" (مت ١٦: ٢٣).

وانتهر تلمیذه یعقوب ویوحنا لما طلبا منه أن تنزل نار وتحرق إحدى مدن السامرة. وقال لهما "لستما تعلمان من أى روح أنتما. لأن ابن الإنسان لم یأت لیهلك أنفس الناس بل لیخلص" (لو ٩: ٥٥).

✽ ✽ ✽

✽ والأمثلة كثيرة، ولكن فلنناقش موضوع التوبیخ ومدى تمشیه مع التواضع.

أولاً: ممن یصدر؟ وهل الذى یوبخ وینتهر له سلطان أن یوبخ؟

هل كل إنسان له سلطان الرب في التوبيخ؟! أو له سلطان القديس يوحنا المعمدان، أو القديس بولس الرسول، أو القديس تيموثاوس الأسقف، وهل هذا التوبيخ أو الانتهاز هو في حدود مسئوليتهم. مثلما في مسئولية الأب أن يوبخ ابنه ويؤدبه، كما قال الكتاب "أى ابن لا يؤدبه أبوه؟" (عب ١٢: ٧). أو هل له مسئولية المعلم في تأديب تلاميذه؟ أو مسئولية كل صاحب منصب في تأديب مرؤوسيه أو توبيخهم، حتى لا يدفعهم التهانون إلى الاستهتار.

وما أعمق قول الآباء في البستان "أدبوا الأحداث قبل أن يؤدبوك".



ثانياً : ما هو الأسلوب الذى يتبعه المتواضع فى التوبيخ وفى التأديب؟

البعض يوبخ فى شدة وفى قسوة، وفى غير احترام للناس، ويظن أن فى ذلك فضيلة، ناسياً كيف كان القديس بولس الرسول يوبخ، هذا الذى قال لتلميذه تيموثاوس "وعظ وبخ انتهر". إنه يقول لثيوخ أفسس "ثلاث سنين.. لم افتخر عن أنذر بدموع كل أحد" (إع ٢٠: ٣١). كان ينذر بدموع - فى تواضع وحب - وليس فى تسلط.

يقول أيضاً "أطلب إليكم بوداعة المسيح وحلمه، أنا نفسى بولس، الذى هو فى الحضرة ذليل، وأما فى الغيبة فمتجاسر عليكم" (١كو ١٠: ١). لاحظوا أنه يقول عن نفسه "فى الحضرة ذليل". لذلك يتشجع بالكتابة، ويحسب نفسه أنه متجاسر عليهم!! هذا هو أسلوب الشخص المتواضع حينما يوبخ، لا بروح التعالى، ولا بقسوة الأسلوب، ولا بالصوت العالى المتسلط.. وإنما بأسلوب الذى يحس بالخشبة فى عينيه، حينما يخرج القذى من عين أخيه...



إنه أسلوب من يطلب حق الله من نفسه أولاً، قبل أن يطلب حق الله من الآخرين. فيوبخ فى وداعة المسيح وحلمه.

إنى أعجب لهؤلاء الذين لا يرون السيد المسيح إلا ممسكاً بالسوط! ولا يسمعونه إلا فى عبارة "ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون". كما لو كانت حياة المسيح هى هذه فقط!!

إن السيد المسيح عامل الكتبة والفريسيين بكل لطف وبكل احتمال، دون أن يرد عليهم،

بل كان يزورهم. وبكل وداعة وحلم يحاورهم محاولاً اقناعهم. أما صبة الولايات عليهم، فكان في الأسبوع الأخير بالذات، حينما أراد أن يمهد الطريق لإلغاء تلك القيادات قبل صلبه، حتى لا تسيطر على الكنيسة الجديدة التي سيؤسسها بدمه. لذلك كشف رياءهم في الأسبوع الأخير، بعد طول صبر.. وليس هم فقط بل أيضاً الصدوقيين والناموسيين (مت ٢٢) والكهنة (مت ٢١).

فهل أنت في نفس موقف المسيح؟ وهل لك سلطانه؟! وهل لك وداعته وحلمه؟! أم أنك توبخ في غير اتضاع؟!...

الباب السابع :

الوداعة

- أهمية الوداعة .
- وداعة الله .
- صفات الإنسان الوديع .
- كيف تفتنى أو تفقد؟
- الوداعة لا تتعارض مع الشجاعة
- * أمثلة كثيرة
- * الغضب المقدس .
- * قوة الشخصية .
- * الدفاع عن الحق .
- * الإنقاذ .
- * هل يمكن أن يدين؟

الوداعة

أهمية الوداعة ١

فضيلة الوداعة من أهم الفضائل المسيحية. يكفي قول السيد الرب:

"تعلموا منى لأبى وديع ومتواضع القلب. فتجدوا راحة لنفوسكم" (مت ١١ : ٢٩).

كان يقدر أن يقول تعلموا منى سائر الكمالات المسيحية. لكنه ركز على الوداعة والتواضع بالذات، وذكر نتيجتها أنكم "تجدون راحة لنفوسكم". فالإنسان الودييع يعيش في هدوء وراحة، بينما من يفقد الوداعة يعيش في صراعات وتعب...

والسيد المسيح فى عظته على الجبل، وضع التواضع والوداعة فى مقدم التتويات. فقال "طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات.. طوبى للودعاء فإنهم يرثون الأرض" (مت ٥ : ٣، ٥). فهم يرثون هذه الأرض التى نعيش عليها، إن يكونون محبوبين من جميع الناس. كما أنهم فى العالم الآخر، يرثون "أرض الأحياء" التى ذكرها داود النبى فى المزمور (مز ٢٧ : ١٣) حينما قال "أومن أنى أعاين خيرات الرب فى أرض الأحياء"

وقال أيضاً "الرب يرفع الودعاء"، ويذل الخطاة إلى الأرض" (مز ١٤٧ : ٦).

✱ ✱ ✱

والقدیس بولس الرسول يضع الوداعة ضمن ثمار الروح (غل ٥ : ٢٣). فالإنسان الذى يسلك بالروح، من الطبيعى أن يكون وديعاً..

والذى يكون مسكناً للروح القدس، لابد أن يكون وديعاً وهادئاً. وهكذا يقول القديس بطرس الرسول: "زينة الروح الوديع الهادئ، الذى هو عند الله كثير الثمن" (بط ٣: ٤).

وقال "يسمع الودعاء فيفرحون" (مز ٣٤: ٢).

✱ ✱ ✱

ومن اهتمام الكنيسة بالوداعة، أنها تتصحنا بها فى كل صباح:

فتضع لنا فى مقدمة صلاة باكر جزءاً من رسالة القديس بولس إلى أهل أفسس يقول فيه "اسألكم أنا الأسير فى الرب أن تسلكوا كما يليق بالدعوة التى دعيتم إليها بكل تواضع القلب والوداعة وطول الأناة، محتملين بعضكم بعضاً فى المحبة.." (أف ٤: ١، ٢).

ولاشك أن طول الأناة والاحتمال هما من صفات الوداعة أيضاً. التى تتصحنا بها الكنيسة فى كل صباح، لتسير بها طول النهار.

✱ ✱ ✱

وفى شرح أهمية الوداعة فى الحياة الروحية، يقول القديس يعقوب الرسول :

"من هو حكيم وعالم بينكم، فلير أعماله بالتصرف الحسن فى وداعة وحكمة" (يع ٣: ١٣). وشرح كيف أن "الحكمة النازلة من فوق، هى طاهرة ثم مسالمة مترفة مذعنة، مملوءة رحمة وأثماراً صالحة" (يع ٣: ١٧). وهذه من صفات الوداعة. الوداعة إذن مرتبطة بالحكمة، والحكمة مرتبطة بالوداعة. وهذه هى "وداعة الحكمة".

✱ ✱ ✱

حتى فى إصلاح الآخرين، يكون ذلك فى وداعة .

وفى هذا يقول القديس بولس الرسول "أيها الأخوة إن انسبق إنسان فأخذ فى زلة، فاصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة. ناظراً إلى نفسك لنلا تجرب أنت أيضاً. إحملوا بعضكم أثقال بعض" (غل ٦: ١، ٢).

إذن فى إصلاح شخص خطأ، لا يكون ذلك بالعنف ولا بالشتيمة والتشهير، إنما بروح الوداعة. فهذا هو أسلوب الروحانيين.

✱ ✱ ✱

وقد كانت الوداعة هى صورة المسيحيين منذ البدء.

حتى إنه قيل عن روحيات المسيحيين فى العصر الرسولى: إنه حينما كان أحد الوثنيين يقابل زميلاً له، ويجده بشوشاً هادئاً.. يقول له "لعلك قابلت مسيحياً فى الطريق؟!.. ويقصد بذلك أن لقاءه مع أحد المسيحيين فى وداعته، يكون قد طبع الوداعة على وجهه بالتأثير.

ويقول القديس بطرس الرسول في الحديث عن الإيمان:

"مستعدين في كل حين، لإجابة كل من يسألكم عن سبب الرجاء الذي فيكم بوداعة وخوف" (بط ٣: ١٥). وأما وقد تكلمنا عن أهمية الوداعة، فنقول إن الله هو مثالها الأول.

وداعة الله :

إن الله وديع في تعامله. يعطي الفرصة للعاملين معه، أن يكلموه بكل حرية، ويعبروا عن رأيهم - مهما كان يبدو مخالفاً - بكل جرة وبغير خوف!

من تواضع الرب كلم أبانا إبراهيم من جهة سادوم قبل أن يهلكها. وإذا بإبراهيم يتكلم مع الله بجرأة عجيبة، ويقول له "أفتهلك البار مع الأئيم، فيكون البار كالأئيم. حاشا لك. أديان الأرض كلها لا يصنع عدلاً!" (تك ١٨: ٢٣-٢٥).

* * *

لولا وداعة الله الذي يقبل مثل هذا الكلام دون أن يقضب، ما كان إبراهيم يتكلم مع الله بمثل هذا الأسلوب!!

أحياناً لا يجرو مؤظف أن يكلم رئيسته هكذا، ولو كان هذا الرئيس مديراً لإدارة صغيرة..! أن يقول له: حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر، أو أن يّح له في كلامه أنه بذلك "لا يصنع عدلاً"!!

إن الله في وداعته طويل البال في الحوار .

كثيرون من رجال السلطة لا يقبلون أن يناقشهم أحد في قراراتهم. وإن قبلوا، لا يستطيعون أن يطول النقاش، وأن يستمروا في التنازلات. بل أنهم يضعون للحوار حدوداً. أما الله فوداعته بغير حدّ.

* * *

★ مثال آخر لوداعة الله، حديثه مع عبده موسى، بعد عبادة الشعب للعجل الذهبي. حيث أراد الله أن يفنى ذلك الشعب الخائن .

يقول الرب - في وداعته - لعبده موسى "أتركني" لأفنى هذا الشعب (خر ٣٢: ١٠). ولكن موسى يقول للرب في جرة "ارجع يارب عن حمو غضبك، واندم على الشر.. اذكر إبراهيم واسحق واسرائيل..". وذكره بأنه قد يقول المصريون "أخرجهم بخبث، ليقتلهم في الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض" (تك ٣٢: ١٢، ١٣).

العجيب أن الرب في وداعته قبل كلام موسى، وندم على الشر (خر ٣٢: ١٤).

في وداعة الرب مع ابراهيم قبل أن يناقشه في قراره. أما في وداعته مع موسى، فقد فعل ما هو أكثر: أن يلغى قراره!!

قد يوجد إنسان، بشر من تراب: إن طلبت منه أن يلغى قراره، يثور ويعتبر هذا الطلب ضد كرامته، ولا يقبل الرجوع عن قرار أصدره أو ينوى إصداره. أما الرب فواسع الصدر، ويقبل النقاش ويقبل الرجوع. وأكثر من هذا، يقبل الكلمات الشديدة في كلام عبده معه. مثل عبارات حاشا، ولا يصنع عدلاً، وأخرجهم بخبث ليهلكهم..

لولا أن الله وديع وطيب، ما كان يقبل كل هذا...

★ أمثلة أخرى يقبل فيها الرب عبارة (لماذا) عن أحكامه وأعماله:

يقول له ارميا النبي "أبر أنت يارب من أن أخاصمك. لكن أكلمك من جهة أحكامك: لماذا تتجح طريق الأشرار. إطمأن كل الغادرين غدرًا" (ار ١٢: ١). ما أكثر الرؤساء والحكام، الذين لا يجرؤ أحد أن يكلمهم من جهة أحكامهم، وأن يقول لهم لماذا؟ ولكن الله الوديع ليس كذلك...

ويقبل أيضاً أن يقول له عبده داود معاتباً "يارب لماذا تقف بعيداً؟ لماذا تختفي في أزمنة الضيق؟" (مز ١٠: ١). يقول هذا للراعي الصالح، الذي لم يعوزه شيء" (مز ٢٣: ١).

★ بل لولا وداعة الله ، ما كان يسمح للشيطان أن يناقشه وأن يطلب منه، في قصة

أيوب الصديق.

وداعة من الله أنه بينما بنو الله يمثلون أمامه، يسمح أن يجيء الشيطان في وسطهم (اي ١: ٦). ووداعة منه أيضاً أنه بينما يقول الله عن أيوب إنه رجل كامل ومستقيم.. يتدخل الشيطان محتجاً على ذلك فيقول "هل مجاناً يتقى أيوب الله؟! أليس أنك سيجت حوله وحول بيته.. وباركت أعمال يديه.. ولكن أبسط يدك الآن، ومس كل ما له، فإنه في وجهك يجدف عليك" (أي ١: ٩-١١).

والعجيب أنه - في وداعة الله - يقبل هذا الكلام من الشيطان، ويسمح له بأن يجرب أيوب قائلاً له "هوذا كل ماله في يدك" (أي ١: ١٢).

وبعد أن ينجح أيوب في التجربة، يسمح الله مرة أخرى للشيطان أن يقف أمامه مع بنى الله. ويبدى الرب إعجابه بأيوب قائلاً "وإلى الآن هو متمسك بكماله.. وإذا بالشيطان يتناول ويقول لله "ابسط الآن يدك، ومسّ عظمه ولحمه، فإنه فى وجهك يجدف عليك!" (أى: ٢: ٥). والعجيب أنه فى وداعة الله يقبل من الشيطان ما قاله فى غير خجل! بل ويقول له أيضاً "ها هو فى يدك، ولكن احفظ نفسه" (أى: ٢: ٦).

✽ ✽ ✽

مثل آخر فى الوداعة أن السيد المسيح يقبل أن يجربه الشيطان .

واستغل الشيطان هذه الوداعة ، فقال للسيد عن كل ممالك الأرض ومجدها "أعطيك هذه جميعها، إن خررت وسجدت لى" (مت: ٤: ٩).

إن الوديع يسمح أن يكلمه البعض بما يريد بكل جرأة. ولكن لا يجوز أن تستغل وداعة الوديع، لكى يتناول البعض عليه بغير حياء.

صفات الإنسان الوديع

١ - من صفات الإنسان الوديع إنه طيب وهادئ ومسالم :

إنه هادئ فى صوته، لا يصيح ولا يحدث شغباً.. وهادئ أيضاً فى معاملته: لا يخاصم، ولا يقطع صلته بإنسان، ولا يحتد على أحد.

قيل عن السيد المسيح فى العهدين القديم والحديث إنه "لا يخاصم ولا يصيح، ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته. قصبه مرضوضة لا يقصف، وفتيلة مدخنة لا يطفى" (مت: ١٢: ١٩، ٢٠) (أش: ٤٢: ٢، ٣).

إنه لا يقطع رجاء إنسان: فلا يطفى الفتيلة المدخنة، ربما تمرّ عليها ربح بعد حين، فتشعلها.

✽ ✽ ✽

قيل فى لقائه مع إيليا النبى لما كان هارباً من الملكة إيزابل، إنه "إذا بريح عظيمة قد شقت الجبال وكسرت الصخور.. ولم يكن الرب فى الريح. وبعد الريح زلزلة، ولم يكن

الرب في الزلزلة. وبعد الزلزلة نار، ولم يكن الرب في النار. وبعد النار صوت منخفض خفيف.. (امل ١٩ : ١١ ، ١٢). وكان الرب يتكلم..

٢ - هكذا هو صوت الله في وداعته، الصوت المنخفض الخفيف .

والإنسان الوديع إنسان هادئ، لا يرفع صوته أزيد مما يجب، ولا يعلو صوته أكثر مما تحتمل الحالة في الكلام. صوته هادئ غير صاخب. بعكس العنفاء الذين في كلامهم صخب. يتكلمون بصوت عالٍ وبحدة، وعنق.. أحياناً صوتهم يرفع..

٣ - والوديع : كما أن صوته منخفض، كذلك نظره منخفض أيضاً .

لا يحدث في أحد، ولا يحمل في أحد. تطبق عليه عبارة "لا يملأ عينيه من وجه إنسان". ومادام لا يملأ عينيه من وجه إنسان، فهو يحتفظ بمعاملات طيبة مع الكل، لأنه لا يفحص مشاعر الناس بنظراته، ولا يحاول أن يعرف ما بداخلهم. لأن محاولة معرفة الدواخل تعكر المعاملات.

أما غير الوديع فإنه يكلم غيره، وينظر إلى عينيه أثناء كلامه ليرى هل هو صادق أم لا؟ وهل نظراته عكس كلامه؟ وهل ملامحه عكس كلامه؟ وهل هو يبطن غير ما يظهر؟ وهل.. وهل..؟ مما يجعله يشك فيه...

٤ - أما الوديع فيكون في سلام مع الناس، لأنه لا يفحص ملامحهم وتصرفاتهم.

إن تعامل مع أحد لا يتناوله بالفحص والتحقيق. ولا يتناول كل ما عمله هذا الشخص بتحليل وتدقيق، ويصدر أحكاماً عليه!

وإن جلس مع أناس يأكلون، لا ينظر إليهم ماذا يأكلون وكيف؟ وأي صنف يأكلونه؟ وما الذي يحبونه أكثر من غيره؟ وهل يأكلون بسرعة أو بشهوة أو بنهم؟ ولا يراقبهم أثناء الأكل، كما لو كان يحصى كم لقمة يأكلونها.

٥ - إنه هادئ لا يفحص أعمال الناس ولا يراقبهم. ولذلك فهو لا يقع كثيراً في

إدانة الآخرين. يقول في داخله "ما شأنى بذلك؟!"

فإدانة الآخرين تأتي غالباً من فحص الآخرين ومراقبتهم. أما الوديع فيقول في نفسه "وأنا مالي؟ خليني في حالي". نعم ما شأنى بكل هؤلاء؟! وما دخلى بتصرفاتهم؟! إن كان

السيد المسيح قد قال في إحدى المرات "من أقامنى قاضياً أو مقسماً؟" (لو ١٢: ١٤) ... فماذا أقول أنا عن نفسى؟ ولماذا أتدخل فى أمور لست مسؤولاً عنها؟ ولماذا أقحم نفسى فى أمور ليست من شأنى؟ وهكذا يحتفظ بسلامه الداخلى.

٦ - والإنسان الوديع يكون دائماً بشوشاً مبتسماً، لا يعبس فى وجه أحد. لا يقطب جبينه ولا نظراته، ولا يتجهم. ولا يستقر عليه أبداً روح الغضب أو الضيق. له ابتسامة حلوة محببة إلى الناس، وملامح مريحة لكل من يتأملها. ولا تسمح له طبيعته الهادئة أن يزرع ويوبخ، وأن يشتد ويحتد. بل هو بطبيعته إنسان هادئ. وكلامه لين ولطيف، وبخاصة إن كان من الخدام أو من رجال الدين.

إن قوانين الكنيسة وتعاليم الآباء تطلب من رجال الدين أن يكونوا بشوشين، يتصفون بالحلم والسماحة غير مخاصمين (١تى ٣: ٣). وكذلك سير الآباء تقدم لنا أمثلة كثيرة للوجه السمع المحب والمحبوب. فرجل الدين الذى فى ملامحه سلام، يمكنه أن يمنح الناس سلاماً. أما المتجهم دائماً فإنه يخينهم من الدين نفسه.

٧ - الإنسان الوديع يتمتع بسلام داخلى. فهو لا ينزعج ولا يضطرب، ولا يتسجس، مهما كانت الأسباب الخارجية.

قد يكون البحر هائجاً والأمواج مرتفعة، والسفينة تضطرب فى البحر ذات اليمين وذات اليسار. أما الصخرة الثابتة فى البحر فإنها لا تضطرب. والجنادل التى فى البحر لا تهتز، مهما كان عنف الأمواج..

كذلك الوديع: هو كالصخرة أو الجندل، لا يتزعزع مهما كانت الظروف. بل فى هدوء يسلم الأمر لله ولا يضطرب. يقول مع داود النبى فى المزمور: "إن يحاربنى جيش، فلن يخاف قلبى. وإن قام علىّ قتال، ففى هذا أنا مطمئن" (خر ٢٧: ٣).

يقول مار اسحق "من السهل عليك أن تحرك أحد الجبال من موضعه. وليس سهلاً أن تحرك الإنسان الوديع عن هدوئه".

٨ - ومهما عومل الوديع، لا يتأذى ولا يتضجر، ولا يشكو. بل غالباً ما يلمس العذر لغيره، ويبرر فى ذهنه مسلكه، ولا يظن فيه سوءاً، وكان

شيئاً لم يحدث! ولا يتحدث عن إساءة الناس إليه، ولا يحزن بسبب ذلك في قلبه. فلين تأثر لذلك أو غضب، سرعان ما يزول تأثره ويصفو. ولا يمكن أن يتحول حزنه إلى حقد..

٩ - وقد يثور البعض عليه، ويوجه إليه اتهامات أو إهانات. فلا يحتد. ولا ينتقم نفسه، ولا يقاوم الشر (مت ٥: ٣٩).

بل قد يصمت في هدوء، ويتسم في وجه من يثور عليه ابتسامة بريئة، وكأنه ليس هنا! مما يجعل التأثير عليه يخجل من إهاناته له!

هذا الإنسان الوديع، له أحياناً طبع الطفل الهادئ المبتسم.

١٠ - الإنسان الوديع بعيد عن الغضب، حلیم واسع الصدر.

إنه لا يغضب بسرعة، ولا يبطء. ولا يفعل الانفعالات الشديدة. ولا تراه أبداً ثقراً ولا عصبياً بل ملامحه هادئة. وكما أنه لا يغضب، فإنه لا يتسبب في غضب أحد. وإن غضب منه أحد، فإن له "الجواب اللين الذي يصرف الغضب" (أم ١٥: ١).

لذلك فهو إنسان طويل البال، وكثير الإحتمال .

وإذ "له صورة الله" (تك ١: ٢٦، ٢٧)، فهو مثله يحتمل الخطاة الذين يخطئون إليه، ويطول أناته عليهم، ويعيش في سلام.

الوديع يتميز بأنه إنسان بطئ الغضب .

كما قال معلمنا القديس يعقوب الرسول "ليكن كل إنسان مسرعاً إلى الاستماع، مبطناً في التكلم مبطناً في الغضب. لأن غضب الإنسان لا يصنع بر الله" (يع ١: ٩). وما أكثر ما قيل عن إلهنا الوديع: إنه "بطئ الغضب" (يون ٤: ٢)، وأنه "طويل الروح كثير الرحمة" (مز ١٠٣: ٨).

١١ - كذلك فإن الوديع لا يغضب لأي سبب .

إذا غضب الوديع، فاعرف أنه لا بد من أمر خطير دعاه إلى ذلك. وغالباً ما يكون غضبه لأجل الرب، وليس لأجل نفسه، وليس بسبب كرامته أو حقوقه كما يفعل غير الودعاء.

وإذا غضب لا يثور ولا يفقد أعصابه. إنما يعبر عن غضبه بعدم موافقته وعدم

رضاه. فالوديع أعصابه هادئة، لا ينفعل بسرعة. وإذا انفعل لا يشتعل.

THE PRINCE HAZRAT
FOR QURANIC THOUGHT

١٢ - وإذا غضب ، لا يحقد. إنما سرعان ما يصلو ويغفر .

وهكذا قيل عن إلهنا الوديع إنه "لا يحاكم إلى الأبد، ولا يحقد إلى الدهر. لم يصنع معنا حسب خطايانا، ولم يجازنا حسب آثامنا.. لأنه يعرف جبلتنا. يذكر أننا تراب نحن" (مز ١٠٣: ٩-١٤).

١٣ - الإنسان الوديع مسالم لا ينتقم لنفسه .

لا يقاوم الشر (مت ٥: ٣٩). أى لا يقابله بمثله. وإنما هو كثير الإحتمال. لا يدافع عن نفسه، بل غالباً ما يدافع الغير عنه، موبخين من يسئ إليه بقولهم "ألم تجد سوى هذا الإنسان الطيب لتعتدى عليه؟".

الإنسان الوديع لا يؤذى أحداً، بل يحتمل الأذى من المخطفين .

ما أجمل ما قيل عن موسى النبي "وكان الرجل موسى حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض" (عد ١٢: ٣).

حتى أنه حينما تقولت عليه أخته مريم، ووبخها الله على ذلك وعاقبها فضربها بالبرص.. تشفع فيها موسى، وهو فى موقف المُساء إليه. وصرخ قائلاً "اللهم إشفها" (عد ١٢: ١٣).

ومن الأمثلة الجميلة ، ما قيل عن وداعة سليمان الملك وسعة صدره، إن الله منحه "حكمةً وفهماً كثيراً جداً، ورحبة قلبه كالرمل الذى على شاطئ البحر" (امل ٤: ٢٩).

١٤ - والإنسان الوديع طيب ، سهل التعامل مع الناس .

إذا تناقش مع أحد، لا يجعل المناقشة تحدد وتتعد، بل يبدى رأيه ببساطة، ويدافع عنه بهدوء، بطريقة وديعة، كما يقول الكتاب "فى وداعة الحكمة" (يع ٣: ١٣)، حتى إن كان ينبه محاوره إلى خطأ!

إنه بسيط فى التعامل، لا عنده دهاء ولا مكر ولا خبث .

ولا يظهر غير ما يعطن . ولا نعى بكلمة (بسيط) أنه إنسان ساذج! كلا، بل قد يكون فى منتهى الحكمة. ولكنه فى بساطته لا يحقد الأمور. وهو لا يلف ولا يدور فى حديثه،

١٥ - بل هو صريح ومريح يمكنك أن تثق به وتطمئن إليه .

ورقيق في معاملته ، لا يخدش شعور من يتحاور معه، إذا أخطأ. بل هو حلو الطبع، دمث الخلق، حسن المعاملة. لذلك تجده محبوباً من الكل، كإنسان طيب ...

١٦ - الإنسان الوديع مملوء من الحنان والعطف، حتى على أشر الخطاة .

فإن رأيت إنساناً قاسياً في تعامله، أعلم أنه غير وديع .

أنظروا إلى وداعة السيد المسيح مع المرأة السامرية، وكيف أنه لم يجرح شعورها ولم يخدش حياءها ولا بكلمة واحدة. بل اجتنبها إلى الاعتراف بوداعة ولطف. ووجد فيها شيئاً يمتدحه، فقال لها "حسناً قلت إنه ليس لك زوج.. هذا قلت بالصدق" (يو: ٤: ١٧، ١٨).. وبهذه الوداعة أمكنه أن يقتادها إلى التوبة، وإلى الإيمان بأنه المسيح وبشرت أهل المدينة بذلك (يو: ٤: ٢٩).

وبنفس الوداعة أيضاً تصرف مع المرأة الخاطئة المضبوطة في ذات الفعل.. لم يكتها. بل أنقذها من الذين أرادوا رجمها. فلما أنصرفوا قال لها "أين هم أولئك المشتكون عليك؟ أما دانك أحد؟ ولا أنا أدينك. أذهبي ولا تخطئي أيضاً" (يو: ٨: ١٠، ١١).

وفي وداعة من نوع آخر، عاتب بعد القيامة تلميذه بطرس :

ذلك الذي أنكره ثلاث مرات، وحلف ولعن وقال: لا أعرف الرجل (مت: ٢٦: ٧٤). فقال له الرب ثلاث مرات "يا سمعان بن يونا، أتحبني أكثر من هؤلاء؟" .. ومعها ثلاث مرات ثبتته في عمل الرعاية بقوله "أرع غنمي.. أرع خرافي" (يو: ٢١: ١٥ - ١٧). وهكذا أيضاً في وداعة، قابل نيقوديموس ليلاً (يو: ٣: ٢).

ولم يوبخه على خوفه من اليهود.. إذ جاء إليه ليلاً، حتى لا ينكشف أمره لهم.. وإذا بالسيد المسيح - في وداعته - يلصقه بمحبته، التي جاهر بها بعد صلبه، إذ اشترك في تكفينه مع يوسف الرامي (يو: ١٩: ٣٩).

وداعة الله تعامل الخطاة بطول أناة. وطول أناته تنتظر توبتهم.

وهو يود توبتهم، دون أن يعرضهم إلى عدالته ونقمة.

وهكذا الإنسان الوديع لا ينتقم من المخطئين إليه، قائلاً في نفسه: "لا أنتقم من أحد، لئلا لله ينتقم أيضاً منى بسبب أخطائى". ولا يفرح مطلقاً ببليية المسيئين إليه. لأن الفرحان ببليية لا يتبرأ (أم ١٧: ٥).

* * *

١٧ - والإيمان الوديع يضع أمامه أربع درجات فى التعامل مع المخطئين :

منها احتمال المخطئ إليه، فلا يغضب منه، ولا يثور عليه .

ثم المغفرة للمخطئ، فلا يمسك عليه خطيئته، ولا يحقد عليه .

ثم الصلح مع المخطئ. ولتكن المبادرة منه هو، كما قال الرسول: "مسرعين إلى حفظ

وحدانية للروح برباط الصلح الكامل" (أف ٤: ٣).

وأكثر من هذا كله: محبة هذا المخطئ، كأخ. والصلوة من أجله حسب وصية الرب

"وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطرونكم" (مت ٥: ٤٤).

وهو لا يفعل تلك كله، إلا إذا كان قلبه واسعاً، وطبعه هادئاً. ويتشبهه بالهنا الوديع الذى

قال عنه المرتل فى المزمور إنه "لم يصنع معنا حسب خطايانا، ولم يجازنا حسب آثامنا"

(مز ١٠٣: ١٠).

* * *

١٨ - وأكثر من هذا، فإن السيد المسيح الوديع يقيم عذراً للمخطئين .

فلما ذهب إلى بستان جثيمانى مع ثلاثة من أقرب تلاميذه إليه، وذلك فى أخرج

الأوقات، فى الليلة التى سيقبض فيها عليه. وكان يجاهد ونفسه حزينة حتى الموت

(مت ٢٦: ٣٨). ولم يسهر تلاميذه معه فى تلك الليلة، بل ناموا "لأن أعينهم كانت ثقيلة".

وعلى الرغم من أنه عاتبهم قائلاً "أما قدرتم أن تسهروا معى ساعة واحدة؟"، إلا أنهم

ناموا أيضاً...

فقال لهم "ناموا الآن واستريحوا". والتمس لهم عذراً فى نومهم وتخليهم عنه، قائلاً "أما

الروح فنشيط، وأما الجسد فضعيف" (مت ٢٦: ٤١)... ما أعمق وداعتك يارب! حتى

هؤلاء النائمى فى أخرج ساعات جهادك، تلتمس لهم عذراً، بل تذكر أيضاً لهم شيئاً حسناً،

قائلاً عنهم "أما الروح فنشيط!"

* * *

وإن دخل في مناقشة، يكون هدفه أن يكسب من يناقشه، لا أن يكسب المناقشة ذاتها. لا يظهر للمناقش أخطاءه، ولا يكشف له ضعف حجته. بل في إيجابية وديعة، يشرح وجهة نظره بأسلوب رقيق مقنع.. وهو في كسبه لمن يناقشه بكل لياقة وأدب، يمكنه أن يكسب المناقشة...

أما غير الوديع، فيتمسك بلية نقطة - مهما كانت صغيرة - ويقوم عليها مشكلة ومناقشة، ويكبرها ويضخمها، ويصير الحبة قبة كما يقول المثل! حتى ليطلق البعض قاتلاً "أوقعت في يد فلان؟! فلينفكك الله منه إنه يمكن أن يستنج لك أخطاء في كلامك، لم تفكر فيها قط!!"

* * *

٢٠ - الإنسان الوديع لا يحل إشكالاً بإشكال آخر ...

إنه بطبيعته الوديع يحب أن يبعد عن المشاكل، ويتفادها بقدر طاقته. وإن وُجد أمام مشكلة، إما أن يحتملها في هدوء، أو أنه يعطيها مدى زمنياً تحل فيه، أو يجد لها حلاً في هدوء، أو أن يمررها دون أن تجعلها تمرره أو تمرر غيره.. المشكلة بالنسبة إليه كقطعة طين القيت في بحر واسع، فلم تعكر البحر، بل ذابت في أعماقه..!

* * *

٢١ - الإنسان الوديع هو شخص (مهاود)، يميل إلى الطاعة:

طبعاً يطيع في ما لا يخالف ضميره، وما لا يخالف وصية الله. أما بقى الأمور، فيكون فيها سهل الاستجابة، ولا يجعلها موضعاً للجدل والنقاش.

أما غير الوديع، فقد يكون صلباً وشديداً في كل ما يُطلب منه. ويظل يضع أسئلة وعراقل: لماذا تريد؟ وكيف يمكن التنفيذ، وهناك صعاب؟ ولماذا تطلب مني أنا بالذات؟ وعلام الإسراع؟ لماذا لا تنتظر؟ ومن قال لك إن وقتي يسمح وإن ظروفى تسمح؟! ويستمر في المعارضة.. وقد ينتهي به الأمر أن يرفض، أو قد يوافق أخيراً، بشروط، وبعد تعب في الأخذ والرد.

* * *

٢٢ - أما الوديع، فإنه يريد باستمرار أن يريح غيره.

والخير الذى يستطيع أن يعمله لأجل غيره، فإنه يعمل بكل محبة وكل هدوء، وبدون

جدل، وبدون إبطاء. وكما قال الكتاب "لا تمنع الخير عن أهله، حين يكون فى طاقة يدك أن تفعله..". (أم: ٣: ٢٧).

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QURANIC THOUGHT

٢٣ - لذلك فالإنسان الوديع يكون مستعداً لأداء أية خدمة .

سواء كان ذلك فى نطاق عمله الرسمى أو تطوعاً منه: لأن هناك نوعاً من الموظفين الرسميين ليست لهم روح الخدمة ولا روح الوداعة فى الاستجابة لطلبات الجماهير. ولذلك قلت مرة: إن الموظف الوديع المريح يجد حلاً لكل مشكلة. أما الموظف المتعبد المعقد، فإنه يجد مشكلة لكل حل!!

ولكن الوديع يعمل باستمرار على إراحة غيره، حتى لو لم يكن مسئولاً عن ذلك رسمياً. إنه يستجيب بكل بشاشة لكل طلب يُطلب منه. وحتى دون أن يُطلب منه، يعمل تطوعاً لخير غيره وراحته...

٢٤ - وإن نال الوديع مركزاً أو سلطة يستخدم ذلك لمنفعة الناس.

لا يرتفع قلبه بالمركز أو السلطة، بل يظل خادماً للجميع، محققاً للناس ما يستطيع أن يحققه لهم عن طريق سلطته وإمكانياته. كما قال السيد الرب "إن ابن الإنسان لم يأت ليخدم بل ليخدم، وليبذل نفسه فدية عن كثيرين" (مت: ٢٠: ٢٨).

٢٥ - من أجل هذا كله، يكون الوديع باستمرار شخصاً محبوباً.

الناس يحبون فيه طيبة قلبه، وبشاشة ملامحه، وحسن تعامله، وطاعته وخدمته للجميع، ورقة أسلوبه. وبسبب ذلك يدافعون عنه إن أصابته أية أذية. الكل يدافع عنه، وإن كان هو لا يدافع عن نفسه.

والشخص الذى يستغل طيبته ويظلمه، يتعبه ضميره ويخاف، لأنه قد أذى إنساناً طيباً لا يؤذى أحداً!

٢٦ - والإنسان الوديع له سلام فى قلبه، لا يتعب من أحد .

وإن ضغطت عليه الظروف وتعب، لا يظهر تعبهُ فى الخارج بهيئة ضيق أو نرفزة، أو برد الإهانة بمثلها.. كلا، فهو كما أن له سلاماً داخل قلبه، كذلك له سلام مع الناس.

٢٧ - ومن صفات الوديع : الهدوء والبعد عن العنف .

إن العنف هو عكس الوداعة تماماً. فحتى لو كان الوديع في موضع المسؤولية، وكان من واجبه أن يوبخ وينتهر، فإنه يفعل ذلك أيضاً في غير عنف. وإن اضطرتة مسئولياته أن يحكم على أحد، فإنه يحكم في غير قسوة وفي غير ظلم. وإن لجأ إلى العتاب أو النصح، فإنه يكون رقيقاً في نصحه، وهادئاً ومحباً في عتابه.

ينطبق عليه ما قلناه مرة في رثاء الأرشيدياكون حبيب جرجس:

| | |
|---------------------------|----------------------------|
| يا قوياً ليس في طبعه عنفٌ | ووديعاً ليس في ذاته ضعفٌ |
| يا حكيماً أدب الناس وفي | زجره حبٌّ وفي صوته عطفٌ |
| لك أسلوب نزيه طاهرٌ | ولسانٌ أبيض الألفاظ عفٌ |
| لم تقل بالذم إنساناً ولم | تذكر السوء إذا ما حلّ وصفٌ |
| إنما بالحب والتشجيع قد | تصلح الأعوج، والأكدرُ يصفو |

※ ※ ※

٢٨ - الإنسان الوديع هو إنسان بسيط .

ونقصد بالبساطة عدم التعقيد . فقد يكون بسيطاً وحكيماً في نفس الوقت. كما قال السيد الرب "كونوا بسطاء كالحمائم، وحكماء كالحيات.." (مت ١٠ : ١٦) ... فهو يكون في عقله حكيماً، وفي تصرفاته بسيطاً...

بقي أن أحدثك عن كيف تُفنتى الوداعة؟ وكيف يفقدها البعض؟

كيف تفتني الوداعة؟ ولماذا تفقد؟

إقتناء الوداعة ،

هناك من ولدوا من بطون أمهاتهم ودعاء، بطبع هادئ لم يتعبوا في أقتنائه، إنما نالوه عن طريق الوراثة، أو هبة من الله وهبهم إياها، بعكس البعض الذين يُولدون بطبع نارى يميل إلى العصبية أو إلى العنف...

ولسنا عن الودعاء بالطبع أو الميلاد أو الهبة، نتكلم هنا...

إنما نتحدث بصفة عامة عن كيفية إقتناء الوداعة أو تعودها...

✽ ✽ ✽

والإنسان الذى يصل إلى الوداعة بجهد وضبط النفس ومحاولات للسيطرة على أعصابه وعلى إرادته، هذا يكون أجره عند الله أكبر.

إنه يجاهد -ربما بتدريبات كثيرة- لكى يضبط ذاته، ويضبط أفكاره، وألفاظه، وحركاته، ويقتنى كل أنواع الهدوء.. ويتخلص من الغضب والنفرة بكل أنواعها وكل نتائجها.

إنها وداعة ليست طبيعية وإنما مكتسبة. مثلها القديس موسى الأسود، الذى كان غضوباً وقتالاً وحاد الطبع، بل كان مخيفاً أيضاً. ولكنه بضبط النفس، وبالتدريب والصبر، بحكمة المرشد ومعونة الله، صار وديعاً جداً. وقد اختبروا وداعته يوم سيامته قساً، نجح فى الاختبار.

ومادام الله يطلب منا أن نكون ودعاء، فلا بد أنه قد وضع فى إمكانية طبيعتنا الوصول إلى هذه الفضيلة، وتنفيذ وصيته فيها (مت ١١ : ٢٩).

✽ ✽ ✽

✽ تدرب يا أخى إذن على الهدوء ، وأبدأ مثلاً بهدوء الصوت:

في حديثك العادي، ابعد عن الصوت العالي. وحاول أن يكون صوتك منخفضاً خفيفاً. ولاشك أن هذا أمر سهل. تدرج منه إلى الصوت الهادئ غير الخاد. فلا تتكلم بعنف ولا بشدة، محتفظاً بأعصابك حينما تتكلم، متحكماً في نبرات صوتك..

فإن تدربت على هدوء الصوت، تدرّب أيضاً على هدوء الملامح .

لأن الشخص الغضوب، يظهر غضبه في ملامحه، وفي نظرات عينيه، وفي تجهمه وتقطيب جبينه. فإن وجدت أنك قد وصلت إلى هذا كله، أو إلى بعض منه، قل لنفسك: إن شكلي الآن أصبح لا يليق، بل ربما أصبح منفرأ.. وحينئذ حاول أن تهدئ ملامحك. وستجد أنك مضطر في نفس الوقت أن تهدئ إنفعالاتك الداخلية...

★ نقطة ثالثة : وهي هدوء الحركات .

الشخص الغضوب قد يظهر غضبه في عدم هدوء حركاته، وبخاصة في حركات يديه. في العسكرية لا يستطيع جندي أن يحدث أحد رؤسائه وهو يحرك إحدى يديه، بل يقال له "أثبت..". كذلك أنت، حاول أن تضبط ليس فقط حركات يديك، بل حركاتك. وكن هادئاً في جلستك، وفي مشيتك، لا تتململ، ولا تظهر العصبية عليك، ولا تبدو أمام الناس منفعلاً..

✱ ✱ ✱

★ وفي كل ذلك تدرّب على هدوء ألفاظك .

غير الودعاء تصدر عنهم ألفاظ قاسية عنيفة، أو ألفاظ متهكمة تثير محدثيهم، أو ألفاظ تدخل في نطاق الشتيمة والإهانة. أو أنهم في غضبهم: إذا تكلموا لا يراعون دقة الألفاظ فتمسك عليهم أخطاء. وقد يكونون في كلامهم غير مهذبين، يستخدمون ألفاظاً جارحة، أو غير لائقة، أو ألفاظاً تخرج عن حدود الأدب والوقار والحشمة. وكل هذا ضد الوداعة..

أما أنت فحاول أن تضبط ألفاظك. وإن لم تستطع ذلك في غضبك، إذن حاول أن تضبط غضبك. أو على الأقل: إن غضبت، اصمت. وقل "ضع يارب حافظاً لفي، وباباً حصيناً لشفتي" (مز ١٤١: ٣).

✱ ✱ ✱

★ على أن أهم من هذا كله، هدوء القلب ووداعته .

فالوداعة في أصلها هي وداعة القلب. والقلب الوديع يكون وديعاً في كل شيء: في صوته، في ملامحه، في ألفاظه، في أعصابه، في حركاته. لأن كل هذه مظاهر خارجية تعبر عن حالة القلب من الداخل. ومع ذلك فالتدرب عليها يوصل إلى وداعة القلب، أو ينبه القلب إلى الالتزام بالوداعة.

★ على أن وداعة القلب ترتبط بفضائل أخرى كثيرة. فالإنسان المتواضع يتصرف فى وداعة. والسيد المسيح لعل فى مقدمتها التواضع. فى حينما قال "تعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب" (مت ١١ : ٢٩). كذلك المحبة أيضاً إن عاش الإنسان فيها، يحيا بالضرورة فى حياة الوداعة. فالمحبة كما قال الرسول: تتأنى، وتترفق، ولا تقبح، ولا تحقد، ولا تظن السوء.. وتحتمل كل شئ، وتصبر على كل شئ (١ كو ١٣ : ٤-٧). وكل هذه من صفات وغانصر الوداعة أيضاً.

كذلك الوداعة ترتبط بفضائل اللطف، والهدوء، وطول الروح، وسعة الصدر، والتسامح، وريح النفوس، والحكمة. فمن يقنتى هذه الفضائل وأمثالها، يقنتى الوداعة أيضاً. والوداعة تُقنتى أيضاً بعمل النعمة فى القلب . ويحتاج الإنسان أن يطلب ذلك فى صلته، وأن يتجاوب عملياً مع عمل النعمة فيه، ويشترك مع الروح القدس الذى يقوده إلى الوداعة. فإن إقتنينا الوداعة، نحرص ألا نفقدها. فما أسباب فقدها .

أسباب فقد الوداعة :

هناك أسباب إذا سلك فيها الإنسان بطريق خاطئ، فإنها تفقده وداعته، أو لا تساعد على إقتنائها من بادئ الأمر. نذكر من بينها:

السلطة والمركز والنفى وسائر نواحي العظمة :

أحياناً يتولى إنسان منصباً رفيعاً، فيظن أنه من مستلزمات المنصب أن يأمر وينهى، ويزجر وينتهر، ويتعالى وينظر إلى الآخرين من فوق. وهكذا يفقد وداعته وتواضعه أيضاً، ويدخله روح التسلط...

ولكن ليست المناصب العليا أمراً مانعاً للوداعة. فهناك عظماء ودعاء، جمعوا بين الرئاسة والوداعة. مثل داود النبي وهو قائد للجيش فى عهد شاول الملك (١ صم ١٨ : ٥)، كان وديعاً ويختلط بالناس فى محبة "وكان جميع إسرائيل ويهوذا يحبون داود لأنه كان يخرج ويدخل أمامهم" (١ صم ١٨ : ١٦).

والسيدة العذراء وصلت إلى أعلى مركز تصل إليه امرأة، إذ أن جميع الأجيال تطوبها

(لو ١: ٤٨) ومع ذلك لم تفقد وداعتها. والسيد المسيح نفسه فى كل مجده، كان وديعاً. لكن الذى يستغل المنصب والعظمة استغلالاً خاطئاً، فهذا الذى يفقد الوداعة، مثل الكتبة والفريسيين (مت ٢٣). وهامان فى سفر أستير .

✽ ✽ ✽

✽ ويدخل فى نطاق العظمة أيضاً : الغنى والمال :

وعلى الرغم من ذلك نقرأ فى التاريخ عن أغنياء كانوا ودعاء، وكانوا يختلطون بالفقراء والمحتاجين يحلون لهم مشاكلهم مثل المعلم ابراهيم الجوهري وأخيه المعلم جرجس الجوهري.

✽ ✽ ✽

✽ وقد يفقد البعض وداعتهم ، إذا ما دخلوا فى مجال إصلاح الآخرين، بطريقة خاطئة.

ويظن هؤلاء أن وسيلة الإصلاح لا تأتى إلا بالعنف والشدة. أو أن الدفاع عن الحق لا يتم إلا بالتشهير، وإدانة المخطئين أو من يظنونهم مخطئين، بسبهم علناً وتحريض الناس ضدهم. ويحسبون أنهم بذلك يخلعون الزوان من الأرض، بينما يخلعون الحنطة معه (مت ١٣: ٢٩). ولا يضعون أمامهم قول السيد الرب "أخرج أولاً الخشبة من عينك، وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى من عين أخيك" (مت ٧: ٥).

مشكلة أولئك وأمثالهم أنهم يفقدون وداعتهم، ويرتكبون العديد من الخطايا، دون أن يدركوا ذلك، بل على العكس يفتخرون بما يفعلون!.. وأكثر من ذلك يحسبون أنفسهم أبطالاً ومصلحين!..

✽ ✽ ✽

✽ يذكرنى هذا بأشخاص يُعهد إليهم بتنظيم أحد الاجتماعات .

وباسم العمل على حفظ النظام، ينتهرون، ويصيحون. بل ويمنعون ويطردون. ويستخدمون كل القسوة فى عملهم. وأحياناً لا نسمع ضوضاء فى الاجتماع، إلا ما يصدر من أصوات المنظمين!

لماذا لا يعمل أولئك على حفظ النظام فى هدوء، وفى غير عنف. مثل عصا الراعى التى ينظم بها مسيرة غنمه، بالإشارة واللمس دون أن يضرب. لذلك يقول المرتل فى مزموه الراعى "عصاك وعكازك هما يعزياننى" (مز ٢٣: ٤٩).

✽ ✽ ✽

★ البعض يفقد وداعته باسم الصراحة وقول الحق: والعجيب أنه يقول في وباسم الصراحة يجرح شعور الآخرين بطريقة منفرة مؤذية. وافتخار "أنا إنسان صريح. أقول للأعور أنت أعور، في عينه!" ولماذا يا أخي تجرحه وتؤلمه بصراحتك هذه، الخالية من المحبة، ومن اللياقة؟! أما كان ممكناً أن تستخدم أسلوباً آخر؟!

إن السيد المسيح كان صريحاً مع المرأة السامرية، في رفق، بأسلوب لم يجرح فيه مشاعرها، بل امتدحها فيما تستحق فيه المديح (يو: ٤: ١٧، ١٨). وبهذا الأسلوب الرقيق الرفيع، اجتذبتها إلى الإيمان.

✽ ✽ ✽

★ وقد يدخل في موضوع الصراحة هذه، العتاب . فقد يوجد إنسان - بالعتاب - يربح أخاه. بينما آخر، يفقده للوداعة في عتابه يفقد صديقه أيضاً. وقد قال الشاعر في هذا:

ودع العتاب فرباً شراً
كان أوله العتابا

★ إنسان آخر يفقد وداعته بسبب الحزم .

والحزم ليس معناه بالضرورة العنف. فما أسهل أن يكون الإنسان حازماً ووديعاً. يأخذ موقفاً حازماً، وفي نفس الوقت يشرح سبب هذا الحزم بطريقة مقنعة لا تفقده محبة من يستخدم انحزم معهم. وهكذا يفعل الأب مع أبنائه، يتصرف بحزم مؤزج بالمحبة والإقناع. وبمثل هذا الحزم أيضاً يتصرف رئيس مع مرؤوسيه، ولكن بحزم بعيد عن الغضب والنرفزة، بل بحكمة رصينة هادئة.

بهذا الحزم منع الرب داود النبي من بناء الهيكل، شارحاً السبب في ذلك (أى ٢٨: ٣، ٦). وفي نفس الوقت لم يجرح شعور داود، ولم يتعارض ذلك مع محبته له.

✽ ✽ ✽

★ البعض يفقد وداعته بسبب الحرص على كرامته الشخصية .

وهذا أمر رديء. فالكرامة الحقيقية هي أن يحتفظ الإنسان بالصورة الإلهية التي خلق بها (تك ١: ٢٦). ولكي نكون على صورة الله وشبهه، ينبغي أن نكون ودعاء مثله.

★ والبعض يفقد الوداعة في مجال الشجاعة .

وهذا ما سنتحدث عنه الآن ...

الوداعة لا تتعارض مع الشجاعة والشهامة

الوداعة هي الطيبة، واللطف والهدوء. ولكن لا يصح أن تفهم فهماً خاطئاً. وكان الوديع يبقى بلا شخصية ولا فاعلية، ويصبح كجثة هامدة لا تتحرك!! بل قد يصير هزأة يلهو بها الناس!!

وبالفهم الخاطئ يتحول هذا (الوديع) إلى إنسان خامل لا يتدخل في شيء!
كلا. هذا كلام غير مقبول لا يتفق مع تعليم الكتاب، ويفقد الوداعة صفتها كفضيلة. ولا يتفق مع سير الأبياء والأنبياء.

✱ ✱ ✱

حقاً إن الإنسان الوديع هو شخص طيب وهادئ. ولكن هذا هو نصف الحقيقة. أما النصف الآخر فهو أن الوداعة ليست منفصلة أو متعارضة مع باقي الفضائل كالشهامة مثلاً أو الشجاعة.

وإنما "لكل شيء تحت السموات وقت" كما يقول الكتاب (جا: ٣: ١).

نعم، هكذا يعلمنا الكتاب: "للغرس وقت، ولقلع المغروس وقت.. للسكوت وقت، وللتكلم وقت" (جا: ٣: ٢، ٧). هكذا أيضاً بالنسبة إلى الوديع: يعرف متى يهدأ، ومتى ينفعل؟ متى يصمت، ومتى يتدخل؟

ولقد سئل القديس الأبنا أنطونيوس الكبير مرة عن أعظم الفضائل: هل الصلاة أم الصوم أو الصمت..؟ فأجاب إن أهم فضيلة هي الإفراز: أي الحكمة في التصرف، أو تمييز ما ينبغي أن يُعمل.

✱ ✱ ✱

الطيبة هي الطبع السائد عند الوديع. ولكن عندما يدعو الموقف إلى الشهامة أو الشجاعة أو الشهادة للحق، فلا يجوز له أن يمتنع عن ذلك بحجة التمسك بالوداعة..! لأنه لو فعل ذلك، وامتنع عن التحرك نحو الموقف الشجاع، لا تكون وداعته حقيقية. إنما تصير رخاوة في الطبع، وعدم فهم للوداعة، بل عدم فهم للروحانية بصفة عامة. فالروحانية ليست تمسكاً بفضيلة واحدة، تُلغى معها باقي الفضائل. إنما الروحانية هي كل الفضائل معاً، متجانسة، ومتعاونة في جو من التكامل. وأماننا أمثلة كثيرة من الكتاب في مقدمتها السيد المسيح له المجد.

السيد المسيح ٤

إنه وديع ومتواضع القلب (مت ١١: ٢٩) "قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة مدخنة لا يطفئ" (مت ١٢: ٢٠).. ومع ذلك فإنه لما رأى اليهود قد دنسوا الهيكل. وهم يبيعون فيه ويشترون، "أخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل، وقلب مواثد الصيارفة وكراسي باعة الحمام. وقال لهم: مكتوب بيتي بيت الصلاة يُدعى. وأنتم جعلتموه مغارة لصوص" (مت ٢١: ١٢، ١٣) (يو ٢: ١٤-١٦).

أكان ممكناً للمسيح - باسم الوداعة - أن يتركهم يجعلون بيت الأب بيتاً للتجارة؟! أم أنه مزج الوداعة بالغيرة المقدسة كما فعل. "فتذكر تلاميذه أنه مكتوب: غيرة بيتك أكلنتي" (يو ٢: ١٦، ١٧).

* * *

وكما قام السيد المسيح بتطهير الهيكل، هكذا وبخ الكتبة والفريسيين .

حقاً "كل أمر تحت السموات وقت". للهدوء وقت، وللغيرة المقدسة وقت. للسكوت وقت، وللتعليم وقت. وقد كان الكتبة والفريسيون يضلون الناس بتعليمهم الخاطئ. فكان على المعلم الأعظم أن يكشفهم، ولا يبيقهم جالسين على كرسي موسى في المجتمع المسيحي الجديد. فقال لهم "ويل لكم أيها الكتبة والفريسيونه المراؤون. لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس. فلا تدخلون أنتم، ولا تدعون الداخلين يدخلون" (مت ٢٣: ١٣).

هل كان ممكناً - باسم الوداعة - أن يتركهم يغلقون أبواب الملكوت؟! *

* * *

الوداعة فضيلة عظيمة. ولكنها لا تمنع من الغيرة المقدسة. وكذلك لا تمنع من الشهادة للحق، كما فعل السيد المسيح له المجد.

والشهادة للحق أمر هام يريد الله. ولعل أهميته تظهر من قول الله على لسان ارميا النبي في العهد القديم "طوفوا في شوارع اورشليم وانظروا واعرفوا، وفتشوا في ساحاتها. هل تجدون إنساناً أو يوجد عامل بالعدل طالب الحق، فاصفح عنها؟" (أر ٥ : ١). وقال الرب لتلاميذه: "وتكونون لى شهوداً" (أع ١ : ٨).
فهل الوداعة تمنع الشهادة للحق. أمامنا بولس الرسول كمثال.

بولس الرسول :

نضع أمامنا موقفه من القديس بطرس الرسول، لما سلك مع الأمم مسلكاً رآه بولس الرسول مسلكاً ريانياً. فقال القديس بولس فى ذلك "قاومته مواجهة لأنه كان ملوماً. وقلت لبطرس قدام الجميع: إن كنت وأنت يهودى تعيش أممياً لا يهودياً، فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا؟" (غل ٢ : ١١ ، ١٤).

ومعروف عن القديس بولس أنه إنسان وديع. أليس هو القائل فى رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس "أطلب إليكم بوداعة المسيح وحلمه، أنا نفسى بولس، الذى هو فى الحضرة دليل بينكم. وأما فى الغيبة فمتجاسر عليكم..". (٢كو ١٠ : ١).

بولس الوديع هذا - حينما أضطرته الضرورة - وبخ القديس بطرس الرسول، الذى كان أقدم منه فى الرسولية، وأكبر منه سناً، وكان أحد أعمدة الكنيسة (غل ٢ : ٩). ولكن وداعة القديس بولس لم تمنعه من توبيخ ذلك الشيخ الكبير، ومواجهته قدام الناس.
إن فضيلة الوداعة لا يجوز لها أن تعطل باقى الفضائل .
وأمامنا مثل فى مزج الوداعة بالشهامة هو ابراهيم أبو الآباء :

أبونا إبراهيم :

لاشك أن ابراهيم أبا الآباء كان وديعاً. هذا الذى سجد لبنى حث، حينما طلب مكاناً يدفن فيه سارة زوجته. بينما كان بنو حث يبجلونه قاتلين "أنت يا سيدى رئيس من الله بيننا. فى أفضل قبورنا أدفن ميتك" (تك ٢٣ : ٦-٧). ومع ذلك سجد لهم..!

ابراهيم الوديع هذا، لما أخبروه بسبى لوط ضمن سبى سادوم فى حرب أربعة ملوك ضد خمسة، يقول الكتاب "فلما سمع ابرام أن أخاه لوطاً قد سبى، جرّ غلماناه المتمرنين ولدان بيته ثلاثمائة وثمانية عشر، وتبعهم إلى دان وكسرهم، وتبعهم إلى حوية.. واسترجع كل الأملآك، واسترجع لوطاً أخاه أيضاً وأملاكه والنساء أيضاً والشعب" (تك ١٤ : ١٤ - ١٦).

أكانت شهامة ابراهيم ونخوته ضد وداعته وطيبته؟! حاشا.

مثال آخر فى امتزاج الوداعة بالشهامة والشجاعة والقوة، هو الصبى داود فى محاربتة جليات الجبار.

داود النبى :

لاشك أن داود كان وديعاً. يقول عنه المزمور "انكر يارب داود وكل دعتة" (مز ١٣٢ : ١). داود راعى الغنم الهادئ، صاحب المزمارة، الذى يحسن الضرب على العود (اصم ١٦ : ٢١). داود الحسن المنظر مع حلاوة فى العينين (اصم ١٦ : ١٢).

داود هذا، لما ذهب إلى ميدان الحرب يفتقد سلامة أخوته، وسمع جليات الجبار يعير الجيش كله ويتحداه، والكل ساكت وخائف.. تملكته الغيرة المقدسة. وبكل شجاعة وقوة وإيمان قال "لا يسقط قلب أحد بسببه" وعرض أن يذهب ليحاربه (اصم ١٧ : ٣٢). وتقدم فى شجاعة نحو ذلك الجبار الذى أخاف الكل وقال له "اليوم يحبسك الرب فى يدي..! (اصم ١٧ : ٤٦). وأعاناه الله فانتصر عليه وخلص الجيش منه.

وعلى الرغم من قوة داود وشجاعته، لم تفارقه وداعته ولا اتضاعه. بل قال لشاول الملك فيما بعد لما طارده "وراء من خرج ملك إسرائيل؟ وراء من أنت مطارده؟ وراء كلب ميت! وراء برغوث واحد!" (اصم ٢٤ : ١٤).

مواقف لشجاعة الوديع

نتابع كلامنا في هذا الموضوع ، فنذكر النقاط الآتية :

الغضب المقدس :

ومثال لذلك موسى النبي الوديع، الذي قيل في وداعته "وكان الرجل موسى حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض" (عد ١٢: ٣).

ماذا فعل هذا الوديع، حينما نزل من على الجبل، ووجد الشعب في رقص وغناء حول العجل الذهبي الذي صنعوه وعبدهوه؟ يقول الكتاب "فحمى غضب موسى، وطرح اللوحين (لوحى الشريعة) من يديه، وكسرتهما في أسفل الجبل. ثم أخذ العجل الذي صنعوه وأحرقه بالنار، وطحنه حتى صار ناعماً، وذراه على وجه الماء" (خر ٣٢: ١٩، ٢٠). ووبخ موسى أخاه هارون رئيس الكهنة، حتى ارتبك أمامه هارون وخاف. وقال له "لا يُحم غضب سيدي. أنت تعلم الشعب أنه في شر". وقال في خوفه وارتبائه عن الذهب الذي جمعه من الناس "طرحته في النار، فخرج هذا العجل!" (خر ٣٢: ٢٢، ٢٤). وعاقب موسى الشعب. فمات في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف.

موسى الوديع غضب غضبة مقدسة للرب، ووبخ وعاقب. وما كان يستطيع في وداعته أن يسكت على الذي حدث . إن الوداعة لا تمنع الغضب المقدس .
الوداعة أيضاً لا تمنع قوة الشخصية ولا قوة التأثير .

كان السيد المسيح وديعاً، وفي نفس الوقت كان قوى الشخصية، وكان قوياً فى تأثيره على غيره. ولكننى أريد هنا أن أقدم مثلاً فى مستوى البشر الذى شرحنا من قبل شيئاً عن وداعته، وهو بولس الرسول.

يقول سفر الأعمال عن القديس بولس وهو أسير "وبينما كان يتكلم عن البر والتعفف والدينونة العتيدة أن تكون، ارتعب فيلكس (الوالى) وأجاب: أما الآن فاذهب. ومتى حصلت على وقت استدعيك" (أع٢٤: ٢٤، ٢٥).

ولما وقف بولس - وهو أسير أيضاً - أمام أغريباس الملك. قال له بعد أن ترفع أمامه "أتؤمن أيها الملك أغريباس بالأنبياء؟ أنا أعلم أنك تؤمن". فقال أغريباس الملك لبولس "يقليل تقنعنى أن أصير مسيحياً" (أع٢٦: ٢٧، ٢٨).. وحينئذ فى قوة وعزة، أجابه القديس بولس: "كنت أصلى إلى الله، أنه يقليل وكثير، ليس أنت فقط، بل أيضاً جميع الذين يسمعوننى، يصيرون هكذا كما أنا، ما خلا هذه القيود" (أع٢٦: ٢٩). أترى تتعارض الوداعة مع هذه القوة؟! كلا بلا شك.

الدفاع عن الحق :

ووقت الضرورة، لا تتفانى الوداعة مع الدفاع عن الحق .

* ويتضح هذا الأمر من قصة بولس الرسول مع الأمير كلوديوس لسياس، لما أمر أن يفحصوه بضربات، ليعلم لى سبب كان اليهود يصرخون عليه. يقول الكتاب "لما مدوه للسياط، قال بولس لقائد المائة الواقف "أجوز لكم أن تجلدوا رجلاً رومانياً غير مقضى عليه؟! إذ سمع القائد هذا، أخبر الأمير الذى جاء واستخبر من بولس عن الأمر. "وحينئذ تحى عنه الذين كانوا مزمعين أن يفحصوه. واختشى الأمير لما علم أنه رومانى، ولأنه قيده" (أع٢٢: ٢٥-٢٩).

ما كان القديس بولس يهرب من الجلد، فهو الذى قال "من اليهود خمس مرات قبلت أربعين جلدة إلا واحدة" (٢كو ١١: ٢٤). لكنه هنا دافع عن حق معين، وأظهر للأمير خطأ كان مزمعاً أن يقع فيه. وما كان هذا يتفانى مع وداعة القديس بولس.

*وينفس الوضع لما أراد فستوس الوالى أن يسلمه إلى اليهود ليحاكم أمامهم. وبهذا يقدم لهم منة (أى جميلاً). فقال له القديس بولس فى حزم - مدافعاً عن حقه - "أنا واقف لدى كرسى ولاية قيصر، حيث ينبغى أن أحاكم. إلى قيصر أنا رافع دعواى". فأجابه الوالى "إلى قيصر رفعت دعواك. إلى قيصر تذهب" (أع ٢٥: ١٠-١٢).

لم يكن القديس بولس خائفاً من اليهود. لكنه - فى حكمة - طلب هذا، ليذهب إلى رومه - حيث يوجد قيصر - ويشر هناك. لأن الرب كان قد تراءى له قبل ذلك وقال له "تق يا بولس. لأنك كما شهدت بما لى فى اورشليم، هكذا ينبغى أن تشهد فى روميه أيضاً" (أع ٢٣: ١١). وهكذا دافع عن حقه فى وداعة وحكمة دون أن يخطئ. بل تكلم كلاماً قانونياً .

الوداعة أيضاً لا تمنع من تشبيه خاطئ، لإنقاذه من خطأ أو خطر .

تحذير لأحد الخطاة :

كما قال القديس يهوذا الرسول غير الأسخريوطى "خلصوا البعض بالخوف، مختطفين من النار" (يه ٢٣).

فهل إذا رأيت صديقاً أو قريباً على وشك أن يتزوج زواجاً غير قانونى، من قرابة ممنوعة، أو بعد طلاق غير شرعى بتغيير المذهب أو الملة. أو أنه مزعم أن يتزوج زواجاً مدنياً أو عرفياً. أو ما شاكل ذلك.. هل تمتنع باسم الوداعة عن تشبيهه إلى أن ما ينوى عمله هو وضع خاطئ؟! كلا، بل من واجبك أن تنصحه. وليكن ذلك بأسلوب هادئ فى غير كبرياء ولا تجريح. أما إن سكنت، فإن سكوتك سيكون هو الوضع الخاطئ.

* * *

ليست الوداعة أن تعيش كجثة هامدة فى المجتمع. بل تتحرك، وتكون لك شخصيتك. وبأسلوب وديع. قل ولو بكلمة واحدة - كقول المعمدان - "لا يحل لك" (مت ١٤: ٤).

بشرط أن ما تقوله يكون هو الحق، وليس مجرد اندفاع متهور بغير معرفة...

يقول القديس بولس "اسهروا متذكرين أنى ثلاث سنين ليلاً ونهاراً، لم أقتر عن أن انذر بدموع كل واحد" (أع ٢٠: ٣١). وداعته لم تمنعه عن أن ينذر كل واحد. ولكن بأسلوب وديع، كان ينذر بدموع. حتى لو قال كلمة شديدة، سيقبلونها منه.

هل تظنون أن الوديع قد ألقى من قول الرب لتلاميذه "وتكونون لى شهوداً" (أع ١: ٨).

الإِنْفَاد :

هل إذا اتاحت فرصة للوبيع أن ينفذ أحداً معتدى عليه مثلاً أو في خطورة...، أتراه يمتنع عن ذلك باسم الوداعة؟

هل من المعقول أن يقول "وما شأنى بذلك؟!" أو يقول "وأنا مالى؟ خلينى فى حالى!!" أم فى شهامة ينفذه، وبأسلوب وديع. كما أنفذ السيد المسيح المرأة المضبوطة فى ذات الفيل من أيدى راجميهـا. فى هدوء. وقال للراغبين فى رجمها "من كان منكم بلا خطية، فليرمها بأول حجر" (يو: ٨: ٧). وفعل ذلك بوداعة دون أن يعلن خطاياهم "بل كان يكتب على الأرض".

الإِدَانَة :

هل يمكن للوبيع أن يدين أحداً. متى؟ وكيف؟

أمامنا أمثلة من الكتاب المقدس، فى مقدمتها السيد المسيح له المجد:

هذا الذى قال "لم يرسل الأب ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلص" (يو: ٣: ٧)، والذى قال لليهود "أنتم حسب الجسد تدينون. أما أنا فلست أدين أحداً" (يو: ٨: ١٥).. هو فى مناسبات عديدة أدان كثيرين: مثلما أدان الكتبة والفريسيين (مت: ٢٣). وأدان كهنة اليهود قائلاً لهم "إن ملكوت الله ينزع منكم، ويُعطى لأمة تصنع أثماره" (مت: ٢١: ٤٣). وأدان الصدوقيين قائلاً لهم "تضلون إذ لا تعرفون الكتب" (مت: ٢٢: ٢٩). وأدان تلميذه بطرس لما قال له حاشاك يارب (مت: ٢٣: ١٦).

السيد المسيح - مع وداعته - أدان، ولكن بسُلطان، وبهدف روحى .

※ ※ ※

كذلك فإن القديس بولس الرسول قال لتلميذه تيموثاوس "الذين يخطنون ويخهم أمام الجميع، لكى يكون عند الباقين خوف" (١تى: ٥: ٢٠). هنا الإدانة بسُلطان، ومن أجل سلامة الكنيسة.

هناك أشخاص من حقهم - بل من واجبهم - أن يدينوا .

ولا تتعارض إدانتهم مع الوداعة. مثل الوالدين، والأب الروحى، والمدرس بالنسبة إلى

تلاميذه، والرئيس بالنسبة إلى مرووسيه. بل إن عالي الكاهن قد عاقبه الله، لأنه لم يحسن تربية أولاده ويدينهم (اصم ٣).

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QURANIC THOUGHT



هوذا الكتاب يقول "لا تخالطوا الزناة" (١كو ٦: ٩). فهل تقول: أنا لا أدين هؤلاء! حتى إن لم تقل عليهم أية كلمة إدانة، فإن عدم مخالطتهم وعدم مخالطة مجموعات أخرى من الخطاة (١كو ٦: ١١) تحمل ضمناً إدانتهم. وكذلك بالنسبة إلى المنحرفين في التعليم الديني، يقول الرسول "إن كان أحد يأتيكم، ولا يجيء بهذا التعليم، فلا تقبلوه في البيت، ولا تقولوا له سلام. لأن من يسلم عليه يشترك في أعماله الشريرة" (٢يو ١٠، ١١). فهل باسم الوداعة نقبل هؤلاء!؟ كلا. بلاشك.

المسألة ليست حكماً وإدانة. بل يقول الرسول "خطايا بعض الناس واضحة، تتقدم إلى القضاء" (١تى ٥: ٢٤). أنت لست تدينهم، بل أعمالهم تدينهم. وأنت بكل وداعة تبتعد عنهم، كما ينصح المزمور قائلاً "في طريق الخطاة لا تقف، وفي مجلس المستهزئين لا تجلس" (مز ١).

هناك مواقف يجد فيه الوديع نفسه مضطراً أن يتكلم، ولا يستطيع أن يصمت. مثلما فعل اليهو في قصة أيوب الصديق وأصحابه: كان أليهو وديعاً. ظل صامتاً مدة طويلة. ولكنه أخيراً لم يستطع أن يصمت. وكان الله هو المتكلم على فمه. وهو الوحيد الذي لم يجادله أيوب (أى ٣٢-٣٧).

صفحة

| | |
|----|---|
| ٥ | قصة هذا الكتاب |
| ٧ | الباب الأول : حياة الاتضاع |
| ٨ | الاتضاع بين الفضائل |
| ٩ | تطويب التواضع |
| ١٣ | ما هو الاتضاع؟ بعض أقوال الآباء عنه |
| ١٦ | تطويب الآباء والقديسين للتواضع - بعض أقوال الآباء |
| ٢٤ | حث على الاتضاع |
| ٢٨ | احذر من التواضع الزائف |
| ٣٠ | تواضع الله |
| ٣٦ | تواضع الابن، وتواضع الروح القدس |
| ٤١ | تواضع الروح القدس |
| ٤٣ | الباب الثاني : وسائل الاتضاع وعلاماته |
| ٤٤ | وسائل الاتضاع وعلاماته |
| ٥٨ | وسائل وعلامات أخرى لحياة الاتضاع |
| ٥٩ | الباب الثالث : العظمة والكبرياء |
| ٦٠ | الكبرياء والعظمة خطية مركبة تلد خطايا كثيرة - مقاومة الله للمتكبرين |
| ٦٢ | تشامخ الروح |
| ٦٣ | الإدانة ومسك السيرة - البر الذاتي |
| ٦٤ | المكابرة - البدعة أو الهرطقة |
| ٦٦ | العناد - نتائج أخرى |
| | المتكبر يرتفع فيسطو والمتكبر دائماً يبرر ذاته |
| ٦٧ | المتكبر يفقد حياة الوداعة وحياة التوبة - يرتفع فيسقط |
| ٧٠ | المتكبر يبرر ذاته |
| ٧٣ | العجرفة |
| ٧٥ | التجارب والمواهب |

| | | |
|-----|-------|--|
| ٧٩ | | الباب الرابع : الذات سبب الكبرياء |
| ٨٠ | | الذات سبب الكبرياء - تريد أن تكبر |
| ٨٢ | | الغرور |
| ٨٣ | | تحقيق الذات |
| ٨٥ | | السيطرة - الطمع |
| ٨٦ | | كلمة أنا |
| ٩٠ | | لا أنا |
| ٩٢ | | كيف تتخلص من الذات [من الأنا] - قهر الذات |
| ٩٣ | | محبة الآخرين وخدمتهم |
| ٩٤ | | التواضع |
| ٩٥ | | إدانة الذات |
| ٩٧ | | ضع أمامك مثال المسيح |
| ٩٨ | | تدريب الميل الثاني |
| ٩٩ | | الباب الخامس : المجد الباطل ومحبة المديح والكرامة |
| ١٠٠ | | الكبرياء تلد المجد الباطل والبر الذاتي - البر الذاتي |
| ١٠٥ | | الكبرياء تلد المجد الباطل والمجد الباطل يلد محبة المديح والكرامة |
| ١٠٥ | | محبة المديح - الذين يحبون المديح |
| ١٠٩ | | الخطايا التي تنتج عن محبة المديح والكرامة |
| ١١٤ | | الهروب من المديح والكرامة - إخفاء الفضائل |
| ١١٥ | | البعد عن الرئاسات |
| ١١٩ | | لماذا يهرب المتواضع من حب الرئاسة والرعاية |
| ١٢٤ | | كيف تهرب من محبة المديح والكرامة |
| ١٢٩ | | الباب السادس : علاقة الاتضاع بالفضائل والمواهب |
| ١٣٠ | | النعمة |
| ١٣١ | | التوبة |
| ١٣٣ | | الاعتراف |
| ١٣٤ | | الشفقة على المخطئين |
| ١٣٥ | | الإيمان والبساطة |
| ١٣٧ | | التعليم |

- ١٣٩ علاقة التواضع بالصلاة - حاجته إلى الصلاة
- ١٤٠ طريقة الصلاة
- ١٤١ عدم الاستحقاق
- ١٤٢ التواضع في الطلب
- ١٤٣ يطلب الصلاة لأجله
- ١٤٤ التواضع واحترام الآخرين - مثال السيد المسيح
- ١٤٥ احترام الكبار
- ١٥٠ احترام الأبوة والأمومة - احترام أبوة الله
- ١٥١ احترام الأبوة الجسدية
- ١٥٢ احترام الأبوة الروحية
- ١٥٣ احترام الأمومة
- ١٥٤ احترام الصغار
- ١٥٧ هل يمكن للمتضع أن ينتهر ويوبخ ويعاقب
- ١٦١ الباب السابع : الوداعة
- ١٦٢ الوداعة - أهمية الوداعة
- ١٦٤ وداعة الله
- ١٦٦ صفات الإنسان الوديع
- ١٧٦ كيف تقتنى الوداعة ؟ ولماذا تفقد - إقتناء الوداعة
- ١٧٨ أسباب فقد الوداعة
- ١٨١ الوداعة لا تتعارض مع الشجاعة والشهامة
- ١٨٢ السيد المسيح
- ١٨٣ بولس الرسول - أبونا ابراهيم
- ١٨٤ داود النبي
- ١٨٥ مواقف لشجاعة الوديع - الغضب المقدس
- ١٨٦ قوة الشخصية - الدفاع عن الحق
- ١٨٧ تحذير لأحد الخطاة
- ١٨٨ الإقتاذ - الإدانة

فصل الكتاب



بسم الآب والإبن والروح القدس

الإله الواحد أمين

بمدتك هذا الكتاب عن:

أهمية التواضع والوداعة.

تواضع الله ، ووداعة الله

القرال الإلهام عن التواضع .

احتر من التواضع الزائفة.

وسائل التواضع وعلاماته

صفات الإنسان الوديع

كيفية إقتناء الوداعة

خطورة الكبرياء والمعظمة

المجد الباطل والبر الذاتي

محبة المديح والكرامة

كيف تهرب من محبة المديح

للهروب من محبة الرئاسة

الذات سبب الكبرياء

كيف نتخلص من الذات

علاقة التواضع بالفضائل

التواضع واحترام الآخرين

هل المتواضع يوبخ وينتهر

ما هي الوداعة وأهميتها

هل تتعارض الوداعة مع الشجاعة

والشهادة

إنها دواسة مع تداريب

حاول أن تفراها وتحياها.

الجلبا ششوده الثالث

الثمن - ٢٥٠ قرشاً